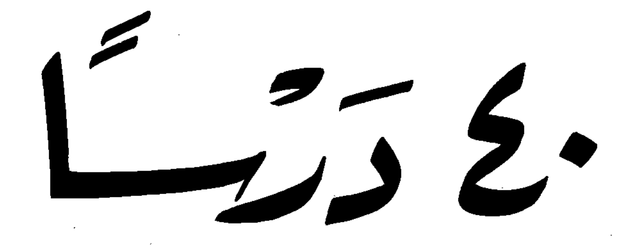
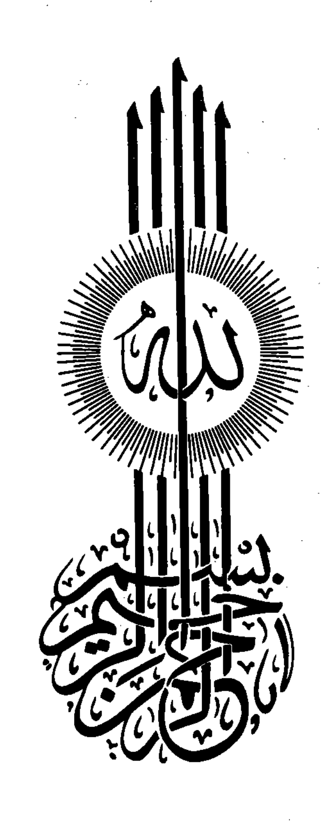


لِمَن أدرك رمضان

عبد الملك القاسم

دار القاسم للنشر
الرياض : ١١٤٤٢ ـ ص . ب ٦٣٧٣
ت : ٤٧٧٥٣١١ ـ فاكس : ٤٧٧٤٤٣٢


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بلَّغنا هذا الشهر العظيم، وأدعوه عز وجل كما بلغنا إياه أن يُعيننا على حُسن صيامه وقيامه، وأن يتجاوز عن تقصيرنا وزللنا، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فهذه أربعون درساً كتبتها للأخ المسلم. صدَّرتها بحمد الله عز وجل وختمتها بالدعاء؛ لتكون واحة إيمانية ينهل من معينها في مسجده وبيته، وانتقيت أموراً نحن في حاجة إليها، وأعرضت عن كثير من أحكام الصيام لشيوعها وكثرة ما كُتب عنها.. وليس الأساس هو زيادة معلومات الناس الفقهية والتعبدية، بل الهدف دعوة الناس إلى تطبيق ما يعلمون، وتحريك هممهم وعواطفهم وعقولهم وقلوبهم نحو ذلك، وقد زاد عدد الدروس عن أيام الشهر المبارك ليكون فيها تنوع في المواضيع، وسهولة عند الاختيار..

ومما دعا إلى جمعها وتنويع مواضيعها: خروج كثير من المُقصرين إلى المساجد في هذه الأيام المباركة، وتفتُّح أنفسهم لسماع الحق وقبول الكلمة الطيبة، ووجَّهته لعامة الناس حسب الحاجة أولاً، وما يناسب المجتمع إجمالاً.

كما ورغبت حين إعداد هذا الكتاب أن أُعين الإمام وأفرِّغه لمراجعة حفظه، والقيام بالأعمال الدعوية الأخرى، حتى تثمر الجهود وتكتمل الخُطى. فإن على الإمام ـ وفقه الله ـ أعباء كثيرة ومطلوب منه بذل الجهد (أي غاية الجهد) في خدمة الإسلام، ولا نرضى منه بذل بعض الجهد

فحسب، بل لابد أن يستنفد الوسع في ذلك.

وإنها لمناسبة عظيمة أن يجتمع المصلُّون في المسجد، والإخوة في المنزل، والأسرة في دوحتهم الصغيرة، على هذه الدروس التي تُـحيي الهمم، وتقوي العزائم، وتنير البصائر..

أدعو الله أن يبارك في قليلها، وأن ينفع بها، إنه سميع مجيب.

عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن القاسم

رسالة لإمام المسجد

الحمد لله الذي يسَّر أمر الطاعة وجعلك إماماً للناس وقدوة، ولعل في هذه الأيام المباركة يكون التواصي أوثق والتناصح أوجب، ولعلمي سعة صدر مَنْ حمل القرآن، أطرح عليك أموراً لا تغيب عن بالك، منها:

أولاً: عليك عبء كبير في هذا الشهر والذي قبله من استعدادٍ وتجهيز وتحضير، ومراجعة حفظ.. فأدعو الله عز وجل أن يعينك، وأن يجعل ذلك في موازين حسناتك.

ثانياً: من التعاون على البر والتقوى ساهمتُ بهذا الكتاب المتواضع بين يديك وقسَّمته حسب ما ترى:

١- الثلاثون درساً الأولى جعلتها موزَّعة بين مواضيع متنوعة في العقيدة والعبادة والأخلاق.

٢- ما كان مرتبطاً منها بيوم مُعيَّنٍ جعلته في يومه، مثل: معركة بدر في الدرس السابع عشر، وكذلك درس زكاة الفطر وأحكام العيد في ليلة التاسع والعشرين وغيرها.

٣- ليس بالضرورة أن يكون ترتيبي متوافقاً مع ما تراه من واقع جماعة المسجد، فلك أن تُقدم وتؤخر ما شئت. وقد وضعتُ في الفهرس عنواناً لكل موضوع وملخصاً لمحتواه، حتى تختار ما تراه مناسباً.

٤- أضفتُ عشرةَ دروس زيادة عن أيام الشهر المبارك، وكان الهدف من ذلك:

(أ) بعض الأئمة ـ حفظهم الله ـ يقرؤون على جماعة المسجد في وقتين، أو ثلاثة أوقات من كل يوم، فيكون بين أيديهم بعض الدروس الإضافية التي تعينهم على ذلك.

(ب) هناك من يختار من المواضيع ما يناسب حال الجماعة، فكان التنوع أمراً مطلوباً.

(ج) جعلت ثلاثة دروس للنساء، تُقرأ في ثلاثة مجالس، أو أكثر، حسب الحاجة ورغبة الإمام. وهذه خاصة بالمسجد الذي يوجد فيه مصلى للنساء.

٥- تنوع المواضيع مدعاة إلى القراءة منها في غير أيام رمضان والأخذ منها ـ لمن أراد ـ في الخطب والمحاضرات لسهولة مادتها واستدلالها بالآية والحديث.

ثالثاً: هناك بعض الأعمال التي تكون ثمرتها في رمضان أكثر؛ ومنها:

١- هدايا رمضان: فالهدية مدخل للقلوب، وطريق للدعوة، ووسيلة ميسرة سهلة، فاختر ما يناسب أهل حيِّك ممن يشهدون الصلاة، وكذلك لمن يتخلفون عنها، واطرح مسابقة أسرية بها جوائز قيمة، وخُصَّ كل بيت بمجموعة من كتب العلماء والدعاة ومحاضراتهم فإن في ذلك خيراً عظيماً.

٢- مناصحة المقصرين وزيارتهم في بيوتهم، والاستفادة من دخول الشهر، لوصل ماتصرَّم من العلاقات وتقويتها.

٣- دعوة العلماء والدعاة لزيارة المسجد لإلقاء الدروس والمواعظ.

٤- احرص ـ أجزل الله مثوبتك ـ على دخول الكتاب والشريط الإسلامي النافع لكل بيت، واستشعر عظم الأجر وكثرة الإقبال وحسن القبول.

٥- يحسُن أن يُقرأ على جماعة المسجد ما يناسبهم من الكتب، ومن تلك الكتب التي يحتاجها كثير من الناس: الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ، وكذلك الدروس المهمة لعامة الأمة، وصفة

صلاة النبي ﷺ للشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وفي السيرة: مختصر السيرة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ وهو مطبوع حديثاً، وكذلك قراءة في أحد التفاسير الموثوقة: كتفسير الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله ـ ، وكتاب الشيخ محمد المنجد: محرمات استهان بها كثير من الناس ـ ومن أراد أن يقرأ في سيرة الصحابة والتابعين فهناك أجزاء منها للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا ـ رحمه الله ـ وكذلك صور من سير الصحابة والصحابيات للشيخ عبدالحميد السحيباني ـ وفقه الله ـ.

٦- الاستفادة من حضور النساء، والقيام بتوزيع النشرات والكتب والمطويات عليهن، وكذلك توجيه كلمة لهن من كتاب، أو إلقاء كلمة بعد التحضير الجيد للموضوع.

٧- إقامة موائد إفطار للإخوة الوافدين، ولا تنس أن تأتي ببعض الكتب للجاليات الموجودة، واجعل لهم مع غذاء البدن غذاء للروح، والأمر ميسور وسهل، فمكاتب الجاليات تسعد بأن تُمدك بالكتب والمطويات، وبالدعاة، بجميع اللغات المتيسرة.

٨- لوحة المسجد لها تأثير عجيب، ورأيت بأم عيني أناساً يقفون دقائق طويلة لقراءتها، فاحرص ـ بارك الله فيك ـ على تنوع مادتها وثرائها وفائدتها، وتجديدها بين الحين والآخر.

٩- لا يتوقف نشاطك داخل المسجد فحسب، بل عليك بالمحلات التجارية التي بجوار مسجدك، قم بزيارتهم ومناصحتهم، وحثهم على تطبيق الشريعة، ووزع الهدايا والكتب عليهم، وادعهم للصلاة، وضع في أماكن الحلاقة وغيرها مجلات إسلامية لتقرأ في هذا الشهر بدلاً عن المجلات الموجودة لديهم.

١٠- عليك ببسط النفس، ولين الجانب، وبشاشة الوجه؛ فإن تلك

الأمور اليسيرة مفتاح للقلوب القاسية. وجرِّب وسترى.

١١- ضع مسابقة لأهل الحي تتنوع فيها الأسئلة وتكون الفائدة عامة للصغار والكبار رجالاً ونساء. واجعل لهم الجوائز التي تحفزهم للمشاركة فيها، وإن تيسر لك فاجعل في هذا الشهر العظيم ثلاث مسابقات؛ في كل عشر مسابقة. وليكن من بينها مسابقة في كتاب أو شريط تتم الإجابة عن الأسئلة منه، ويعالج مشكلة متفشية في المجتمع: من التهاون بصلاة الجماعة، أو سفور المرأة، أو غيرها.

١٢- الحرص على أن تستمر حلقات تحفيظ القرآن في المسجد في أوقات مختلفة، وليكن للكبار نصيب من الوقت بعد الفجر، أو بعد العصر مثلاً.

١٣- اجعل للعيد معنى، وذلك باجتماع أهل الحي في ساحة المسجد بعد صلاة العيد، وتبادل الأحاديث، ورؤية بعضهم البعض، واحرص على جمع القلوب وتأليف النفوس.

١٤- رمضان بداية لانطلاقك طوال العام ومواصلتك لمن رأيتهم يصلون معك في رمضان، فإن هذا الشهر أخذ بأيديهم خطوة إلى الأمام وبقيت الخطوة التالية منك. ولا يخفى على مثلك أن طريق الدعوة الأنجح: هو الاحتكاك المتواصل مع الناس وتربيتهم وليس فقط الإنكار عليهم. بلِ اجمع الأمرين في قالب المحبة والنصيحة وجمِّله بالصبر. ولا أخالك ـ نضَّر الله وجهك ـ إلا حريصاً على هداية الناس ودعوتهم، ولا تتردد في ذلك فإن قدوتك نبي هذه الأمة ورسولها محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

رابعاً: المسجد هو مهد الانطلاقة لهذا الدين، وأول عمل قام به عليه الصلاة والسلام عندما وصل إلى المدينة بناء المسجد، فمن هذا المكان يُعلم الجاهل، وينبه الغافل، وينصح المقصر، وتفرج الكربة.

خامساً: الأخ المسلم يعذر أخاه في نقصه وتقصيره، فإن الكمال لله عز وجل، وما أردت بهذا الكتاب إلا أن يكون لي سهم من سهام الخير، أرجو الله عز وجل أن يتقبله، فليعذر من قرأه ووجد نقصاً أو خللاً فإن هذه سنة الله عز وجل في خلقه.

رفع الله درجتك، وأجزل مثوبتك، وأقر عينك بنصر الإسلام والمسلمين.

الدرس الأول:

إلى مَن أدرك رمضان

الحمد لله مُدبِّر الليالي والأيام، ومُصرِّف الشهور والأعوام، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فهذه وقفات قصيرة في مستهل هذا الشهر الكريم تحيي القلوب، وتذكر النفوس، وتقوي العزائم:

الوقفة الأولى: أُذكرك - أخي المسلم - بأصل الخلق وسبب الوجود، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.. قال الإمام **النووي**: «وهذا تصريح بأنهم خُلقوا للعبادة، فحُقَّ عليهم الاعتناء بما خلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشرع انفصام لا موطن دوام».

أخـــي المسلـم:

تفكـر في عظـم فضـل الله عليـك.. ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾.. وأجلُّ تلك النعم وأعظمها: نعمة الإسلام، فكم يعيش على هذه الأرض من أمم حُرمت شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.. ثم احمد الله عز وجل على نعمة الهداية والتوفيق، فكم ممن ينتسب إلى الإسلام وهم مُخالفون لتعاليمه ظاهراً وباطناً، مفرطون في الواجبات، غارقون في المعاصي والآثام، فاللهم لك الحمد.

وأنت - أيها المسلم - تتقلب في نعم الله عز وجل: من أمنٍ في الأوطان، وسعةٍ في الأرزاق، وصحةٍ في الأبدان، عليك واجب الشكر بالقول والفعل.

وأعظم أنواع الشكر: طاعة الله عز وجل واجتناب نواهيه، فإن النعم تدوم بالشكر، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

الوقفة الثانية: من نعم الله عليك أن مدَّ في عمرك وجعلك تُدرك هذا الشهر العظيم، فكم غيَّب الموت من صاحب، ووارى الثرى من حبيب.. فإن طول العمر والبقاء على قيد الحياة فرصة للتزود من الطاعات، والتقرب إلى الله عز وجل بالعمل الصالح. فرأس مال المسلم هو عمره، لذا احرص على أوقاتك وساعاتك حتى لا تضيع سدى، وتذكر مَن صام معنا العام الماضي وصلى العيد!! ثم أين هو الآن بعد أن غيبه الموت؟! واجعل لك نصيباً من حديث رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شُغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»[(١)]. واحرص أن تكون من خيار الناس كما أخبر بذلك الرسول ﷺ فعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يارسول الله أي الناس خير؟ قال ﷺ: «**من طال عمره، وحسن عمله**» قال: فأي الناس شر؟ قال ﷺ: «**من طال عمره، وساء عمله**»[(٢)].

الوقفة الثالثة: يجب الإخلاص في النية، وصدق التوجه إلى الله عز وجل، واحذر وأنت تعمل الطاعات مداخل الرياء والسمعة فإنها داء خطير قد تحبط العمل، واكتم حسناتك، وأخفها كما تكتم وتخفي سيئاتك وعيوبك، واجعل لك خبيئة من عمل صالح لا يعلم به إلا الله عز وجل: من صلاة نافلة، أو دمعة في ظلمة الليل، أو صدقة سر، واعلم أن الله عز وجل لا يتقبل إلا من المتقين، فاحرص على التقوى ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

---

(١) رواه الحاكم(٤/ ٣٤١)، وصححه الألباني، صحيح الجامع (١٠٧٧).

(٢) رواه الترمذي أبواب الزهد باب ما جاء في طول العمر للمؤمن وقال: «حديث حسن صحيح»(تحفة: ٢٤٣٢).

﴿ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾.. ولا تكن ممن يأبون دخول الجنة.. كما ذكر ذلك الرسول ﷺ بقوله: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَنْ أبى**». قالوا: ومن يأبى يارسول الله؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(١).

الوقفة الرابعة: عوِّد نفسك على ذكر الله في كل حين وعلى كل حال، وليكن لسانك رطباً بذكر الله عز وجل، وحافظ على الأدعية المعروفة، والأوراد الشرعية قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾.. وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾.. قالت عائشة رضي الله عنها: «**كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**سبق المفرِّدون**».. قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «**الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»(٣).

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وبالجملة فإن العبد إذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصي، ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية التي يجد غِبَّ إضاعتها يوم يقول: ﴿يَـٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤﴾».

واعلم ـ أخي المسلم ـ أنه لن يعمل أحد لك بعد موتك من صلاة وصيام وغيرها، فَهُبَّ إلى الإكثار من ذكر الله عز وجل، والتزود من الطاعات والقربات.

الوقفة الخامسة: احرص على قراءة القرآن الكريم كل يوم، ولو رتبت لنفسك جدولاً تقرأ فيه بعد كل صلاة جزءاً من القرآن لأتممت في اليوم

---

(١) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ (٧٢٨٠).
(٢) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب ذكر الله في حال الجنابة وغيرها(٣٧٣).
(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء باب: الحث على ذكر الله تعالى (٢٦٧٦).

الواحد خمسة أجزاء وهذا فضل من الله عظيم، والبعض يظهر عليه الجِدُّ والحماسُ في أول الشهر ثم يفتر، وربما يمر عليه اليوم واليومان بعد ذلك وهو لا يقرأ من القرآن شيئاً، وقد ورد في فضل القرآن ما تقر به النفوس، وتهنأ به القلوب. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(١).

وعن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(٢).

الوقفة السادسة: رمضان فرصة مواتية للدعوة إلى الله.. فتقرب إلى الله عز وجل في هذا الشهر العظيم بدعوة أقاربك وجيرانك وأحبابك عبر الكتاب والشريط والنصيحة والتوجيه، ولا يخلو لك يوم دون أن تساهم في أمر الدعوة، فإنها مهمة الرسل والأنبياء والدعاة والمصلحين، وليكن لك سهم في هذا الشهر العظيم، فإن النفوس متعطشة والقلوب مفتوحة، والأجر عظيم.. قال ﷺ: «**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم**»(٣).

قال الحسن رحمه الله: فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد.

الوقفة السابعة: احذر مجالس الفارغين، واحفظ لسانك من الغيبة والنميمة وفاحش القول، واحبسه عن كل ما يغضب الله، وألزم نفسك الكلام الطيب الجميل، وليكن رطباً بذكر الله.. وهي فرصة للتزود من

---

(١) رواه الترمذي، في أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ماله من الأجر(تحفة ـ ٣٠٧٥) وقال: «حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسورة البقرة(٨٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (فتح ـ٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦).

الطاعة والتفرغ للعبادة، وقد لا تتكرر الفرصة.. بل وقد تموت قبل أن تعود الفرص.. واعلم أن كل يوم يعيشه المؤمن هو غنيمة.. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان منَ بليّ من قُضاعة أسلما على عهد رسول الله ﷺ فاستشهد أحدهما وأُخِّرَ الآخر سنةً، فقال طلحة بن عبيد الله: فأُريتُ الجنة، فرأيت المؤخَّر منهما أُدخِلَ قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ أو ذُكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أليس قد صام بعده رمضان وصلّى ستة آلاف ركعة، أو كذا وكذا ركعة صلاة السنة؟**»[(١)].

الوقفة الثامنة: منزلك هو مناط توجيهك الأول، فاحرص أولاً على أخذ نفسك وتربيتها على الخير، ثم احرص على مَنْ حولك من زوجة وأخ وأخت وأبناء؛ بتذكيرهم بعظم هذا الشهر وحثِّهم على المحافظة على الصلاة، وكثرة قراءة القرآن، وكن آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر في منزلك بالقول الطيب، والكلمة الصادقة، وأتبع ذلك كله بالدعاء لهم بالهداية. وهذا الشهر فرصة لمراجعة ومناصحة المقصرين والمفرطين، فلعل الله عز وجل أن يهدي مَنْ حولك، فيكون لك الأجر العظيم كما قال رسول الله ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»[(٢)].

أخـي المسـلم:

إن أفزعتك دورة الأيام وأهمَّك أمر الآخرة، وأردت أن تعمل فلا تقصر؛ فاقصد باب التوبة: واطرق جادة العودة وقل: لعله آخر رمضان في حياتي، ولعلي لا أعيش سوى هذا العام، ولا تستكثر عليك هذا التصور. فاحزم أمرك وسر إلى الآخرة، فوالله إنك في حاجة إلى الحسنة الواحدة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٣)، وصححه الألباني «صحيح الجامع»(١٣١٦).
(٢) رواه مسلم، (١٨٩٣).

واستحضر عظمة الجبار وهول المطلع، ويوماً تشيب فيه الولدان، وفكّر في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، ونارٍ يقال لها لظى ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ وسترى بتذكر كل ذلك بإذن الله عز وجل ما يعينك على الاستمرار في العبادة، والمحافظة على الطاعة، وإن كنت قد تصدقت بما مضى من عمرك على الدنيا وهو الأكثر، فتصدق بما بقي من عمرك على الآخرة وهو الأقل.

أدعو الله عز وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يعيد هذا الشهر علينا أجمعين في خير وعافية، وأن لا يكون هذا آخر رمضان نصومه.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا، وتجاوز عن تقصيرنا، واغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، إنك أنت الغفور الرحيم.. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني

كيف نعيش رمضان؟

الحمد لله الذي خصَّ شهر رمضان عن غيره من الشهور بكثير من الخصائص والفضائل، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

فها هو شهر رمضان قد أظلنا، وحري بنا أيها الأحبة أن نعرف لهذا الضيف قدره وننزله منزلته.. ومن خصائص هذا الشهر العظيم ما يلي:

* أن الصيام أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يقوم الإسلام إلا بها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**»(١).

* في شهر رمضان بعث الله محمداً ﷺ برسالة الإسلام إلى الناس كافة.

* وفيه نزل القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

* وفيه يُضاعف الله الحسنات، ويرفع الدرجات، فقد جاء عن النبي ﷺ في ذكر فضائل رمضان «.. **من تقرَّب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه..**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/١٩١ـ١٩٢)، وهو جزء من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه في فضائل شهر رمضان، وفي سنده ضعف.

* إن رمضان مكفر لما بينه وبين رمضان الآخر من الذنوب، قال ﷺ: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر**»(١).

* الصوم سبب لتكفير الذنوب، قال ﷺ: «**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تُكفرها الصلاة والصوم والصدقة**»(٢).

* الصوم جُنَّة ووقاية من النار، قال ﷺ: «**الصوم جُنة يستجنُّ بها العبد من النار**»(٣).

* خلوف فم الصائم أطيبُ عند الله من ريح المسك.

* تستغفر الملائكة للصائمين حتى يفطروا.

* يُزين الله في كل يوم جنته ويقول: «**يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤونة والأذى ثم يصيروا إليك**»(٤).

* وهو شهر الصبر، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾.

* وفيه تصفدُ الشياطين، وتفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار، قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين**»(٥).

* فيه ليلة القدر هي خيرٌ من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها فقد حُرم خيراً كثيراً.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة... (٢٣٣).

(٢) رواه البخاري (فتح ـ ١٨٩٥) كتاب الصوم، باب الصوم كفارة، ومسلم (١٤٤) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: في الفتنة التي تموج كموج البحر.

(٣) رواه أحمد في المسند(٣/ ٣٤١) من حديث جابر رضي الله عنه، وحسنه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب». (٩٦٦).

(٤) رواه أحمد في المسند(٢/ ٢٩٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٣٢٧٧) ومسلم (١٠٧٩).

* يُغفر للصائمين في آخر ليلة من رمضان.

* لله عتقاءُ من النار، وذلك كل ليلة من رمضان.

* للصائم دعوة مستجابة لا تُرد قال ﷺ: «**ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر**»(١).

فيا أخـي الكريم: شهر هذه خصائصه وفضائله بأي شيء نستقبله؟ بالانشغال واللهو وطول السهر والاستمرار في الغفلة! أو نتضجر من قدومه ويثقل علينا، ونفرح بانقضاء يومه وليلته!

كلا! فالعبد الصالح يستقبله بالتوبة النصوح، والعزيمة الصادقة على اغتنامه، وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة، وإليك ـ أخي الكريم ـ بعضاً من الأعمال التي تتأكد في رمضان:

١ ـ الصوم:

قال ﷺ: «**كلُّ عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. يقول الله عز وجل: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به، يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي، للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»(٢).

* وقال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**»(٣).

والصيام صيام عن الطعام، وعن الحرام: من زور، وبهتان، وغيبة، ونميمة.

ولا تجعل ـ أخي المسلم ـ يوم صومك ويوم فطرك سواء، ولا يكن حظك من صيامك الجوع والعطش.

---

(١) رواه البيهقي في السنن (٣/ ٣٤٥) ومن طريقه الضياء في «الأحاديث المختارة» (٦/ ٧٤)(٢٠٥٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٣٠٣٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٨٩٤)، ومسلم (١١٥١)(١٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٩٠١)، ومسلم(٧٦٠).

٢ ـ القيام:

* قال ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[(١)].

* وقال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾.

* وفي حديث السائب بن يزيد قال: كان القارىء يقرأ بالمئين ـ يعني بمئات الآيات ـ حتى كنّا نعتمدُ على العصي من طول القيام قال: وما كانوا ينصرفون إلاّ عند الفجر.

٣ ـ الصدقة:

* عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريل. . .، كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة. .»[(٢)].

وللصدقة في رمضان مزية وخصوصية فبادر إليها، واحرص على أدائها بحسب حالك. ولها صور كثيرة منها:

أ ـ إطعام الطعام:

قال الله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾. ولهذا كان السلفُ الصالح يحرصون على إطعام الطعام سواءً كان ذلك بإشباع جائع أو إطعام أخ صالح، فلا يُشترط في المُطعَم الفقر، ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٩٠١)، ومسلم (٧٥٩).
(٢) أخرجه البخاري (فتح ـ١٩٠٢).

قال: «**تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[(١)]

قال **الشافعي** رحمه الله: «أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم فيه بالعبادة عن مكاسبهم».

ب ـ تفطير الصائمين:

وقد ورد في فضله أجر عظيم، منها قوله ﷺ: «**من فطّر صائماً كان له مثلُ أجره غير أنه لا ينقصُ من أجر الصائم شيء**»[(٢)].

٤ ـ الاجتهاد في قراءة القرآن:

شهر رمضان هو شهرُ القرآن فينبغي أن يُكثر العبد المسلم من قراءته، وقد كان من حال السلف العنايةُ بكتاب الله، فكان جبريلُ يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان، وكان عثمان بن عفّان رضي الله عنه يختم القرآن كلَّ يوم مرة، وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كلِّ يوم مرة، وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل عشر.

قال **ابن رجب**: «إنما ورد النهي عن قراءةِ القرآن في أقلَّ من ثلاثٍ على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصاً الليالي التي يُطلبُ فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها؛ فيُستحبُ الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان، وهو قولُ أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدلُّ عمل غيرهم، كما سبق ذكره».

---

(١) رواه البخاري(١٢) ومسلم (٣٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند(٤/ ١٤٤و١١٦) وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع»(٦٤١٥).

٥ ـ الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس:

عن جابر بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ «كان إذا صلَّى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناً»[١].

وأخرج الترمذي عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة**»[٢]. هذا في كل الأيام، فكيف بأيام رمضان؟!

فيا أخي ـ رعاك الله ـ استعن على تحصيل هذا الثواب الجزيل بقيام الليل. والاقتداء بالصالحين، ومجاهدة النفس في ذات الله، وعلو الهمة لبلوغ منازل الجنة.

٦ ـ الاعتكاف:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يعتكفُ في كلِّ رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوماً»[٣].

فالاعتكافُ من العبادات التي تجمع كثيراً من الطاعات؛ من التلاوة، والصلاة، والذكر، والدعاء، وغيرها.

وآكدُ الاعتكاف في العشر الأواخر تحرياً لليلة القدر، وهو الخلوة الشرعية، فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغلٍ يشغله عنه، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه، فما بقي له همٌّ سوى الله وما يرضيه عنه.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح (٦٧٠)(٢٨٧).

(٢) رواه الترمذي، (تحفة ـ ٥٨٣) وقال: «حديث حسن غريب»، والحديث صححه الألباني لشواهده، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب»(٤٦١).

(٣) أخرجه البخاري (فتح ـ ٢٠٤٤).

٧ ـ العمرة:

وفيها فضل عظيم وأجر كبير، قال ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**»(١). وفي رمضان يتضاعف هذا الفضل والأجر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: «**ما منعك أن تحجي معنا؟**» قالت: أبو فلان ـ زوجها ـ له ناضحان: حج على أحدهما، والآخر نسقي عليه، فقال لها النبي ﷺ: «**فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة**» أو قال: «**حجة معي**»(٢).

اللهم وفقنا لفعل الخيرات والمسارعة إلى الطاعات، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (فتح ـ ١٧٨٢) ومسلم (١٢٥٦).

الدرس الثالث:

أحكام الصيام وتنبيهات عامة للصائمين

الحمد لله الذي جعل في تعاقب الليل والنهار عبرة لأولي الأبصار، أحمده وأشكره على نعمه الغزار، لا إله إلا هو العزيز الغفار، حكم بفناء هذه الدار، وأمر بالتزود لدار القرار، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأبرار، **وبعد**:

فإن الصيام عبادة عظيمة، يستلزم المرء أن يعلم بعضاً من أحكامها، ويحذر أن يقع في أخطاء يجهلها.. ومن الأمور التي يجب على المسلم التنبه إليها:

أولاً: مفطرات الصائم

لا يفطر الصائم إذا تناول شيئاً من المفطرات ناسياً، أو جاهلاً، أو مكرهاً، لقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ وقوله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.

والمفطرات ثمانية هي:

(أ) الجماع: إذا وقع في نهار رمضان من صائم يجب عليه الصوم فعليه مع القضاء كفّارة مغلظة، وهي عتق، رقبة فإن لم يجد، فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً.

(ب) إنزال المني يقظة باستمناء، أو مباشرة، أو تقبيل، أو ضم، أو نحو ذلك.

(ج) الأكل أو الشرب سواء كان نافعاً أو ضاراً: كالدخان.

(د) حقن الإبر المغذية التي يُستغنى بها عن الطعام، لأنها بمعنى الأكل والشراب، فأما الإبر التي لا تغذي فلا تفطر سواء استعملها في العضلات أو في الوريد، وسواء وجد طعمها في حلقه أو لم يجده.

(هـ) حقن الدم مثل: أن يحصل للصائم نزيف فيُحقن به دم تعويضاً عما نزف منه.

(و) خروج دم الحيض والنفاس.

(ز) إخراج الدم بالحجامة ونحوها. فأما خروج الدم بنفسه: كالرعاف أو خروجه بقلع سن ونحوه فلا يفطر، لأنه ليس حجامة، ولا بمعنى الحجامة.

(ح) القيء إن تقصّده، وإن تقيّأ الشخص من غير قصد لم يفطر.

ثانياً: تنبيهات على أخطاء أو نقائص تقع من بعض الصائمين:

١ ـ عدم تبييت النية للفرض من الليل أو قبل طلوع الفجر، وإن كان قد يُكتفى لرمضان بنية واحدة.

٢ ـ تقديم السحور قبل الفجر بساعة أو ساعتين، وقد ورد الترغيب في تعجيل الفطر وتأخير السحور.

٣ ـ الإسراف من غالب الناس في المآكل والمشارب وهو خلاف ما شُرِع له الصوم من الجوع الذي هو سبب الخشوع.

٤ ـ التفريط في أداء الصلاة جماعة: كالظهر، والعصر، لعذرالكسل، أو النوم، أو الاشتغال بما لا يُجدي.

٥ ـ عدم حفظ اللسان في نهار الصيام وليله من اللغو، والرفث، وقول الزور، والكذب، والغيبة، والنميمة.

٦ ـ إضاعة الأوقات الشريفة في اللهو واللعب، ومشاهدة الألعاب والأفلام والألغاز والأحاجي، والتسكع في الطرقات.

٧ ـ التفريط في الأعمال المضاعفة في رمضان: كالأدعية، والأذكار، والقراءة، ونوافل الصلوات المؤكدة.
٨ ـ ترك صلاة التراويح جماعة مع ورود الترغيب في فعلها مع الإمام حتى ينصرف ليكتب له قيام ليلة.
٩ ـ يلاحظ أول الشهر كثرة المصلين والقرّاء، ثم يقع العجز والنقص في آخر الشهر، مع أن العشر الأواخر لها مزية على أول الشهر.
١٠ ـ ترك القيام الذي خُصَّتْ به العشر الأواخر، فقد كان النبي ﷺ إذا دخلت العشر أحيا ليله وأيقظ أهله، وجدَّ وشد المئزر.
١١ ـ السهر ليلة الصيام، ثم النوم عن صلاة الصبح فلا يصليها البعض إلا في الضحى، وذلك تفريط في هذه الفريضة.
١٢ ـ البخل بالمال ومنع ذوي الحاجة مع كثرتهم في رمضان، رغم مضاعفة أجر الصدقات في تلك الأوقات.
١٣ ـ عدم الانتباه من الكثير لأداء الزكاة المالية كاملة، مع أنها قرينة الصلاة والصيام، وإن كانت لا تختص برمضان.
١٤ ـ الغفلة عن الدعاء في وقت الصيام، وخصوصاً عند الإفطار بتناول الأكل والشرب، مع أنه ورد الحديث بذلك، وأن للصائم عند فطره دعوة لا تُرد.
١٥ ـ إضاعة سُنة الاعتكاف في رمضان، وبالأخص في العشر الأواخر مع ورودها في الكتاب والسنة.
١٦ ـ خروج الكثير من النساء إلى المساجد بلباس الزينة، مع التعطر والتطيب، مع ما فيه من أسباب الفتنة.
١٧ ـ التسهيل للنساء ليخرجن إلى الأسواق في ليالي رمضان ومع سائق أجنبي، وبلا محرم، بدون حاجة غالباً.

اللهم أتمَّ علينا هذا الشهر بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام اللهم أعِنَّا على صيامه وقيامه، اللهم واجعلنا من عتقائك من النار، وممن فاز بالدرجات في الجنات، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع:

لا إله إلا الله

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن كلمة لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد، وكلمة الإخلاص، وهي أول ركن من أركان الإسلام، وأعلى شعبة من شعب الإيمان، وهي أول وأعظم واجب على المكلَّف، وآخر واجب عليه، فلا أعظم على المكلَّف منها علماً وعملاً.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله، ولهذا عرف مشركو قريش معناها فقالوا كما ذكر الله عز وجل عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ وإلا فهم يعلمون بأن الله عز وجل هو الخالق والرازق ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾.

ومن قال هذه الكلمة عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشرك وإثبات الوحدانية مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته والعمل به فهو المسلم حقاً، ومن عمل بها من غير اعتقاد فهو المنافق، ومن عمل بخلافها من الشرك فهو المشرك الكافر وإن قالها بلسانه.

ولا إله إلا الله كلمة عظيمة، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وكلمة الإخلاص، وهي التي قامت بها السماوات والأرض، وشُرعت لتكميلها السنة والفرض، ولأجلها جُرِّدت السيوف، فمن قالها وعمل بها صدقاً وإخلاصاً وقبولاً ومحبة أدخله الله الجنة على ماكان من العمل. قال ﷺ: «من

شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ماكان من العمل»[١].

وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ لها شروطاً سبعة لا تصح إلا إذا اجتمعت واستكملها العبد، وهي:

الأول: العلم:

والمراد به العلم بمعناها نفياً وإثباتاً، وما تستلزمه من عمل، فإذا علم العبد أن الله ـ عز وجل ـ هو المعبود وحده لا شريك له، وأن عبادة غيره باطلة، وعمل بمقتضى ذلك العلم ـ فهو عالم بمعناها.

وضد العلم الجهل؛ بحيث لا يعلم وجوب إفراد الله بالعبادة، بل يرى جواز عبادة غير الله مع الله، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

الثاني: اليقين:

وهو أن ينطق بالشهادة عن يقين جازم يطمئن قلبه إليه، دون تسرب شيء من الشكوك، ويعتقد صحة ما يقوله من أحقية إلهية الله تعالى، وبطلان إلهية من عداه، وأنه لا يجوز أن يُصرف لغيره شيءٌ من أنواع التألُّه والتعبد، فإن شك في شهادته أو توقف في بطلان عبادة غير الله؛ كأن يقول: أجزم بألوهية الله ولكنني متردد ببطلان إلهية غيره؛ بطلت شهادتُه ولم تنفعه، قال تعالى مثنياً علي المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ وقد مدح الله المؤمنين أيضاً بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله

(١) أخرجه البخاري (فتح ـ ٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**»(١).

وعنه رضي الله عنه أيضاً أن النبي ﷺ قال لأبي هريرة رضي الله عنه: «**من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه فبشِّره بالجنة**»(٢).

ثالثاً: القبول:

والقبول يعني أن يقبل كل ما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، فيصدق بالأخبار، ويؤمن بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، ويقبل ذلك كله، ولا يرد منه شيئاً، ولا يجني على النصوص بالتأويل الفاسد والتحريف الذي نهى الله عنه.

وضد القبول: الرد، فإن هناك من يعلم معنى الشهادة ويوقن بمدلولها، ولكنه يردها كبراً وحسداً، وهذه حال علماء اليهود والنصارى، كما قال تعالى عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾.

ويدخل في الرد وعدم القبول من يعترض على بعض الأحكام الشرعية أو الحدود أو يردها، كالذين يعترضون على حد السرقة، أو الزنا، أو على تعدد الزوجات. فهذا كله داخل في الرد وعدم القبول.

رابعاً: الانقياد المنافي للترك:

وذلك بأن ينقاد لما دلت عليه كلمة الإخلاص، ولعل الفرق بين الانقياد والقبول، أن القبول إظهار صحة معنى ذلك بالقول، أما الانقياد فهو الاتباع بالأفعال، ويلزم منهما جميعاً الاتباع، فالانقياد: هو الاستسلام والإذعان وعدم التعقب لشيء من أحكام الله، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾

ومن الانقياد أيضاً لما جاء به النبي ﷺ: الرضى به، والعمل به دون تعقب

---

(١) رواه مسلم، (٢٧).
(٢) رواه مسلم، (٣١).

أو زيادة أو نقصان، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾.

إذا علم أحد معنى لا إله إلا الله، وأيقن بها، وقبلها، ولكنه لمن ينقد، ويذعن، ويستسلم ويعمل بمقتضى ماعلم؛ فإن ذلك لا ينفعه.

ومن عدم الانقياد ترك التحاكم لشريعة الله عز وجل، واستبدالها بالقوانين الوضعية.

خامساً: الصدق:

وهو الصدق مع الله، وذلك بأن يكون صادقاً في إيمانه صادقاً في عقيدته، ومتى كان ذلك فإنه سيكون مصدقاً لما جاء من كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ، فالصدق أساس الأقوال، ومن الصدق أن يصدق في دعوته، وأن يبذل الجهد في طاعة الله، وحفظ حدوده، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾.

وقد ورد اشتراط الصدق في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله صادقاً بها دخل الجنة**»[١].

وضد الصدق الكذب، فإن كان العبد كاذباً في إيمانه فإنه لا يُعدُّ مؤمناً، بل هو منافق؛ وإن نطق بالشهادة بلسانه، وحاله هذه أشد من حال الكافر الذي يظهر كفره، فإن قال الشهادة بلسانه وأنكر مدلولها بقلبه فإن هذه الشهادة لا تنجيه، بل يدخل في عداد المنافقين، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾.

ومما ينافي الصدق في الشهادة تكذيب ما جاء به الرسول ﷺ أو تكذيب

---

(١) رواه أحمد في المسند (٤/٤١١) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٣٥).

بعض ما جاء به؛ لأن الله سبحانه أمرنا بطاعته وتصديقه، وقرن ذلك بطاعته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾.

سادساً: الإخلاص:

وهو تصفية الإنسان عمله بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، وذلك بأن تصدر منه جميع الأقوال والأفعال خالصة لوجه الله، وابتغاء مرضاته، ليس فيها شائبة رياء، أو سمعة، أو قصد نفع، أو غرض شخصي أو شهوة ظاهرة أو خفية، قال تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ وقال: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**»(١).

وفي الصحيحين من حديث عتبان «**فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**»(٢). وقال عز وجل محبطاً لأعمال أهل الشرك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨) ﴾.

سابعاً: المحبة:

أي المحبة لهذه الكلمة العظيمة، ولما دلت عليه واقتضته، فيحب الله ورسوله ﷺ ويقدم محبتها على كل محبة، ويقوم بشروط المحبة ولوازمها؛ فيحب الله محبة مقرونه بالإجلال والتعظيم والخوف والرجاء، ويحب ما يحبه الله من الأمكنة: كمكة المكرمة، والمدينة النبوية، والمساجد عموماً، والأزمنة: كرمضان، وعشر ذي الحجة، وغيرها، والأشخاص: كالأنبياء،

---

(١) رواه البخاري ـ (فتح ـ ٩٩) كتاب العلم، باب: الحرص على الحديث.

(٢) أخرجه البخاري (فتح ـ ٤٢٥) ومسلم (٢٦٣)(٣٣) كتاب المساجد، باب رخصة في التخلف عن الجماعة لعذر.

والرسل، والملائكة، والصديقين، والشهداء، والصالحين، والأفعال: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأقوال: كالذكر، وقراءة القرآن. ومن المحبة - أيضاً - تقديم محبوبات الله على محبوبات النفس وشهواتها ورغباتها، وذلك لأن النار حُفَّت بالشهوات، والجنة حفت بالمكاره.

ومن المحبة أيضاً أن يكره ما يكرهه الله؛ فيكره الكفار، ويبغضهم، ويعاديهم، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾.

وقال ﷺ: «**ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما..**»(١).

وضد المحبة الكراهية لهذه الكلمة ولما دلت عليه وما اقتضته، أو محبة غير الله مع الله.

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾. فهؤلاء الذين بيَّـن الله جل وعلا شأنهم في هذه الآية يحبون الله، ولكنهم يحبون غيره مثل محبته، ومع ذلك سماهم الله ظالمين، والظلم هنا بمعنى الشرك بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾.

ومما ينافي المحبة أيضاً بغض الرسول ﷺ، ومما ينافيها موالاة أعداء الله من

---

(١) رواه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

اليهود والنصارى وسائر الكفار والمشركين، ومما ينافيها أيضاً معاداة أولياء الله المؤمنين.

ومما ينافي كمالها: المعاصي، والذنوب.

اللهم طهر قلوبنا من الشرك والنفاق، واجعل أعمالنا صواباً خالصة لوجهك الكريم، اللهم اجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا. وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس:

الصـــلاة

الحمد لله الذي وعد من أطاعه بجنات عدنٍ تجري من تحتها الأنهار، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن للصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أي عبادة أخرى، فهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به، قال ﷺ: «**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**»[1]. وهي فريضة دائمة مُطلقة، لا تسقط حتى في حال الخوف، قال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

وهي أول ما أوجبه الله تعالى من العبادات، وهي أول ما يُحاسب عليه العبد، وهي آخر وصية وصى بها رسول الله ﷺ أمته عند موته فقال: «**الصلاةَ، الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانكم**»[2]. وهي آخر ما يفقد من الدين، فإن ضاعت ضاع الدين كله، قال ﷺ: «**لتُنقضن عُرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عُروة، تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحُكم، وآخرهن الصلاة**»[3].

وقد ذكرها الله عز وجل من الشروط الأساسية للهداية والتقوى، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(١) رواه الترمذي (تحفة ـ ٢٧٤٩) وأحمد (٥/ ٢٣١) وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) رواه أحمد: (٦/ ٢٩٠) و صححه الألباني «صحيح الجامع» (٣٨٧٣).

(٣) رواه أحمد: (٥/ ٢٥١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٥٠٧٥).

بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ . واستثنى الله عز وجل المحافظين على الصلاة من الأخلاق الذميمة والصفات السيئة فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾

وقال جل وعلا وهو يحكي عن أهل النار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾، وتوعد عز وجل تارك الصلاة بقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ والسهو: تركها حتى يخرج وقتها. وقد جعل الرسول ﷺ الحد الفاصل بين الإسلام والكفر ترك الصلاة فقال ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»(١).

وتوعد عز وجل مَن ضيَّعها بالعذاب الشديد ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾.

والغي: واد في جهنم خبيث الطعم، بعيد القعر، جعله الله لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات.

وكان ﷺ شديد الحرص على الصلاة والمحافظة عليها، عن الأسود قال: سألت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: «**كان يكون في مهنة أهله**(تعني في خدمة أهله) **فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة**»(٢).

وبشر النبي ﷺ من اهتم بأمر الصلاة وحافظ عليها أن يُظله الله في ظله جل وعلا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل**

---

(١) رواه أحمد (٥/٣٤٦) والترمذي (تحفة - ٢٧٥٦) وابن ماجه (١/ ٣٣٣) والنسائي (١/ ٢٣١) وقال الترمذي: «حسن صحيح غريب» ورواه الحاكم (١/ ٦) وقال: « صحيح لا نعرف له علة» ووافقه الذهبي، وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٤١٤٣).

(٢) رواه البخاري: (٦٧٦).

إلا ظله» وذكر منهم «**ورجل قلبه معلق في المساجد**»[١].

ومن أوضح صفات المنافقين التخلف عن الصلاة، قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها ـ أي الصلاة ـ إلا منافق معلوم النفاق».

وقد تساهل أناس في أمر الصلاة في المساجد والله عز وجل يقول في كتابه الكريم: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

وهو نص في وجوب صلاة الجماعة ومشاركة المصلين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها لاكتفى بقوله في أول الآية «وأقيموا الصلاة».

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس، ثم أنطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**»[٢].

وفي صحيح مسلم[٣] أن رجلاً أعمى قال يارسول الله: ليس لي قائد يلائمني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟، فقال له النبي ﷺ: «**هل تسمع النداء بالصلاة؟**» قال: نعم، قال: «**فأجب**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سمع المنادي بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر، لم تقبل منه الصلاة التي صلى**» قيل: وما العذر يا رسول الله؟ قال: «**خوف أو مرض**»[٤].

وقال ﷺ: «**أثقل الصلاة على المنافقين: صلاة العشاء، وصلاة الفجر،**

---

(١) رواه البخاري: (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).
(٢) رواه البخاري (٦٤٤) ومسلم (٦٥١) (٢٥٢).
(٣) رقم (٦٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه أبوداود: (٥٥١) وصححه الألباني «صحيح الجامع» (٦٣٠٠).

ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً»[(١)] . والناس في هذا الزمن تفلَّت منهم أمر الصلاة، فمنهم من يصلي في رمضان فحسب، ومنهم من يصلي الجمعة فقط، ومنهم من يُصلي لكن بجوار زوجته! ومنهم من يُصلي العصر مع غروب الشمس ويصلي الفجر مع طلوع الشمس! وآخرون يصلون مع الجماعة أربع صلوات فحسب وأسقطوا الفجر! وآخرون يصلون ويتركون أبناءهم خلفهم في البيت فلا يُؤمرن بصلاة ولا يُنهون عن منكر!

قالت عائشة رضي الله عنها: «من سمع المنادي فلم يجب من غير عذر، لم يجد خيراً ولم يُردَ به»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «من سمع النداء ثم لم يجب من غير عذر فلا صلاة له».

وسأل رجل ابن عباس رضي الله عنهما فقال: رجل يصوم النهار ويقوم الليل، لا يشهد جمعة ولا جماعة؟ قال ابن عباس: «هو في النار».

وتأمل في أمر تفويت صلاة واحدة فقط، فقد قال ﷺ: **«الذي تفوته صلاة العصر كأنما وُتِر ماله وأهله»**[(٢)]. وقال في الحديث الآخر: **«من ترك صلاة العصر فقط حبط عمله»**[(٣)].

وقد سُئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ السؤال التالي:

أنا شاب حريص على الصلاة غير أنني أنام متأخراً فأركب الساعة (المنبه) على الساعة السابعة صباحاً أي بعد شروق الشمس، ثم أصلي وأذهب للمحاضرات، وأحياناً في يوم الخميس أو الجمعة أستيقظ متأخراً أي قبل الظهر بقليل بساعة أو ساعتين فأصلي الفجر عندما أستيقظ، علماً بأني أصلي أغلب الأوقات بغرفتي بالسكن، ومسجد السكن الجامعي ليس بعيداً عني،

---

(١) رواه البخاري: (٦٥٧) ومسلم (٦٥١)(٢٥٢).
(٢) رواه البخاري: (٥٥٢).
(٣) رواه البخاري: (٥٥٣).

وقد نبهني أحد الإخوة إلى أن ذلك لا يجوز.

المرجو من سماحتكم إيضاح الحكم فيما سبق وجزاكم الله خيراً.

فأجاب سماحة الشيخ العلاَّمة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ـ رحمه الله ـ:

من يتعمد تركيب الساعة إلى ما بعد طلوع الشمس حتى لا يُصلي فريضة الفجر في وقتها، هذا قد تعمد تركها وهو **كافر** بهذا عند جمع من أهل العلم، نسأل الله العافية لتعمده ترك الصلاة، وهكذا إذا تعمد تأخير الصلاة إلى قرب الظهر ثم صلاها عند الظهر أي صلاة الفجر، أما من غلبه النوم حتى فاته الوقت فهذا لا يضره ذلك وعليه أن يصلي إذا استيقظ، ولا حرج عليه إذا كان غلبه النوم أو تركها نسياناً.

وسُئل أيضاً فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين السؤال الآتي:

يعيب بعض علماء المسلمين على المسلم الذي يصوم ولا يصلي، فما دخل الصلاة في الصيام، فأنا أريد أن أصوم لأدخل مع الداخلين من باب الريان، ومعلوم أن رمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن، أرجو التوضيح وفقكم الله.

فأجاب حفظه الله: الذين عابوا عليك أنك تصوم ولا تُصلي على صواب فيما عابوه عليك، وذلك لأن الصَّلاة عمود الإسلام، ولا يقوم الإسلام إلا بها، والتارك لها كافرٌ خارج عن ملة الإسلام، والكافر لا يقبل الله منه صياماً، ولا صدقة، ولا حجاً ولا غيرها من الأعمال الصالحة لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾. وعلى هذا فإذا كنت تصوم ولا تُصلي، فإننا نقول لك: إن صيامك باطل غير صحيح، ولا ينفعك عند الله، ولا يقربك إليه. وأما ما وهمته من أن رمضان إلى رمضان مُكفِّر لما بينهما، فإننا نقول لك: إنك لم تعرف الحديث الوارد في هذا، فإن

رسول الله ﷺ يقول: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر**»[١]. فاشترط النبي عليه الصلاة والسلام لتكفير رمضان الى رمضان، اشترط أن تُجتنب الكبائر، وأنت أيها الرجل الذي لا تصلي وتصوم لم تجتنب الكبائر، فأي كبيرة أعظم من ترك الصلاة بل إن ترك الصلاة كُفرٌ، فكيف يكفِّر الصيام عنك، فترك الصلاة كفرٌ. ولا يُقبل منك الصيام. فعليك يا أخي أن تتوب إلى ربك، وأن تقوم بما فرض الله عليك من صلاتك ثم بعد ذلك تصوم. ولهذا لما بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هُم أجابوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات لكل يوم وليلة**»[٢] فبدأ بالصلاة ثم الزكاة، بعد ذكر الشهادتين. ا. هـ

اللهم اهدنا ووفقنا وأعنا على حسن عبادتك على الوجه الذي يرضيك عنا، اللهم يسر أمورنا واشف صدورنا، وطهر قلوبنا. ربنا هب لنا من أزواجنا وذريتنا قرة أعين، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم: (٢٣٣)(١٦).

(٢) رواه البخاري: (١٣٩٥) كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة، ومسلم (١٩) كتاب الإيمان باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

الدرس السادس:

بر الوالدين

الحمد لله الذي خلق الإنسان من عدم، وأسبغ عليه وافر النِعم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين قولاً وفعلاً وصلةً وبراً. أما بعد:

فقد أمر الله عز وجل ببر الوالدين والإحسان إليهما، قال تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾: «أي لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيىء».

وقد خصَّ الله عز وجل التربية بالذكر في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾. ليتذكر العبد شفقة الوالدين وتعبهما في التربية فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما.

وقال تعالى مؤكداً على حق الوالدين: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾.

وبر الوالدين من أفضل الأعمال، وأجلُّ القربات، وأعظم الطاعات، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**» قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»[1]. كما وأن بر الوالدين من أسباب دخول الجنة، ومن الطرق الموصلة إليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

---

(١) رواه البخاري: (٥٩٧٠) ومسلم (٨٥).

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رغم أنفه، ثم رَغِمَ أنفه، ثم رغم أنفه**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكبر، أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**»(١).

قال الحسن: البر: أن تطيعهما في كل ما أمراك به ما لم تكن معصية لله، والعقوق: هجرانهما، وأن تحرمهما خيرك.

أخـي المسـلم:

وهذا الشهر العظيم يبسط رداءه عليك وقد أظلك يومه، وأقبل عليك نفعه. تأمل في حال رجل يأتي إلى النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد وهو من أعظم الأعمال، وفيه من المشقة والتعب والحِلّ والترحال وتقطع الروح، فقال له الرسول ﷺ: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم. فقال: «**ففيهما فجاهد**»(٢).

والأمر بالإحسان إلى الوالدين عام مطلق، ينضوي تحته ما يُرضي الابن وما لا يرضيه، من غير احتجاج ولا جدل ولا مناقشة، وهذه نقطة يجب الانتباه إليها لأن أكثر الأبناء يغفلون عنها، إذ يحسبون أن البر فيما يروق لهم، ويوافق رغباتهم، والحقيقة على عكس ذلك تماماً. فالبر لا يكون إلا فيما يخالف أهواءهم وميولهم، ولو كان فيما يوافقهما لما سُمّي براً.

قال الله تعالى حاثاً على برهما ومعرفة مكانتهما: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

أخـي المسـلم:

لا تمش إليهما، بل كن مثل الطائر في سرعة إجابتهما وتلبية حاجتهما والوصول إلى رضاهم، وأتبع تلك الخدمة بالدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، وما أحسبك بلغت بعض حقهما، ولكن الله يثيب على القليل، ويبارك فيه.

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٥١).

(٢) رواه البخاري: (٥٩٧٢).

ومع هذه الدعوة الكريمة من الله عز وجل للبر والإحسان بالوالدين، إلا أننا نلاحظ اختلالاً في الموازين ونقصاً في الأفهام، فنرى من يقدِّم الصديق والرفيق على الوالدين، والبعض يترك فضائل الأعمال من بر والدين ويذهب لأقل منها.

ولننظر إلى حال الكثير وهو يهرب من أبيه حال كبره، ولا يزوره إلا في فترات متباعدة، بل ربما وضعه في أحد دور المسنين، وربما نهره أو عنَّفه بصوت مرتفع وكلام سيء، وكأنه يتخاصم مع عدوه. وهناك من يتعامل بحسن خلق ولين جانب مع الكفار، وهو سيء الطبع والخلق مع والديه!! وغالب شباب اليوم تتقدم منزلة الصديق عنده على منزلة الوالدين، والله المستعان.

ومما شاع وانتشر لقلَّة الدين، وضعف الأنفس، وتسلط النساء، طاعة الزوجة وتقديمها على الوالدين. عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: أوصاني رسول الله ﷺ: «**لا تعقَّ والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك**»[١]. ولا خير في امرأة تسوق زوجها إلى عقوق والديه وقطع رحمه.

عن عبدالله بن عمر عن أبيه قال: كانت تحتي امرأة كان عمر يكرهها، فقال: طلقها فأبيت، فأتى عمر النبي ﷺ فقال: «**أطع أباك**»[٢]. وهذا إذا كان هناك مصلحة شرعية وعدم ضرر.

أخي المسلم:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال: إن لي امرأة وإن أمي تأمرني بطلاقها. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الوالد أوسط أبواب**

---

(١) رواه أحمد: (٥/٢٣٨) وحسنه الألباني كما في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٦٧).
(٢) رواه أحمد: (٢/٢٠).

الجنة، فإن شئت فأضع ذلك الباب، أو احفظه»[١]. في هذا الحديث بيان واضح أن في عقوق الوالدين إضاعة لأوسط أبواب الجنة، وأوسطها أعدلها وأكثرها خيراً، وفي برهما حفظه. فمن التمس السعادة حافظ عليه، ولو على راحته وسروره، ومن باع آخرته بدنياه وآثر الحياة الفانية على الحياة الباقية، وفضل اللذة الدائمة فإنه لا يبالي إن حفظ أوضيع. هذا إذا كانت المرأة صالحة وأمراه بفراقها، أما إذا كانت سيئة الخلق خبيثة المنبت، وسيئة الطبع، جموح القيادة؛ فطلاقها خير وأبقى.

كما وأن الأخت المسلمة الموفقة التي تخاف الله عز وجل لها نصيب في إعانة الزوج على بر والديه واحتساب الأجر في ذلك، ودفعه إلى برهما ومراعاة حالهما وكبر سنهما، وإن من حسن العشرة وطيب المعدن التودد إلى والديه وخدمتهما وتفقد حاجاتهما.

قال **مجاهد**: لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه، ومن شدَّ النظر إلى والديه فلم يبرهما، ومن أدخل عليهما حزناً فقد عقهما.

واحذر ـ أخي المسلم ـ من عقوق الوالدين فعن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال الرسول ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثاً**. قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين ـ وجلس وكان متكئاً ـ ألا وقول الزور**» ما زال يكررها حتى قلت: ليته سكت. »[٢].

وعن معاوية بن جاهمة بن العباس السلمي: أن جاهمة رضي الله عنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أردت الغزو وجئت أستشيرك. فقال: «هل

---

(١) رواه أحمد:(٦/ ٤٤٥) والترمذي: (١٩٦١) ـ تحفة وقال: «حديث صحيح»، وصححه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع (٧١٤٥).

(٢) رواه البخاري: (٥٩٧٦) كتاب الأدب: باب عقوق الوالدين من الكبائر.

لك من أم؟» قال: نعم. قال: «**الزمها فإن الجنة عند رجليها**»(١).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبواي يبكيان. فقال: «**ارجع فأضحِكْهما كما أبكيتهما**» وفي لفظ آخر: «**لا أبايعك حتى ترجع إليهما فتضحكهما كما أبكيتهما**»(٢).

قال **بشر بن الحارث**: الولد بالقرب من أمه تسمع نَفَسَه، أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله عز وجل، والنظر إليهما أفضل من كل شيء.

وعن **عطاء** أن رجلاً أقسمت عليه أمه: لا تُصلي إلا الفريضة، ولا تصوم إلا شهر رمضان قال: **يُطيعها**؛ لأن طاعتها مقدمة على نوافل العبادات.

وقال هشام بن حسان: قلت **للحسن**: إني أتعلم القرآن وإن أمي تنتظرني بالعشاء، قال الحسن: تعشَّ العشاء مع أمك تقرُّ بها عينك أحب إليَّ من حجة تحجها تطوعاً.

ورأى **ابن عمر** رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة، فقال: يا **ابن عمر**: أتراني جازيتها؟ قال: ولا بطلقة واحدة من طلقاتها، ولكن قد أحسنت، والله يثيب على القليل كثيراً.

أخـــي المســـلم:

لو أكرمك إنسان يوماً من الدهر أو يومين لأكثرت من الثناء عليه وشكره وتعداد محاسنه، فما بال والديك لا يريان إلا جحوداً وصدوداً وهّماً منهما في حياتك؟ سنوات طويلة وهما يتفقدانك ويقدمان لك الأكل والشرب والغذاء والكساء، والدواء والعلاج، والرحمة والحنان، والرعاية والتربية، ثم

---

(١) رواه أحمد: (٣/ ٤٢٩) وحسنه الشيخ الألباني كما في صحيح الجامع (٥٦٣).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: (١٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الشيخ الألباني.

نهاية كل ذلك المعروف وهذا الخير أن تهجرهما! سبحان الله ما أقسى القلب وما أبعده عن الخير!

أخي المسلم:

ولم نر ابناً مرض حينما فقد أباه أو أمه، وتأمل في يعقوب عليه السلام وكيف أثر فقد ابنه يوسف عليه ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾.

ومما شاع من صور العقوق: إبكاؤهما وتحزينهما، وعدم زيارتهما إلا على فترات متباعدة، وعدم تفقد أحوالهم الصحية والمادية. كذلك إدخال المنكرات والتهاون في طاعة الله من قبل الأبناء فإن ذلك يسوؤهما ويدخل الحزن على قلوبهما، ومما شاع بين بعض الناس عدم احترامهما والقيام لهما وتقبيل رأسهما وإجابة طلبهما، ومن العقوق: أن يستحوذ الغرور على الأبناء فيستحيون أن يُنسبوا إلى آبائهم، لاسيما إذا كانوا في مراكز اجتماعية مرموقة وبسطة في المال واسعة.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أمك**» قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»(١).

قال **ابن بطال**: إن الأم تنفرد عن الأب بثلاثة أشياء: صعوبة الحمل، وصعوبة الوضع، وصعوبة الرضاع.

وفي تقديم الأم على الأب حكمة، بالغة فهي بالإضافة إلى ما تبذله من جهد يفوق جهده إلا أنها في حاجة إلى من يعولها ويبرها، لأنها ضعيفة الجسم عديمة الكسب، تحتاج إلى المدارة والعاطفة! ومن أحق الناس بذلك سوى ابنها!

---

(١) رواه البخاري: (٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨).

أخـي الحبيب:

من صور البر لمن فقد والديه وغيَّبهما الموت: الدعاء لهما بالرحمة والمغفرة، وإنفاذ وصيتهما، وكذلك التصدق عنهما، وصلة رحمهما، كما جمع ذلك الرسول ﷺ حينما سأله رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله، هل بقي عليَّ من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به؟ قال: «**نعم خصال أربع: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحمة التي لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما**»(١).

أخـي الشـاب: وصية من الله لك من فوق سبع سماوات، من كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ. هاهما بجوارك قد دبَّ المشيب إليهما، واحدودب الظهر منهما، وارتعشت الأطراف، لا يقومان إلا بصعوبة، ولا يجلسان إلا بمشقة، أنهكتهما الأمراض، وزارتهما الأسقام، عليك بالبر والإحسان ولا تبخل عليهما بمالك وجهدك وحسن خلقك وطيب معشرك.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا واجزهم عنا خير الجزاء، اللهم ارفع درجاتهم وأعل قدرهم. واجعل ما أصابهم تكفيراً لذنوبهم، ورفعاً لمنزلتهم، اللهم أسكنهم الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء، وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

---

(١) رواه أحمد: (٣/٤٩٧ـ٤٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٣٥) وأبو داود (٥١٤٢) وابن ماجه (٣٦٦٤)، وضعفه الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ.

الدرس السابع:

القــرآن العظيم

الحمد لله منزل الكتاب وهازم الأحزاب، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فلقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة بالقرآن الذي فيه نبأ ما قبلها، وخبر ما بعدها، وحكم مابينها، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به ألسنة الضعفاء، ولا يشبع منه العلماء. لا يَخلقُ عن كثرة الردّ ولا تنتهي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

وقد وصفه الله عز وجل بأوصاف عظيمة منها أنه هدى للمتقين ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ وهو هدى للناس ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾.

كما وصفه الله عز وجل بأنه روح تحيا به القلوب ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ وهو الذي يهدي للطريق المستقيم ويحمل البشارات العظيمة ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾.

وهو الفرقان والنذير ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾، كما وصفه الله عز وجل بأنه شفاء وهدى ورحمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ

﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾.

ونحن في هذه الأيام في شهر رمضان فقد ابتدأ نزول القرآن فيه، وكذلك فإن رمضان هو الذي أُنزل فيه القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، والثالثة: أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ في رمضان فيدارسه القرآن كل ليلة.

ورتَّب الله عز وجل الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن تعلم القرآن وعلمه، وجعلهم خيرة هذه الأمة. قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(١) وقال عليه الصلاة والسلام: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»(٢).

وقد تسابق المتسابقون لهذا الفضل العظيم والأجر الجزيل. وتطلَّعت النفوس إلى قراءته وحفظه وتطبيق أحكامه والعبرة بما فيه من قصص ومواعظ. فترك العلماء قراءة الحديث وتعليم العلم، وأقبلوا على المصحف وكان منهم من يختم كل ثلاث ليالٍ مرة، وبعضهم كل ليلتين مرة، وآخرون لهم في كل ليلة ختمة. **والسُّنة أن يختم القرآن في كل شهر مرة**(٣) **وإن استطاع ففي كل أسبوع مرة، بل إن استطاع ففي كل ثلاث ليال مرة**(٤).

وهذا القرآن سهلٌ قراءته، سريع حفظه، مُيَسَّرٌ فهمه، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾.. وتأمل في حال الصغار وكيف يسره الله عليهم قراءة وتلاوة وحفظاً.

---

(١) رواه البخاري: (٥٠٢٧).
(٢) رواه الترمذي(٣٠٧٥ـ تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح غريب».
(٣) رواه البخاري: (٥٠٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٤) رواه أحمد: (٢/١٥٨) وأبو داود (١٣٩١).

فشمِّـــر ولُـــذْ بـــالله واحفـــظ كتـــابــه
ففيــــه الهـــدى حقـــاً وللخير جـــامـــع
هـــو الـــذخـــر للملهـــوف والكنـــز والـــرجـــا
ومنــــه بـــلاشـــك تُنـــال المنـــافـــع
بـــه يهتـــدي مـــن تـــاه في معمـــة الهـــوى
بـــه يتسلى مـــن دهتـــه الفجـــائـــع

قال **ابن القيم**: هجر القرآن أنواع: هجرُ سماعه والإيمان به، وهجر العمل به، وهجرُ تحكيمه، وهجر تدبره، وهجر الاستشفاء به في أمراض القلوب والأبدان وهذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾.

وقال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظه لم يكن من أهل العلم والدين.

ومن أحسن صحبة القرآن وتلاوته وتدبر معانيه وتطبيق أحكامه فإن القرآن يصحبه حتى يقوده إلى الجنة في درجاتها العالية، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتقِ ورتّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**»[(١)].

وإذا أردت ـ أخي القارىء ـ الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به مَنْ تكلم به، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾.

---

(١) رواه أبوداود (١٤٦٤) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٨١٢٢).

قال **عثمان بن عفان** رضي الله عنه: لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم.

وقال **الحسن** - في نصيحة غالية -: يا ابن آدم والله إن قرأت القرآن ثم آمنت به ليطولن في الدنيا حزنك، وليشتدن في الدنيا خوفك، وليكثرن في الدنيا بكاؤك.

أما حال المنافقين والكسالى فإن حالهم كما قال **أوس بن عبدالله**: نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن.

فاحرص - أخي المسلم - على الاستفادة من أوقاتك وألزم نفسك الجد والمثابرة، ولو رتبت لنفسك قراءة جزأين أو ثلاثة بعد كل صلاة لقرأت خيراً عظيماً وإذا كانت قراءتك في المسجد فإن لك نصيباً من حديث الرسول ﷺ: «**المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح والرحمة والجواز على الصراط إلى رضوان الله إلى الجنة**»[1]. ولا تقتصر همتك على ذلك بل احرص أن تكون ذا همة عالية ممن يختم في كل ثلاث ليال أو أقل، فإن هذه أيام فاضلة كان السلف يستغلونها ويقرأون مثل ذلك وليكن لك قراءة في بيتك وطريقك، واحذر مصاحبة البطالين فارغي العقول والأوقات. وقد أوصى بعض السلف أصحابه فقال: إذا خرجتم من عندي فتفرقوا لعل أحدكم يقرأ القرآن في طريقه، ومتى تجمعتم تحدثتم.

وعلى كل من استرعاه الله على رعية أن يحثهم على قراءة القرآن، ويشجعهم على حفظه ويجعل لهم الجوائز القيمة والعطايا السنية ليفوز بالأجر العظيم وليكون له مثل أجورهم، فالدال على الخير كفاعله،

---

(١) رواه الطبراني: (٦/ ٢٥٤)(٦١٤٣). وصححه الألباني في الترغيب والترهيب (٣٢٥) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

ولتكن بيوتنا مثل بيوت سلف هذه الأمة لا تُسمع فيها إلا أصوات القرآن والذكر.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صُدورنا، وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا وسائقنا ودليلنا إلى جناتك جنات النعيم، اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، واغفر لنا وارحمنا ووالدينا وجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن:

الولاء والبراء

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، فجعله غثاء أحوى، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن الولاء والبراء ركن من أركان العقيدة، وشرط من شروط الإيمان تغافل عنه كثير من الناس، وأهمله البعض، فاختلطت الأمور، وكثر المفرطون.

ومعنى **الولاء**: هو حب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ونصرتهم.

والبراء: هو بغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق.

فكل مؤمن موحد ملتزم للأوامر والنواهي الشرعية، تجب محبته وموالاته ونصرته. وكل من كان خلاف ذلك وجب التقرب إلي الله تعالى ببغضه ومعاداته وجهاده بالقلب واللسان بحسب القدرة والإمكان، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾.

والولاء والبراء أوثق عرى الإيمان، وهو من أعمال القلوب، لكن تظهر مقتضياته على اللسان والجوارح، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**من أحب لله، وأبغض لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**».[1]

ومنزلة عقيدة الولاء والبراء من الشرع عظيمة، ومنها:

---

(١) أخرجه أبوداود: (٤٦٨١) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٥٩٦٥).

أولاً: أنها جزء من معنى الشهادة وهي قول: «**لا إله**» من «**لا إله إلا الله**» فإن معناها البراء من كل ما يعبد من دون الله.

ثانياً: أنها شرط في الإيمان كما قال تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾.

ثالثاً: أن هذه العقيدة أوثق عرى الإيمان، لما روى أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**»(١).

يقول **الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب** رحمهم الله: فهل يتم الدين أو يُقام علم الجهاد، أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بالحب في الله، والبغض في الله، والمعاداة في الله، والموالاة في الله، ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء، لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان.

رابعاً: أنها سبب لتذوق حلاوة الإيمان، ولذة اليقين، لما جاء عنه ﷺ أنه قال: «**ثلاث من وجدهن وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»(٢)

خامساً: أنها الصلة التي يقوم على أساسها المجتمع المسلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

سادساً: أنه بتحقيق هذه العقيدة تُنال ولاية الله، لما روى ابن عباس رضي

---

(١) مسند أحمد (٤/٢٨٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٣٩).

(٢) سبق تخريجه في ص ٣٢.

الله عنهما قال: «من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك».

سابعاً: أن عدم تحقيق هذه العقيدة قد يدخل في الكفر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾.

ثامناً: أن كثرة ورودها في الكتاب والسنة يدل على أهميتها.

يقول **الشيخ حمد بن عتيق** رحمه الله: «فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد، وتحريم ضده».

وقال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يواد إلا لله، ولا يُعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله».

ومن صور مولاة الكفار أمور شتى منها:

١- التشبه بهم في اللبس والكلام.

٢- الإقامة في بلادهم، وعدم الانتقال منها إلى بلاد المسلمين لأجل الفرار بالدين.

٣- السفر إلى بلادهم لغرض النزهة ومتعة النفس.

٤- اتخاذهم بطانة ومستشارين.

٥- التأريخ بتاريخهم خصوصاً التاريخ الذي يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادي.

٦- التسمي بأسمائهم.

٧- مشاركتهم في أعيادهم، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بمناسبتها، أو حضور إقامتها.

٨- مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية والحضارة، والإعجاب بأخلاقهم ومهاراتهم، دون نظر إلى عقائدهم الباطلة، ودينهم الفاسد.

٩- الاستغفار لهم، والترحم عليهم.

قال **أبو الوفاء بن عقيل**: «إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان، فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة، عاش ابن الراوندي والمعري - عليهما لعائن الله - ينظمون وينثرون كفراً، وعاشوا سنين، وعظمت قبورهم، واشتريت تصانيفهم، وهذا يدل على برودة الدين في القلب».

وعلى المسلم أن يحذر من أصحاب البدع والأهواء الذين امتلأت بهم الأرض، وليتجنب الكفار وما يبثون من شبه وشهوات، وليعتصم بحبل الله المتين وسنة نبيه الكريم. وعلى المسلم أن يفطِن إلى الفرق بين حسن التعامل والإحسان إلى أهل الذمة وبين بُغضهم وعدم محبتهم. ويتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر. ومن برهم لتقبل دعوتنا: الرفق بضعيفهم، وإطعام جائعهم، وكسوة عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف معهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة، والدعاء لهم بالهداية، وينبغي أن نستحضر في قلوبنا ما جُبلوا عليه من بغضنا، وتكذيب نبينا محمد ﷺ.

اللهم وفقنا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ والسير على هداهما وحب الله ورسوله والمؤمنين وموالاتهم، وبغض الكفار والمشركين ومعاداتهم.

اللهم اجعلنا ممن ينصر هذا الدين ويدافع عنه. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع:

قيمة الوقت في حياة المسلم

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، والصلاة والسلام على البشير النذير، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن رأس مال المسلم في هذه الدنيا هو الوقت الذي هو مادة الحياة. والوقت أنفس من المال وأغلى، أرأيت لو أن محتضراً وضع أمواله جميعاً ليُزاد في عمره يومٌ واحد هل يحصل له ذلك التمديد وتلك الزيادة؟!.

ولعظم أهمية الوقت فقد أقسم الله به عز وجل في آيات كثيرة من كتابه الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾.

فأقسم جل وعلا بالعصر، وهو الدهر الذي هو زمن تحصيل الأرباح والأعمال الصالحة للمؤمنين، وزمن الشقاء للمعرضين، ولما فيه من العبر والعجائب للناظرين.

ويقول عز وجل في بيان هذه النعم العظيمة التي هي من أصول النعم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من**

أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ**»(٢).

أخي المسلم:

من رأي حال الناس اليوم مع الوقت يكون جواب تَعجُّبه أننا خُلقنا لنأكل ونشرب، ونتمتع ونلعب، ونلهو، ونبني الدور والقصور.. وهذا هو واقع الكثير.. وحينئذ يشتركون في هذه الأهداف الدنيوية مع البهائم والكفار الذين همهم في الحياة الأكل والشرب والتمتع بملاذ الدنيا حلالاً كانت أم حرماً، والله عز وجل خلقنا لأمر عظيم حدد الإجابة فيه بآية كريم فقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

قال **الإمام النووي**: «وهذا تصريح بأنهم خُلقوا للعبادة، فحقَّ عليهم الاعتناء بما خُلقوا له، والإعراض عن حُظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبورٍ لا منزل حبور، ومُشرع انفصام لا موطن دوامٍ».

والرسول ﷺ يقول: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك**»(٣).

وعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا، والحصاد هناك في

(١) رواه الترمذي: (٢٥٣٢) (تحفة الأحوذي) من حديث أبي بزرة الأسلمي، وقال: «حسن صحيح».

(٢) رواه البخاري: (٦٤١٢) كتاب الرقاق، باب ماجاء في الرقاق.

(٣) رواه الحاكم (٤/٣٠٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

الآخرة، فلا يحسن بالمسلم أن يضيع أوقاته وينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه.

ومن جَهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه، ولكن بعد فوات الأوان، وفي هذا يذكر القرآن موقفين للإنسان يندم فيهما على ضياع وقته حيث لا ينفع الندم:

الموقف الأول: ساعة الاحتضار، حيث يستدبر الإنسان الدنيا ويستقبل الآخرة، ويتمنى لو مُنح مهلة من الزمن، وأُخِّر إلى أجل قريب ليصلح ما أفسده ويتدارك ما فات.

الموقف الثاني: في الآخرة، حيث تُوَفَّى كل نفس ما عملت وتُجزى بما كسبت، ويدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، هناك يتمنى أهل النار لو يعودون مرة أخرى إلى حياة التكليف، ليبدأوا من جديد عملاً صالحاً.

هيهات هيهات لما يطلبون فقد انتهى زمن العمل وجاء زمن الجزاء.

أخـي المسـلم:

الزمن كالمال كلاهما يجب الحرص عليه والاقتصاد في إنفاقه وتدبير أمره، وإن كان المال يمكن جمعه وإدخاره بل وتنميته فإن الزمن عكس ذلك؛ فكل دقيقة ولحظة ذهبت لن تعود إليك أبداً ولو أنفقت أموال الدنيا أجمع.

وإذا كان الزمن مقدراً بأجل معين وعمر محدد لا يمكن أن يُقدم أو يُؤخر، وكانت قيمته في حُسن إنفاقه ـ وجب على كل إنسان أن يحافظ عليه ويستعمله أحسن استعمال ولا يفرط في شيء منه قلَّ أو كثر.

ولكي يحافظ الإنسان على وقته يجب أن يعرف أين يصرفه؟ وكيف يصرفه؟ وأعظم المصارف وأجلها طاعة الله عز وجل، فكل زمن أنفقته في تلك الطاعة لن تندم عليه أبداً.

قال الحسن: من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه خذلاناً من الله عز وجل.

وقال **أبوحازم**: إن بضاعة الآخرة كاسدة يوشك أن تنفق فلا يوصل منها إلى قليل ولا كثير، ومتي حيل بين الإنسان والعمل، لم يبق له إلا الحسرة والأسف عليه ويتمنى الرجوع إلى حال يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه.

وينبغي للمؤمن أن يتخذ من مرور الليالي والأيام عبرة لنفسه، فإن الليل والنهار يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويطويان الأعمار، ويشيبان الصغار، ويفنيان الكبار.

ألم تــــــر أن اليــــــوم أسرعُ ذاهـــــــب
وأن غـــــداً للنـــــاظـــــريـــــن قـــــريـــــبُ

سأل **الفضيل بن عياض** رجلاً فقال له: كم أتت عليك؟ قال: ستون! قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك، توشك أن تبلغ. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون!

فقال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: ـ إنا لله وإنا إليه راجعون ـ!! فمن عرف أنه لله عبد، إليه راجع، فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول، ومن علم أنه مسئول، فليُعدَّ للسؤال جواباً. فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة! قال: ما هي؟ قال: تُحسن فيما بقي يُغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

وإذا كان هذا القول لمن قاربت سنة الستين، فللشباب قول **الحسن** رحمه الله لأصحابه: يامعشر الشيوخ، ماذ ينتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد. قال: يا معشر الشباب، إن الزرع قد تدركه العاهة قبل أن يبلغ.

أخــي المســلم:

إن وقت الإنسان هو عمره في الحقيقة، وهو مادة حياته الأبدية في النعيم المقيم، ومادة معيشته الضنك في العذاب الأليم، وهو يمر مرَّ السحاب، فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره، وغير ذلك ليس

محسوباً من حياته وإلا عاش فيه عيش البهائم، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته.

قال **بلال بن سعد**: يُقال لأحدنا: تريد أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال له: لم؟ فيقول: حتى أتوب وأعمل صالحاً، فيقال له: اعمل، فيقول: سوف أعمل، فلا يحب أن يموت ولا يحب أن يعمل، فيؤخر عمل الله تعالى ولا يؤخر عمل الدنيا.

أخي المسلم:

استثمر وقتك ولا تضيع دقيقة منه، ولا تكن كمن إذا جاءه هادم اللذات ومفرق الجماعات قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩﴾ ولماذا يعود ويرجع هل ليبني داره ويؤثث مسكنه؟! ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾

ولكن الرجعة مستحيلة والعود بعيد! فاعمل - أخي المسلم - لهذا اليوم واستعد له، واعلم أنه لن يصوم عنك أحد، ولن يصلي عنك أحد، فاعمل لنفسك.

جعلني الله وإياك ووالدينا في روضات الجنات، وبارك في أعمالنا وأعمارنا وأوقاتنا، اللهم اجعل خير أعمالنا آخرها، وخير أعمارنا خواتمها، وخير أيامنا يوم لقائك. ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العاشر:

نواقض الإسلام

الحمد لله الذي كان بعباده خبيراً بصيراً، وتبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً، وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذَّكَّر أو أراد شكوراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فاعلم أيها المسلم أن الله سبحانه، أوجب على جميع العباد الدخول في الإسلام، والتمسك به والحذر مما يخالفه، وبعث نبيه محمداً ﷺ للدعوة إلى ذلك، وأخبر عز وجل أن من اتبعه فقد اهتدى، ومن أعرض عنه فقد ضل، وحذر في آيات كثيرات من أسباب الردة، وسائر أنواع الشرك والكفر، وذكر العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد أن المسلم قد يرتد عن دينه بأنواع كثيرة من النواقض، التي تحل دمه وماله ويكون بها خارجاً من الإسلام، ومن أخطرها وأكثرها وقوعاً عشرة نواقض ذكرها الشيخ الإمام **محمد بن عبدالوهاب** وغيره من أهل العلم رحمهم الله جميعاً، ونذكرها لك فيما يلي على سبيل الإيجاز لتحذرها وتُحذِّر منها غيرك، رجاء السلامة والعافية منها.

الأول: من النواقض العشرة: الشرك في عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾. وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ ومن ذلك: دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾.

الثالث: من لم يُكفِّر المشركين أو شكَّ في كفرهم، أو صحَّح مذهبهم كفر، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله، حَرُمَ ماله ودمه، وحسابه على الله**»(١).

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر. ومن اعتقد أن الأنظمة والقوانين التي يسنها الناس أفضل من شريعة الإسلام أو أنها مساوية لها، أو أنه يجوز التحاكم إليها، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، أو أن نظام الإسلام لا يصلح تطبيقه في القرن العشرين، أو أنه كان سبباً في تخلف المسلمين، أو أنه يُحصر في علاقة المرء بربه، دون أن يتدخل في شئون الحياة الأخرى. ويدخل في الرابع أيضاً من يرى أن إنفاذ

---

(١) رواه مسلم: (٢٣) كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله.

حكم الله في قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن، لا يناسب العصر الحاضر، ويدخل في ذلك أيضاً كل من اعتقد أنه يجوز الحكم بغير شريعة الله في المعاملات أو الحدود أو غيرهما، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة، لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرم الله مما هو معلوم من الدين بالضرورة، كالزنا والخمر والربا والحكم بغير شريعة الله، فهو كافر بإجماع المسلمين.

الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾.

السادس: من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

السابع: السحر ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾.

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

التاسع: من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

العاشر: الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف، إلا المكره.

وكلها من أعظم ما يكون خطراً، وأكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرها، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل. اللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد ﷺ وعبادك الصالحون، ونعوذ بك من شر ما استعاذ منه عبدك ونبيك محمد ﷺ وعبادك الصالحون. اللهم آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير مَنْ زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً ونحن نعلم، ونستغفرك لما نعلم. ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

الدرس الحادي عشر:

الخلفاء الراشدون

الحمد لله الذي فضل من شاء من عباده، ورفع في الجنة منازل أحبابه، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد:**

فإن قراءة سير الصحابة والاقتداء بهم، نهجٌ غفل عنه البعض وطواه النسيان عند آخرين. ومعرفة سيرتهم وفضائلهم سببٌ لمحبتهم وتقرب إلى الله بذلك، وقد قال الرسول ﷺ: **«المرء مع من أحب»**(١). ويتأكد الفضل والخير في الخلفاء الأربعة لسابقتهم في الإسلام وبلائهم وجهادهم، عن مسروق أنه قال: حُب أبي بكر وعمر ومعرفة فضلهما من السنة، وقيل للحسن: حب أبي بكر وعمر من السنة؟ قال: لا، بل فريضة.

وقد ذكر **ابن الجوزي** أن السلف كانوا يُعلِّمون أولادهم حب أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السور من القرآن. وعلى هذا يتأكد بيان علم الصحابة ودينهم وفضائلهم.

قال شيخ الإسلام **ابن تيمية**: وأما الخلفاء الراشدون والصحابة فكل خير فيه المسلمون إلى يوم القيامة من الإيمان والإسلام والقرآن والعلم والمعارف والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم على الكفار وعلو كلمة الله، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلَّغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله. وكل مؤمن آمن بالله، فللصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الفضل إلى يوم القيامة، وخير الصحابة تبع لخير الخلفاء الراشدين، فهم كانوا أقوم بكل خير في الدنيا والدين من سائر الصحابة، كانوا والله أفضل هذه

---

(١) رواه مسلم: (٢٦٤٠) كتاب البر والصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب.

الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. وقد أثنى الله عليهم هو ورسوله ورضي عنهم وأعد لهم الحسنى في آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير القرون القرن الذي جئت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»(١). ومن أفضل الصحابة وأجلِّهم، وأكثرهم نفعاً للأمة الخلفاء الراشدون، وسنتحدث عنهم بإيجاز سريع:

أولاً: أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن كعب ويجتمع مع النبي ﷺ في مرة بن كعب، وكنيته أبوبكر، وعثمان هو اسم أبي قحافة، ولد أبوبكر بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر. وكان تاجراً جمع الأموال العظيمة التي نفع الله بها الإسلام حين أنفقها، وهو أول من أسلم من الرجال. وقد وصفه الرسول ﷺ بالصديق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**صعد رسول الله ﷺ أحداً**

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٢٥٣٣).

ومعه أبوبكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبت أُحد، فإنما عليك نبي وصدِّيق وشهيدان»[١].

وأبوبكر رضي الله عنه أول من دعا إلى الله من الصحابة فأسلم على يديه أكابر الصحابة، ومنهم عثمان بن عفان وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وأبوعبيدة رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قال عنه الرسول ﷺ: «**إن من أمنِّ الناس عليَّ في صحبته وذات يده أبوبكر**»[٢]. وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر**» فبكى أبوبكر وقال: «وهل أنا ومالي إلا لك يارسول الله؟»[٣]. وإنفاق أبي بكر هذا كان لإقامة الدين والقيام بالدعوة فقد أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة وغيرهما كثير.

وفي الترمذي وسنن أبي داود عن عمر رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال النبي ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» فقلت: مثله، وأتى أبوبكر بكل ما عنده، فقال: «**يا أبا بكر، ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقه إلى شيء أبداً[٤].

وكانت أحب نساء الرسول ﷺ إليه عائشة ابنة الصديق رضي الله عنهما.

ولأبي بكر ذروة سنام الصحبة وأعلاها مرتبة فإنه صحب الرسول ﷺ من حين بعثه الله إلى أن مات، فقد صحبه في أشد أوقات الصحبة، ولم يسبقه

---

(١) رواه البخاري: (٣٦٧٥).
(٢) أخرجه البخاري: (٣٦٥٤).
(٣) رواه أحمد: (٢/٢٥٣).
(٤) رواه أبوداود (١٦٧٨) والترمذي (٣٩٢١ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح».

أحد فيها، فقد هاجر معه واختبأ معه في الغار، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ والصديق رضي الله عنه أتقى الأمة بدلالة الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾.

وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنها نزلت في أبي بكر.

ولأبي بكر من الفضائل والخصائص التي ميزه الله بها عن غيره كثير، منها: أنه أزهد الصحابة، وأشجع الناس بعد رسول الله ﷺ، وأنه أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ، ولم يسؤْهُ قط، وهو أفضل الأمة بعد النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهو أول من يدخل الجنة كما روى أبوداود في سننه أن النبي ﷺ قال لأبي بكر: «**أما إنك يا أبابكر أول من يدخل الجنة من أمتي**»(١) وهو أحق الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ.. وتأمل في خصال اجتمعت فيه في يوم واحد: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**من أصبح منكم اليوم صائماً**؟ فقال: أبوبكر: أنا، قال: **فمن تبع منكم اليوم جنازة**؟ فقال أبوبكر: أنا، قال: **هل فيكم من عاد مريضاً**؟ قال أبوبكر: أنا. **قال**: **هل فيكم من تصدق بصدقة**؟ فقال أبوبكر: أنا. قال: **ما اجتمعن في امرىءٍ إلا دخل الجنة**»(٢).

وكما كتب الله لأبي بكر رضي الله عنه أن يكون مع الرسول ثاني اثنين في الإسلام، فقد كتب له أن يكون ثاني اثنين في غار ثور، وأن يكون ثاني اثنين في العريش الذي نُصب للرسول ﷺ في يوم بدر.

---

(١) رواه أبوداود: (٤٦٥٢).

ولعلم الصحابة بمكانه وقربه من الرسول وفضله وسابقة إسلامه فقد بايعوه بعد وفاة الرسول ﷺ بالخلافة، وقد كان أمر وفاة الرسول ﷺ ذا حزن وفزع وصدمة عنيفة، وقف لها أبوبكر ليعلن للناس في إيمان عميق قائلاً: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا على الناس قول الله عز وجل لرسوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

وتمت البيعة بإجماع من المهاجرين والأنصار. وقد كانت سياسته العامة والخاصة خير للإسلام والمسلمين والناس كافة، أوجزها في كلمة قالها خطيباً في مسجد رسول الله ﷺ بعد أخذ البيعة قال: «أيها الناس، إني قد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

وهي خطبة شاملة جامعة أتبعها بالعمل لخدمة هذا الدين ونشره، فأنفذ جيش أسامة بن زيد، وبلغ من تكريم أبي بكر لهذا الجيش الذي جهزه الرسول ﷺ أن سار في توديعه ماشياً على قدميه وأسامة راكب، وقد أوصى الجيش بوصية عظيمة فيها تعاليم الإسلام ومبادئه السمحة.

ثم قام أبوبكر بعمل عظيم لا ينهض له إلا الرجال الموفَّقون، فقد وقف للردة التي وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ موقفاً لا هوادة فيه ولا ليونة، وقال كلمته المشهورة: «والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلا والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها».

ولما يسر الله عز وجل القضاء على المرتدين انطلقت عينا أبي بكر خارج الجزيرة العربية رغبة في نشر هذا الدين وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فوجَّه الجيوش إلى الجهاد في أرض فارس والروم وجعل على قائد جبهة الفرس خالد بن الوليد رضي الله عنه، وعلى قائد جبهة الروم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه. وكانت أولى المواقع العظيمة موقعة اليرموك التي فتح الله فيها للمسلمين أرض الروم وما وراءها.

ومن أجلِّ أعمال أبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن الكريم، وقد عهد بذلك إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقام بالأمر حتى كتب المصحف في صحف جمعت كلها ووضعت عند أبي بكر، حتى انتقلت من بعده إلى عمر، ثم إلى عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

مرض أبوبكر رضي الله عنه وتوفي في جمادى الآخر سنة ١٣هـ ودفن بجوار الرسول ﷺ وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وعَهِد للخلافة من بعده إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

اللهم ارض عن أبي بكر واجزه الجزاء الأوفى جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين.(١)

ثانياً: عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

هو أبو حفص، عمر بن الخطاب، لقبه الرسول بالفاروق يوم إسلامه، وهو ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة. ولد في مكة قبل الهجرة بأربعين سنة، ونشأ في بيت اشتهر بالسيادة والشرف، وتربى على الصدق والأمانة والجرأة في قول الحق، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وقد أسلم فكان إسلامه نصراً للمسلمين ومبدأ عهد جديد للجهاد في سبيل إعلاء

---

(١) من أول الموضوع إلى هنا نقلته من كتاب: «أبوبكر أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة»، لفضيلة الشيخ محمد بن عبدالرحمن القاسم ـ رحمه الله رحمة واسعة.

كلمة الدين. وهو صهر رسول الله ﷺ وأبو أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها. صحب عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأحسن صحبته، وهو من أوائل من هاجر إلى المدينة وشهد مع رسول الله ﷺ كثيراً من غزواته وكان ممن ثبت معه في غزوة أحد وغزوة حنين. وكان رضي الله عنه يرى الرأي أحياناً فينزل به القرآن وقد مدحه الرسول ﷺ بقوله: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»(١) وهو الفاروق، فرق الله به بين الحق والباطل.

وعهد إليه أبوبكر رضي الله عنه بالخلافة من بعده، بعد أن استشار كبار الصحابة والمهاجرين، وكانت خلافة عمر فتحاً للمسلمين فسجل أروع الآثار في تاريخ الإسلام فتوحاً وعدلاً وحكمة وزهداً وورعاً. واستمر في نهج أبي بكر وأبقى رايات الجهاد مرفوعة في بلاد فارس والروم حتى كانت موقعة القادسية في سنة ١٤ للهجرة وأطاح القائد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه برستم قائد الفرس، وواصل المسلمون فتح الأمصار والمدن حتى فتح الله لهم المدائن في شهر صفر سنة ١٦هـ بعد حصار دام شهرين وبهذا سقطت عاصمة دولة الفرس، وأرسل سعد بن أبي وقاص إلى عمر رضي الله عنهما كنوز كسرى وسواريْه وبساطه بذهبه وفضته، فدعا بسراقة بن مالك وألبسه سواري كسرى وقال: الحمد لله، سوارا كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك أعرابي من مدلج، وهو بهذا يشير إلى وعد الرسول ﷺ لسراقة حينما قال له وهوه مهاجر إلى المدينة مع أبي بكر وقال له وهو ينظر إلى ذراعيه: «**كأني بك يا سراقة وقد لبست سواري كسرى**» فتحقق وعده ﷺ وهذه من معجزات نبينا عليه الصلاة والسلام. ثم سار الجيش المسلم بقيادة النعمان بن مقرن رضي الله عنه لملاحقة فلول الفرس، حتى التقى الجمعان في معركة نهاوند وتسمى فتح

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٩٥) والترمذي (٣٩٢٩) تحفة الأحوذي ـ وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣٦).

الفتوح سنة ٢١ للهجرة. وكبَّر النعمان رضي الله عنه التكبيرة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة التي انطلق بعدها أهل الجهاد يدكون حصون الكفر. وهكذا تمزق ملك كسرى في مدة وجيزة وكان ذلك استجابة من الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ حينما علم أن كسرى مزق رسالته التي أرسلها إليه.

وفي عهد عمر رضي الله عنه كان للشام نصيب من رايات الجهاد بقيادة الصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه أمين هذه الأمة حيث فتح الله على يديه بيت المقدس، ثم فُتحت مصر على يد القائد عمرو بن العاص رضي الله عنه، وامتد الفتح الإسلامي ليشمل برقة وطرابلس الغرب وأذربيجان ونهاوند وجرجان. وقد بُنيت البصرة والكوفة في عهده وأرَّخ بالهجرة، ودوَّن الدواوين، وصلى بالناس التراويح.

وفي نهاية مدة خلافته التي استمرت عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام دعا الله عز وجل: «اللهم إني أسألك الشهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك ﷺ» فاستجاب الله دعاءه وجمع له بين الأمرين، فكان استشهاده على يد أبي لؤلؤة المجوسي الذي ترصَّد له في صلاة الفجر في مسجد رسول الله ﷺ وهو قائم يُصلي في المحراب فتسلل بين الصفوف وفي يده خنجر له رأسان فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سُـرَّته وهي التي قتلته. ثم حملوه إلى داره والدم يسيل من جرحه، فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يُذكرونه بالصلاة فيفيق، ويقول: «نعم، ولا حظَّ في الإسلام لمن تركها»، ثم صلى في الوقت، وعندما علم أن الذي قتله المجوسي قال: «الحمد لله الذي لم يجعل منيتي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة».

وتوفي رضي الله عنه ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة ودفن بجوار الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق. وكان مقتله رضي الله عنه امتداداً للحقد المجوسي واليهودي على دولة الإسلام الفَتِيَّة والذي نراه لا يزال

مستمراً إلى يومنا هذا. . فالصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة.

وصدق الرسول ﷺ حيث قال: «**اثبت أُحُد فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان**»[1]. فالصديق أبوبكر، والشهيدان: عمر، وعثمان، رضي الله عنهم أجمعين.

ثالثاً: عثمان بن عفان رضي الله عنه:

هو ذو النورين، وصاحب الهجرتين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أحد الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، وهو أحد حفظة كتاب الله عز وجل.

ولد بالطائف بعد ولادة الرسول ﷺ بخمس سنين، ونشأ في سعة من الرزق، إذ كان أبوه صاحب تجارة واسعة. وقد أسلم رضي الله عنه على يد أبي بكر، وكان خامس خمسة آمنوا بالإسلام، وقد أحبه الرسول ﷺ وزوَّجه من ابنته رقية رضي الله عنها، ولما ماتت زوَّجه ابنته الثانية أم كلثوم رضي الله عنها وبقيت معه إلى أن توفيت، ومن أجل ذلك سمي ذا النورين.

وقد هاجر رضي الله عنه إلى الحبشة غير مهتم بما تتعرض له تجارته من كساد، ثم هاجر إلى المدينة ولحق بالرسول ﷺ فسمي كذلك ذا الهجرتين، وعُدَّ من المشاركين في غزوة بدر لأنه تخلف عنها بإذن رسول الله ﷺ لتمريض زوجته رقية فضرب له بسهم.

وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه نصيب الأسد في رفع راية هذا الدين بنفسه وبماله وجهز في غزوة العسرة (غزوة تبوك) تسعمائة بعير وخمسين فرساً وحمل ألف دينار في كُمِّه ونثرها في حجر رسول الله ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**»[2]. ومن مآثره رضي الله عنه أنه

---

(١) رواه البخاري: (٣٦٧٥).

(٢) رواه الترمذي: (٣٩٤٩ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن غريب».

اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم، وكانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين ولم يكن بالمدينة ماء عذب غيرها، فاشتراها عثمان وجعلها للمسلمين.

ولما طُعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي عهد إلى ستة رجال من كبار الصحابة هم: علي، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيدالله رضي الله عنهم أجمعين، وطلب إليهم أن يجتمعوا بعد وفاته ليختاروا واحداً منهم، ووقع اختيار الجميع على عثمان رضي الله عنه لما عرفوا من فضله وأسبقيته، فبايعه المسلمون وأصبح الخليفة الثالث. ومما نهض به من الأعمال العظيمة أن جمع الناس على مصحف واحد بقراءة واحدة وأرسل نسخاً من هذا المصحف إلى الأمصار، وفي عهده استمرت الفتوح في أفريقية وآسيا وأصبحت راية التوحيد ترفرف على شمالي أفريقية ومنطقة واسعة في غربي آسيا، وبسط المسلمون سلطانهم على جزيرة قبرص التي غزاها المسلمون بقيادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وكان ذلك أول جهاد في البحر. وأتم الله للمسلمين النصر في معركة ذات الصواري بين المسلمين بقيادة عبدالله بن أبي السرح وبين الروم. وسعدت الأمة في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه برغد العيش وسعة الرزق.

وفي وسط هذا الاستقرار وتلك النعم العظيمة سعى أعداء الإسلام إلى محاولة تقويض ركائزه وقتل خلفائه مثل مافعلوا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولكن الله أبطل كيدهم. فحرَّضوا عوامَّ الناس وسار معهم المنافقون والمرجفون وأخذوا يدسون الكذب على عثمان رضي الله عنه ويتهمونه زوراً وظلماً، حتى تجمعوا على حين غفلة وتسوَّروا داره وقتلوه شهيداً صابراً محتسباً صائماً، ومضى إلى ربه يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة سنة ٣٥للهجرة وكانت مدة خلافته رضي الله عنه حوالي اثني عشر عاماً. رضي الله عنه.

رابعاً: علي بن أبي طالب: رضي الله عنه:

هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب، ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

ولد قبل البعثة بعشرة أعوام، وهو أول من أسلم من الصبيان، ونام في فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة وتغطى ببردته ليضلل المشركين.

واشتهر بالشجاعة والبطولة والجهاد في سبيل الله وقد تبارز في غزوة الأحزاب مع صنديد من صناديد العرب وفارس من فرسانهم هو عمرو بن عبدود فقضى عليه بعد عدة محاولات، وقد شهد علي رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها عدا غزوة تبوك فإن الرسول ﷺ خلفه فيها على أهل بيته وقال: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي**»[١].

وفي الصحيحين[٢] قال ﷺ: «**لأعطين الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه**» فلما أصبح الرسول ﷺ غدوا، كلهم يرجو أن يُعطاها، حتى قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «**أين علي بن أبي طالب؟**» فجاء علي، فأعطاه الرسول ﷺ الراية. ومع فضله رضي الله عنه إلا أنه لم يكن يرى أفضليته على أبي بكر وعمر، بل كان يعترف بفضلهما عليه، روى ابن حجر رحمه الله في (لسان الميزان) عنه قوله رضي الله عنه بعد أن سمع بناسٍ يفضلونه على الشيخين: «ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري»[٣] رضي الله عنه وأرضاه.

---

(١) رواه مسلم: (٢٤٠٤) كتاب فضائل الصحابة: باب من فضائل عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه.

(٢) البخاري: (٣٧٠١) ومسلم: (٢٤٠٦).

(٣) اللسان (٣/٢٨٩)، والأثر رواه ابن أبي عاصم في السنة(٢/٥٧٥) وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/٥٦٢) والبيهقي في الاعتقاد(١/٣٥٨).

وكانت البيعة له بالخلافة بعد أن قُتل عثمان رضي الله عنه وذلك بعد إلحاح من المسلمين فكانت البيعة له.

وهناك أحداث جرت بين الصحابة نقول فيها ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من مذهب أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بين الصحابة، فإنه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم».

ووقعت في عهد علي رضي الله عنه معركة الجمل التي أشعلها السبئيون وأشياعهم، وتلتها معركة صفين.

وكانت هناك معركة عظيمة وقعت في النهروان بين علي رضي الله عنه والخوارج. وانتهت بأن بيَّت أحد الخوارج وهو عبدالرحمن بن ملجم قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحمل عليه في الكوفة وهو ينادي لصلاة الفجر ويقول: أيها الناس، الصلاة الصلاة، فعاجله عبدالرحمن بن ملجم فضربه بالسيف على مقدم رأسه، وكان عمره رضي الله عنه ثلاثاً وستين، ومدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر واثنان وعشرون يوماً. رضي الله عنه وأرضاه.

اللهم ارزقنا حب صحابة رسولك ﷺ وإكرامهم وإجلالهم والدفاع عنهم، اللهم ترضَّ عمَّن ترضَّى عنهم، وأهلك من لعنهم وعاداهم، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وانصر عبادك الموحدين، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني عشر:

آفات اللسان

الحمد لله كثيراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة، فهو صغير جرمه، عظيم طاعته وجُرمه، إذ لا يستبين الكفر والإيمان إلا بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والعصيان.

فبهذا المخلوق الصغير يُعبر الإنسان عن بغيته، ويفصح عن مشاعره، به يطلب حاجته، ويدافع عن نفسه، ويعبر عن مكنون فؤاده.. يُحادث جليسه ويؤانس رفيقه، وبه السقطة والدنو، والرفعة والعلو.

واللسان رحب الميدان، ليس له مرد، ولا لمجاله منتهى وحدّ، له في الخير مجال رحب، وله في الشر ذيل سحب، فمن أطلقه عذبه اللسان، ومن أهمله مُرخى العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هارٍ إلى أن يضطره إلى دار البوار، ولا يكبُّ الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيده بلجام الشرع.

وينبغي لكل مُكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام: إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنّة الإمساك عنه، لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء. وفي اللسان آفتان عظيمتان إن خلص من أحدهما لم يخلص من الأخرى: **آفة الكلام، وآفة السكوت**، وقد يكون كل منهما أعظم من الأخرى في وقتها، فالساكت عن الحق شيطان أخرس، عاصٍ لله مُراءٍ مداهن إذ لم يخف

على نفسه، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق عاص لله. وكثرة آفات اللسان في الخطأ والكذب والغيبة والنميمة والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل والخصومة وإيذاء الخلق وهتك العورات وغيرها. وفي لزوم السكوت جمع الهمم ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا والآخرة.

وليحذر المؤمن من تلك الآفات فإنه محاسب ومجازى ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾.

ومن الأحاديث ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»(١).

وجعل من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقال عليه الصلاة والسلام: «**مِنْ حسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه**»(٢).

وحين سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل النار؟ قال: «**الفم والفرج**»(٣).

وانظر ـ أخي الكريم ـ إلى عظم الأمر وخطورة اللسان والكلام الذي يصدر منه فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يَزلُّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**»(٤).

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ وكأنه ينظر إلى واقع البعض اليوم ـ:

---

(١) رواه البخاري: (٦٠١٨) ومسلم: (٤٧).

(٢) رواه الترمذي(٢٤١٩ ـ تحفة) وقال: «حديث غريب»، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع (٥٩١١).

(٣) رواه الترمذي (٢٠٠٤) وقال: «صحيح غريب»، رواه ابن ماجه(٤٢٤٦) وحسنه الألباني في الأدب المفرد(٢٩٤).

(٤) رواه البخاري (٦٤٧٧) ومسلم (٢٩٨٨)(٥٠) واللفظ له.

ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقة وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يُلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل مُتورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول.

قال **عطاء بن أبي رباح**: إن من كان قبلكم كانوا يعدون فضول الكلام ما عدا كتاب الله، أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، أو أن تنطق في معيشتك التي لابد منها، أتنكرون أن عليكم حافظين، كراماً كاتبين، عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، أما يستحي أحدكم لو نُشرت صحيفته التي أملى صدر نهاره، وليس فيها شيء من أمر آخرته.

أخـي المسـلم:

من أشد أمراض اللسان انتشاراً: الغيبة، وهي ذكرك أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه، بل حتى في ثوبه وداره ومركبه.

والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ﴾.

وقد أبان رسول الله ﷺ الغيبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما**

تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[١].

وبهذا يبين ﷺ الفرق بين الغيبة والبهتان، وأن الكذب عليه بهتانٌ له، فالكذب على الشخص حرام سواء كان الرجل مسلماً أو كافراً، براً أو فاجراً، لكن الافتراء على المؤمن أشد، بل الكذب كله حرام.

والغيبة تعدٍّ على أعراض المسلمين، والنبي ﷺ قال محذراً من ذلك: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم**»[٢].

وقال في الحديث الآخر: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**»[٣]. جمع النبي ﷺ في حديث واحد حرمة المال والدم والعرض.

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ واصفاً مرضى النفوس والقلوب فارغي الفكر والعقل ممن أغواهم الشيطان ـ: «إن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً داءً ينسى حسنات الطوائف والأجناس، ويذكر مثالبهم، فهو مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة، ويقع على الجرح والأذى، وهذا من رداءة النفوس وفساد المزاج».

فاحذر الغيبة واجتنبها قولاً وسماعاً، فإنها كما قال علي بن الحسن: إدام كلاب الناس!

والغيبة ـ أخي المسلم ـ ليست مقتصرة على اللسان فحسب، بل بالفعل والإشارة والغمز والهمز والكتابة والحركة، وكل ما يُفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وحرام. واحرص على أن تذبَّ عن أعراض المسلمين في المجالس والمحافل فقد قال ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[٤].

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الغيبة.
(٢) رواه البخاري (٦٧) ومسلم (١٦٧٩).
(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).
(٤) رواه الترمذي: (١٩٩٦) تحفة ـ وقال: «حديث حسن» .... =

أخـي المسـلم:

مما شاع بين الناس وفي بعض المجالس السخرية والاستهزاء، وهو محرم، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾.

ومعنى السخرية: الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص، وقد يكون ذلك في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء.

وأشد أنواع الاستهزاء: الاستهزاء بالدين وأهله، ولخطورته وعظم أمره فقد أجمع العلماء على أن الاستهزاء بالله وبدينه وبرسوله كفر بواح يُخرج من الملة بالكلية.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: «إن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر صاحبه بعد إيمانه».

ولقد تفنن البعض في أنواع السخرية والاستهزاء، فهناك من يهزأ بالحجاب، وآخر بتنفيذ الأحكام الشرعية، وآخرون سلقوا رجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بألسنتهم، كما أن للسنة أيضاً نصيباً من ذلك الاستهزاء، فهذا يستهزىء باللحية، والآخر بقصر الثوب، وهما من سنن المصطفى ﷺ.

ولنعلم خطورة الاستهزاء على دين الرجل ما نسمعه يُتلى في سورة التوبة: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ (٦٥) لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ (٦٦)﴾.

وقد ورد في سبب نزولها أن رجلاً من المنافقين قال: ما أرى قراءنا

= وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦٢).

هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء، فرفع ذلك إلى الرسول ﷺ فجاء إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يارسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وقد فضح الله عز وجل موقف المستهزئين بالمؤمنين وأهل الخير والصلاح فقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾.

والبعض إذا قيل له: إن ما تقوله من باب الاستهزاء بالدين، قال: نحن لم نقصد الدين، ولم نقصد الرجل بذاته، بل نمزح ونمرح، وما علم المسكين إلى أين يؤدي مرحه ومزحه.. إنه خزي في الدنيا وعذاب في الآخرة.

وقد حذر الرسول ﷺ من فلتات اللسان وضحكات المجالس ـ فقال عليه الصلاة والسلام: «**ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له ويل له**»(١).

وفي جواب اللجنة الدائمة للإفتاء على من قال لآخر: «**يا لحية**» مستهزئاً: إن الاستهزاء باللحية منكر عظيم فإن قصد القائل بقوله: «يالحية» السخرية **فذلك كفر**، وإن قصد التعريف فليس بكفر ولا ينبغي أن يدعوه بذلك.

وقال سماحة الشيخ **محمد** بن **إبراهيم** رحمه الله: ومن الناس ديدنه تتبُّع أهل العلم لقيهم أو لم يلقهم مثل قوله: المطاوعة كذا وكذا، فهذا يخشى أن يكون مرتداً، ولا ينقم عليهم إلا أنهم أهل الطاعة.

ونختم هذا المجلس المبارك بحديث الرسول ﷺ الذي نجعله فوق رؤوسنا حباً وكرامة، وأمام أعيننا تطبيقاً وعملاً. قال الرسول ﷺ لأصحابه:

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٥و٧) وأبوداود (٤٩٩٠) والترمذي (٢٤١٧ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧١٣٦).

«أتدرون ما المفلس»؟ قالوا: إن المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال ﷺ: **«المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه، أُخذ من خطاياهم، فطرحت عليه، ثم طرح في النار»**[١].

اللهم نزِّه ألسنتنا عما يشين، وسخرها في طاعتك. اللهم أصلح أحوال المسلمين، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب: باب تحريم الظلم.

الدرس الثالث عشر:

الخـــوف من الله

الحمد لله ملاذ الخائفين ومُنجي المتقين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد نثر طول الأمل رداءه على البعض، فأصبح الكثير من الناس يتهاون في الطاعات ويقترف المحرمات، وأمسى التسويف حاجزاً عن التوبة، والفرح بهذه الدنيا ونعيمها مُنسياً لما أمامهم من الأهوال والعقبات. فلم يطرق الخوف قلوبهم ولم يلازم الوجل نفوسهم، فانهمكوا في الفرح والترح، وكأنهم مخلدون في هذه الدنيا.

وقد جمع الله عز وجل للخائف منه فضلاً عظيماً فقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾.

قال القرطبي: «المعنى خاف مقامه بين يدي ربه للحساب، فترك المعصية».

وقال ابن كثير رحمه الله: «أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حكم الله فيه، ونهى النفس عن هواها، وردها إلى طاعة مولاها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ أي منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء».

وعن أنس رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: «**لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً**» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين[1].

والخوف أخي ـ المسلم ـ عبارة عن تألم القلب واحتراقه، بسبب توقع

---

(١) رواه البخاري(٤٦٢١) ومسلم (٢٣٥٩).

مكروه في المستقبل، ومن توقع مكروهاً في المستقبل سعى إلى الاستعداد له، والمثابرة على اجتيازه. والخوف الصادق من الله عز وجل هو ما يدفع المسلم إلى البعد عن المنكرات، والمسارعة إلى الخيرات.

ومن الخوف العظيم والوجل المستمر كان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني وفاروق هذه الأمة يسأل حذيفة: أنشدك الله: هل سماني رسول الله ﷺ. يعني في المنافقين؟ فيقول: لا، ولا أزكي بعدك أحداً.

أخي المسلم:

إن اتباع الهوى وطول الأمل مادة كل فساد، فإن اتباع الهوى يعمي عن الحق معرفة ومقصداً، وطول الأمل يُنسي الآخرة ويصد عن الاستعداد لها. وأثنى الله عز وجل على الخائفين بقوله: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾.

قال الحسن: ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة، لا يأكلون فيها أكلة، ولا يشربون فيها شربة، حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً، واحترقت أجوافهم جوعاً، انصرف بهم ـ يقصد العصاة والمجرمين ـ إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها.

وقد فسر العلماء قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالوا: كانوا يعملون ما يعملون من أعمال البر، وهم مشفقون ألا ينجيهم ذلك من عذاب الله عز وجل.

والخوف من الله: حصن من المهالك وحماية دون المنزلقات، والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات، والتبسط في فضول المباحات، كان ذلك فضلاً محموداً، فإن تزايد على ذلك، بأن أورث مرضاً أو موتاً أو هماً لازماً، بحيث

يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محموداً.

أخي المسلم:

للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه للصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هَوَّنَ عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفِّه حقه، شدد عليه ذلك الموقف، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾.

عن **إبراهيم التيمي** قال: لقد أدركت ستين من أصحاب عبدالله في مسجدنا هذا، أصغرهم الحارث بن سويد وسمعته يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ حتى بلغ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾﴾ قال: فيبكي ثم يقول: إن هذا الإحصاء شديد.

أخي المسلم:

الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين وليس لهم حط عن رحالهم إلا في الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار، ومن المحال عادة أن يُطلب فيه نعيم ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر، ومن المعلوم أن كل وطأة قدم، أو كل آن من آنات السفر غير واقفة، ولا المكلف واقف، وقد ثبت أنه مسافر على الحال التي يجب أن يكون المسافر عليها من تهيئة الزاد الموصل، وإذا نزل أو نام أو استراح فعلى قدم الاستعداد للسير.

يا مغروراً بالأماني: لُعن إبليس وأُهبط من منزل العز بترك سجدة واحدة أُمر بها، وأُخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها، وأمر بقتل الزاني أشنع القتلات بإيلاج قدر الأنملة فيما لا يحل، وأمر بإيساع الظهر سياطاً بكلمة

قـذف، أو بقطرة من مُسكر! وأبان ـ أي قطع ـ عضواً من أعضائك بثلاثة دراهم. فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيه ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾ دخلت امرأة النار في هرة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب، وإن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة، فإذا كان عند الموت جار في الوصية، فيختم له بسوء عمله فيدخل النار، العمر بآخره والعمل بخاتمته.

قال عبدالرحمن بن جابر **ليزيد بن مزيد**: مالي أرى عينك لا تجف؟ قال: وما مسألتك عنه؟ قلت: عسى أن ينفعني به في الدنيا. قال: لو لم يتواعدني أن يسجنني إلا في الحمام لكنت حرياً أن لا تجف لي عين.

وقال **الحسن**: الرجاء والخوف مطيتا المؤمن.

فإذن لابد من الجمع بين هذه الأمور، وغلبة الخوف هو الأصلح، ولكن قبل الإشراف على الموت، أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن.

قال **ابن القيم**: القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزله الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان، فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر.

وقد أثنى الله عز وجل على من قرن الخوف بالرجاء في مواضع كثيرة من كتابه العزيز فقال تعالى في حق الأنبياء عليهم السلام: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** قدس الله روحه: الخشية أبداً متضمنة للرجاء ولولا ذلك لكانت قنوطاً، كما أن الرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمناً، فأهل الخوف لله والرجاء له، هم أهل العلم الذين مدحهم الله.

وعندما شرب عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، ماء مبرداً بكى واشتد بكاؤه، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ذكرت آية في كتاب الله عز وجل: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ فعرفت أن أهل النار لا يشتهون شيئاً، شهوتهم الماء، وقد قال الله عز وجل: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فبكى واشتد بكاؤه حتى مرض وعادوه.

وبكى **الحسن**: فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي.

وقال سعد بن الأخرم: كنت أمشي مع ابن مسعود، فمر بالحدادين وقد أخرجوا حديداً من النار، فقام ينظر إليه ويبكي.

أما عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد فقد ذُكر أنه كان يصلي ذات ليلة فقرأ ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فجعل يرددها ويبكي حتى أصبح.

أما نبي هذه الأمة وخير البشرية ﷺ فقد قال عبدالله بن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ علي**» فقلت يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت سورة النساء حتى بلغت ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ قال: فرأيت عيني رسول الله تهملان»[1].

وعن مطرف بن عبدالله عن أبيه قال: «**أتيت النبي ﷺ وهو يُصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء**»[2].

---

(١) رواه البخاري: (٤٥٨٢).

(٢) رواه أحمد في المسند(٤/ ٢٥، ٢٦) والنسائي (٣/ ١٣) وصححه الألباني في مختصر الشمائل للترمذي (٢٧٦).

أخـــي الحبـــيب:

قال **ابن القيم** رحمه الله: وأكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلب الحب، فالمحبة هي الركب، والرجاء حادٍ، والخوف سائق، والله الموصل بمنه وكرمه.

أخي المسـلم:

أبشر وأمل فأنت تقصد باب رب كريم وجواد رحيم، واسمع قول **ابن عوف**: لو أن رجلاً انقطع إلى هؤلاء الملوك في الدنيا لانتفع، فكيف من ينقطع إلى من له السموات والأرض وما بينها وما تحت الثرى.

ولكن عليك ـ أخي المسلم ـ بالزهد في الدنيا، وقصر الأمل، فإن طول الأمل داء عضال، ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه، واشتد علاجه، ولم يفارقه داء، ولا نجع فيه دواء، وما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل.

فعليك ـ أخي الحبيب ـ باغتنام الأوقات، والمسارعة إلى الخيرات، واحرص على التوبة، وتذكر الموت وما بعده من سؤالٍ وجنةٍ ونار.

جعلني الله وإياك ووالدينا وأحبابنا من الآمنين يوم الفزع، وممن ينادون في ذلك اليوم العظيم ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الرابع عشر:

حكم إتيان السحرة والكهان

الحمد لله الذي رفع راية التوحيد إلى يوم القيامة، والصلاة والسلام على إمام الموحدين وقائد المتوكلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فلما هُجر التوحيد علماً وتعلماً وإرشاداً وتذكيراً، ضعف الإيمان وكثرت الشركيات، ومع التوسع في أمور الحياة إعلاماً وسفراً واستقداماً، غشي كثير من الناس جوانب مخلة بالتوحيد، استشرت وانتشرت حتى عمَّت وطمَّت، ومن أبرزها وأوضحها إيتان السحرة والكهان، وزيارة المشعوذين والدجالين.

وقد ابُتلي الناس بكثير من الأخطاء الفادحة، ومن ذلك ضعف التوكل على الله عز وجل حين نزول البلاء، والغفلة عن الدعاء، وترك الحبل على الغارب للنساء، لمراجعة الأطباء الشعبيين بدون محرم، وأكثرهم من أهل الدجل والشعوذة.

وقد حذر الرسول ﷺ من إتيان السحرة فقال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» قالوا: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**الشرك بالله، والسحر**...»[(١)] وقال تعالى عن أمر السحرة: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾.

أخـي المسـلم:

نحن في عالم يموج بالفتن التي تجعل الحليم حيران، وكثير يدعي أنه لا يفرق بين الساحر أو الكاهن عن غيره، ولاشك أن هذا الأخ يعرف الكثير من

---

(١) رواه البخاري (٦٨٥٧) ومسلم (٨٩).

أمور الدنيا دقيقها وجليلها كبيرها وصغيرها، نعم عرف كل ذلك عن طريق السؤال والمتابعة والحرص، ولكنه أهمل أمر آخرته! وهو يتعذر بالجهل وعدم المعرفة.

وإلى كل أخ حبيب.. علامات ليميز بها الساحر والكاهن والمشعوذ، ليحذرهم ويبتعد عنهم بل ويخبر عنهم رجال الهيئة والأمن، حتى تسلم الأمة من شرهم.. **ومن تلك العلامات**:

١ ـ إذا سأل الشخص عن اسمه واسم أمه.

٢ ـ إذا طلب من الشخص أي لباس أو قطعة قماش.

٣ ـ القراءة غير المفهومة بكلمات مستغربة.

٤ ـ أن يعطي المريض أوراقاً يحرقها ويتبخر بها أو يعلقها أو يدفنها.

٥ ـ إذا أعطى المريض شيئاً يلبسه أو يعلقه وهو ما يسمى (بالحجاب).

٦ ـ أن يطلب منه ذبح أي حيوان أو طائر وتلطيخ مكان الألم بدمه، أو طلب ذبح حيوان بلون معين كالأسود مثلاً.

٧ ـ أن يطلب منه ذبح أي حيوان أو طائر من غير ذكر اسم الله عليه.

٨ ـ أن يكتب للمريض أوراقاً بها حروف أو أرقام أو أشكال مربعة أو مسدسة أو دائرية أو غيرها.

٩ ـ أن يخبر المريض باسمه، أو اسم بلده، أو مشكلته التي جاء من أجلها، أو بشيء من حياته الماضية أو نحو ذلك.

١٠ ـ أن يطلب شيئاً من شعر المريض أو أظفاره ونحو ذلك.

فمن وجدت فيه واحدة من هذه العلامات عُلم من حاله أنه صاحب شعوذة أو سحر أو استخدام شيطاني فيجب الحذر منه.

أخـي المسـلم:

الدنيا دار ابتلاء وامتحان تجري علينا مقادير الله عز وجل من أمراض

وأسقام، وهموم وغموم، ومصائب وأحزان، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

وهذه الأقدار إذا نزلت بالمرء وصبر واحتسب، فإن له الأجر العظيم، فقد بشرنا الرسول ﷺ بقوله: «**ما يصيب المسلم من وصبٍ ولا نصب، ولاهمٍّ ولا حزن ولا غم ولا أذى، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفَّر الله بها من خطاياه**»[١].

ومن أصابه مرض أو ابتلاء فليطرق جادة الأدوية المشروعة فإن الله ما أنزل من داء إلا جعل له دواء، ومن أهم الأدوية وأعظمها نفعاً: الدعاء.

وعلى المسلم أن يُحسن الظن بربه عز وجل وأنه قريب يجيب دعوة الداعي، فليلحَّ في الدعاء والتضرع، ويرفع حاجته إلى من بيده أمر كل شيء، وليحرص على تحري أوقات الإجابة وليبتعد عن موانعها، وليوقن أن مع العسر يسراً، وأن الفرج قريب. ولابد ـ أخي المسلم ـ من الصبر في هذه الدنيا وترك الجزع والتسخط، بل ينبغي الرضا والاحتساب ودفع ما أنزل الله من أقدار الله بما أنزل من علاج ودواء.

أخـــي المسـلم:

احذر الوقوع في السحر فقد عدَّ الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** ـ رحمه الله ـ من نواقض الإسلام: السِّـحْرَ فقال: السحر ومنه الصرف والعطف فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾.

قال **ابن القيم** رحمه الله: وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة، ولهذا غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال، لأن الأرواح الخبيثة إنما تنشط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها.

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢) ومسلم (٢٥٧٣).

وقال رحمه الله: والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويدفعه أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن وله مع البلاء ثلاث مقامات:

أحدها: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفاً.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل منهما صاحبه.

أخي المسلم:

إن مما انتشر واستشرى أيضاً تعليق التمائم والحروز وقد أمر الرسول ﷺ بنزعها.

فعن عقبة بن عامر مرفوعاً: «**من علَّق تميمة فقد أشرك**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»(٢).

فاحذر ـ أخي المسلم ـ أن تضع زوجك على يدها أو في رقبتها أو على صغيرها مثل هذه التمائم التي لا تجوز، واجعل قلبك معلقاً بالنافع الضار وهو الله عز وجل.

ومما شاع في هذه الأزمنة قراءة الفنجان والكف وادعاء معرفة المستقبل وهو غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل ﴿**وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ**﴾ ومن ادَّعى علم الغيب كفر. وقد حذرنا الرسول ﷺ بقوله: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ**»(٣).

---

(١) رواه أحمد(٤/ ١٥٦) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع(٦٣٩٤).

(٢) رواه أحمد(١/ ٣٨١) وأبو داود(٣٨٨٣) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع(١٦٣٢).

(٣) رواه أحمد(٢/ ٤٢٩) والحاكم(١/ ٨) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع(٥٩٣٩).

فاحرص ـ أيها الأخ المبارك ـ على تحصين نفسك من السحرة والشياطين بقراءة القرآن وذكر الله تعالى، وقراءة الأوراد الواردة في الصباح والمساء عليك وعلى أهل بيتك فقد كان ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين رضي الله عنهما. واحرص على تحقيق التوحيد والبعد عما يقدح فيه تكن من السعداء.

اللهم اجعلنا ممن حقق التوحيد قولاً وعملاً وجنبنا الشرك والكفر واحفظنا وذرياتنا وجميع المسلمين. اللهم إنا نسألك أن نعيش على التوحيد سعداء، وأن نموت على التوحيد شهداء، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس عشر:

الخدم والأُجراء

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة فهدانا للإسلام وأتم علينا هذا الدين، وأرسل علينا السماء، وأخرج لنا من كنوز الأرض، فله الحمد والشكر. وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فإن الله عز وجل قسم الأرزاق بعلمه، فأعطى من شاء بحكمته، ومنع من شاء بعدله، وجعل الناس لبعض سخرياً، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾.

وابتلى الله عز وجل من شاء بوافر النعم لينظر أيشكرون أم يكفرون، ومنع من شاء بعدله ليصبروا ولا يتسخطوا.

ولقد وسع الله أرزاق العباد في هذه الأيام وأغدق عليهم من نعمه العظيمة، فقبل سنوات لا تتجاوز الثمانين عاماً كانت هذه البلاد بلاد جوع وخوف وأمراض وأوبئة، فأبدل الله حالها من فقر إلى غنى، ومن خوف إلى أمن، ومن أمراض إلى صحة وعافية!! ولو ذُكر لأجدادنا أنه ستأتي سنوات يَقدِم إلينا فيها مَنْ يكنس شوارعنا وينظف منازلنا ويحمل مخلفاتنا لما صدق العقل ذلك! ولكن الله عز وجل، وله الحكمة البالغة، ساق لنا الخيرات وجعل هذا البلد وافر الرزق ومحط الآمال. فندعو الله عز وجل أن يكون ذلك عوناً على طاعته وأن لا يكون استدراجاً، فإن فتنة الغنى أشد من فتنة الفقر وأعظم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: والفقر يصلح عليه خلق كثير والغنى لا يصلح عليه إلا أقل منهم، ولهذا كان أكثر من يدخل الجنة المساكين، لأن فتنة الفقر أهون، وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر، لكن لما كان في السراء اللذة وفي الضراء الألم اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء.

وقد وردت آيات كثيرة نصَّت على الترف والمترفين وسوء ذلك على نفوس الكثير، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾. وقال تعالى عن أصحاب الشمال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾. وقال جل وعلا: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾. وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾.

وقد يجعل الله عز وجل هذه النعم والخيرات استدراجاً لمن عصاه وخالف أمره، كما سمعنا ذلك عن أمم سابقة، ورأينا ذلك في أمم ودول معاصرة، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾.

وزوال النعمة وتحولها سببه المعاصي والذنوب، وعدم الشكر والحمد لصاحب الإحسان والفضل جل وعلا. ومما نراه من كفر النعمة: منع الحقوق عن أهلها، وتأخير مستحقاتهم.. فلا يخلو رجل أو امرأة من أهل هذه البلاد إلا وتحت أيديهم من الأُجراء والخدم ما ابتلاه الله بهم. ومع كثرة الخيرات، تراهم يماطلون في إعطاء المساكين والأُجراء حقوقهم وهي دريهمات قليلة.

فمنهم من يؤخر الراتب شهوراً عديدة، ناهيك عن تحميلهم مالا يطيقون وإرهاقهم بالعمل طوال اليوم! فلا يرتاحون ولا يُعانون.

فيا **أخي المسلم**: أترضى أن يتأخر راتبك الشهري خمسة أيام أو ستة؟! إذا كان لا يرضيك هذا، فكيف ترضى لمسكين أو مسكينة تأخير رواتبهم شهوراً، وهم ما أتوا لهذه البلاد إلا لكي يُطعِموا مَنْ تحت أيدهم في بلادهم الفقيرة.. فلهم طفل وشيخ وابن وابنة! بل إن بعض أقاربهم لربما يموت بسبب المرض نظراً لتأخر وصول مبلغ شراء الدواء!

فلْيَخفِ الله المماطلون وليتقوا عذابه، وليعلموا أن دعوة المظلوم لا ترد حتى وإن كانت من كافر. عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**»(١).

وقال ﷺ: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**»(٢).

وعليك بحديث الرسول ﷺ: «**أعط الأجير أجره قبل أن يجف عرقه**»(٣).

ولا تأخذ من أموالهم شيئاً وادفع إليهم ما كان في عقودهم من راتب إجازة أو غيره، وتأمَّل في حال رجل خرج يقاتل مع رسول الله ﷺ فيُقتل ولكن أين مكانه وقد أخذ أمراً يسيراً من الغنائم!

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له: رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له: مدعم،

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٧٨).
(٢) رواه البخاري: (٢٤٤٩).
(٣) رواه ابن ماجه: (٢٤٤٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٥٥).

فوجهه الرسول ﷺ إلي وادي القُرى حتى إذا كان بوادي القرى، بينما مِدْعَم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذا سهم عائرٌ فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا والذي نفسي بيده، إن الشملة**[١] **التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً**» فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: «**شراك من نار، أو شراكان من نار**»[٢].

وتجنب ـ أخي المسلم ـ أن تكلفهم مالا يطيقون خاصة في هذا الشهر المبارك وامتثل لأمر الرسول ﷺ حيث قال: «**ولا تكلفوههم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم**»[٣].

واحذر ـ أخي المسلم ـ من مخالفة أمر الرسول ﷺ حيث قال: «**لا يجتمع في جزيرة العرب دينان**»[٤]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**»[٥].

وقد عدَّ العلماء من موالاة الكفار استقدامهم. فلا تكن هذه النعمة التي بين يديك وبالاً وخساراً عليك.

أخي الصائم:

احذر المظالم ولا تقع فيها من تأخير رواتب، وأخذ حقوق، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

---

(١) الشملة: كل ما اشتمل به من الكساء.

(٢) رواه البخاري: (٤٢٣٤) ومسلم (١١٥).

(٣) رواه البخاري: (٣٠) ومسلم (١٦٦١).

(٤) رواه أحمد: (٦/ ٢٧٥) عن عائشة، ومالك في الموطأ (٢/ ٨٩٢) عن ابن شهاب مرسلاً.

(٥) رواه البخاري (٣١٦٨) ومسلم (١٦٣٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج مسلم (١٧٦٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب، حتى لا أدع إلا مسلماً**».

والسعادة كلها في إعطاء أهل الحقوق حقوقهم، والتخلص منها قبل يوم القيامة، وقبل أن يمحق الله بركة هذا المال الذي في يدك. ولا تغترَّ بكثرة المال فإن العبرة ببركته لا بكثرته.. وتأمل حال من مُحقت بركة أموالهم كيف ينفقونها ذات اليمن وذات الشمال في علاج أمراض وإصلاح بيوت وهلاك أبناء وتعاسة زوجة! ثم التفت لذاك الرجل الورع التقي النقي كيف يهنأ بما لديه من مال وإن قلَّ.. فأبناؤه بررة، وزوجته صالحة، ولربما أن البركة أدركت السيارة والمنزل، فأعطالها قليلة ونفقاتها يسيرة، وهذا ملاحظ مشاهد.

وإني أدعوك في هذا الشهر المبارك للتصدق على أجرائك وخدمك زيادة علي مستحقاتهم ففيهم أجر وصدقة، وهم لها مستحقون وإلا لما تغربوا عن أبنائهم وأطفالهم إلى هذه الأرض، ثم لتبرأ ذمتك من زلل أو خطأ أو قسوة وتقصير!

يقول عنهم رسول الله ﷺ: «**نعم، هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن جعل الله أخاه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعِنْه عليه**»(١).

وقال ﷺ: «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يُعْطِهِ أجره**»(٢).

أخـي المسـلم:

احمد الله عز وجل على ما أنت فيه من نِعم، وتيقن أنها أتت إليك رزقاً من الله عز وجل لا أثر فيها للذكاء والفهم، ولا للجد والتعب، فكم من ذكي

---

(١) رواه البخاري: (٣٠) ومسلم (١٦٦١).
(٢) رواه البخاري: (٢٢٧٠).

أخفق، وكم ممن يكد ويكدح وهو مديون، ولا تكن ممن كفر وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ بل هذا مال الله عز وجل ورزقه الذي ساقه إليك في بلدك، ولم تتغرب كما تغرب غيرك، فاحمد الله عز وجل على نعمته.

ولا يكن هؤلاء الأجراء طريقاً لك إلى النار يوردونك الموارد، إما بتكشُّف الخادمة أمامك أو أمام أبنائك أو الجيران أو غيرهم، بل سارع إلى سترها وحشمتها، ولا تدعها تخرج للشارع أو غيره إلا باللباس الشرعي، فإنها أمانة عندك، والله مسترعيك وسائلك عنها.

ثم احذر إن كان لديك سائق أن يخلو بنسائك ومحارمك أو أطفالك، فإن في ذلك خطراً عظيماً وشراً مستطيراً، ونسمع حوادث تشيب لها الولدان، وثق بأهلك ومحارمك، ولكن لا تثق بسائق أجنبي عنهم، وبعضهم لا يُستأمن على قطيع غنم، فكيف تستأمنه على شرفك وعرضك؟! وكيف يضيع نساؤك أمام عينك! يقول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»[1]. فإذا كان الأخ في النسب صاحب الشهامة والغيرة يحذِّر النبي ﷺ من دخوله على بيت أخيه، فما بالك بإنسان أجنبي ليس فيه غيرة ولا رابطة نسب!

رزقنا الله عز وجل الرزق الحلال وبارك لنا فيه وجعله عوناً على طاعته. اللهم أعنا على شكرك قولاً وفعلاً، ليلاً ونهاراً، وسراً وجهراً، اللهم اجعل ما أنعمت به علينا عوناً على طاعتك، ومقرباً إلى جنتك، واغفر لنا ولوالدينا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٣٢) ومسلم (٢١٧٢) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه.

الدرس السادس عشر:

الزكاة

الحمد لله الذي أعطى فأغنى وأقنى، يعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فنحمد الله عز وجل على نعمة الإسلام والقيام بشرائعه وفرائضه، وفي هذه الأيام المباركة ونحن نؤدي الركن الرابع من أركان الإسلام نتحدث عن الركن الذي قبله والذي يأتي بعد فريضة الصلاة ألا وهو أداء الزكاة، وقد قرنها الله عز وجل مع الصلاة في كتابه الكريم حتى أنها تصل إلى ثمانية وعشرين موضعاً، قال الله عز وجل: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

والأحاديث في وجوب أداء الزكاة كثيرة منها قول الرسول ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**»[١]. وقال أبوبكر رضي الله عنه: «**والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال..**»[٢].

وقد اتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتال مانعي الزكاة، وأجمع المسلمون على وجوبها في جميع الأعصار.

---

(١) رواه البخاري (٨) ومسلم(١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) رواه البخاري (١٤٠٠) كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة.

والزكاة عبادة مالية يثاب المرء على إخراجها، ويعاقب على تركها، وفيها تثبيت أواصر المودة بين المسلمين، وتطهير للنفوس وتزكيتها من البخل والشح قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

وفي إخراج الزكاة استجلاب البركة والزيادة والخلف من الله كما قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: "يا ابن آدم أَنْفِقْ أُنْفِقْ عليك**»[1].

وقد جاء الوعيد الشديد في حق من بخل بها، أو قصر في إخراجها، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾، فكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه يوم القيامة، كما دلَّ على ذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي حقها إلا إذا كان يومُ القيامة صُفِّحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أُعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»[2].

ثم ذكر النبي ﷺ صاحب الإبل والبقر والغنم الذي لا يؤدي زكاتها وأخبر أنه يعذب بها يوم القيامة.

وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته مُثِّل له شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه ـ يعني**

---

(١) رواه البخاري (٥٣٥٢) ومسلم(٩٩٣).
(٢) رواه مسلم (٩٨٧) كتاب الزكاة: إثم مانع الزكاة.

شدقيه ـ **ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك**»، ثم تلا النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ ﴾(١).

والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام، والذهب والفضة، وعروض التجارة.

ولكلٍّ من هذه الأصناف الأربع نصاب محدود لا تجب الزكاة فيما دونه.

ونصاب الذهب عشرون مثقالاً، ومقداره من الجنيهات السعودية أحد عشر جنيهاً وثلاثة أسباع الجنيه، وبالغرام اثنان وتسعون غراماً. والواجب فيهما ربع العشر على من ملك نصاباً منهما أو من أحدهما وحال عليه الحول.

والربح تابع للأصل فلا يحتاج إلي حول جديد، كما أن نتاج السائمة تابع لأصله فلا يحتاج إلى حول جديد إذا كان أصله نصاباً.

وفي حكم الذهب والفضة الأوراق النقدية التي يتعامل بها الناس اليوم سواء سميت درهماً أو ديناراً أو دولاراً أو غير ذلك من الأسماء إذا بلغت قيمتها نصاب الفضة أو الذهب وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة.

ويلتحق بالنقود حُلِّي النساء من الذهب أو الفضة خاصة إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول فإن فيها الزكاة، وإن كانت معدة للاستعمال أو العارية في أصح قولي العلماء، لعموم قول النبي ﷺ: «**ما من صاحب ذهب أو فضة لا يؤدي منها زكاتها إلا إذا كان يوم القيامة، صُفِّحت له صفائح من نار**». إلى آخر الحديث المتقدم.

ولما ثبت عن النبي ﷺ أنه رأي بيد امرأة سوارين من ذهب فقال:

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٠٣) كتاب الزكاة: باب إثم مانع الزكاة.

«أتُعطين زكاة هذا؟» . قالت لا ، قال : **«أيسرك أن يُسوِّرك الله بهما يوم القيامة سِوارين من نار؟»** . فألقتهما ، وقالت : هما لله ولرسوله[(١)] .

وثبت عن أم سلمة رضي الله عنها أنها كانت تلبس أوضاحاً من ذهب فقالت يا رسول الله : أكنز هو؟ فقال ﷺ : **«ما بلغ أن تؤدي زكاته فزُكِّي فليس بكنز»**[(٢)] مع أحاديث أخرى في هذا المعنى .

أما العروض وهي السلع المعدة للبيع فإنها تقوّم في آخر العام ويخرج ربع عشر قيمتها سواء كانت قيمتها مثل ثمنها أو أكثر أو أقل ، لحديث سمرة قال : **«كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع»**[(٣)] . ويدخل في ذلك الأراضي المعدة للبيع والعمارات والسيارات والمكائن الرافعة للماء وغير ذلك من أصناف السلع المعدة للبيع .

أما العمارات المعدة للإيجار لا للبيع ، فالزكاة في أجورها إذا حال عليها الحول ، أما ذاتها فليس فيها زكاة لكونها لم تعد للبيع ، وهكذا السيارات الخصوصية والأجرة ليس فيها زكاة إذا كانت لم تعد للبيع وإنما اشتراها صاحبها للاستعمال .

والصحيح من أقوال العلماء أن الدَّين لا يمنع الزكاة لما تقدم .

وهكذا أموال اليتامى والمجانين تجب فيها الزكاة عند جمهور العلماء إذا بلغت النصاب وحال عليها الحول ، ويجب على أوليائهم إخراجها بالنية عنهم عند تمام الحول ، لعموم الأدلة ، مثل قول النبي ﷺ في حديث معاذ لما بعثه إلى أهل اليمن : **«إن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرائهم»**[(٤)] .

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٦٣) والنسائي (٥/ ٣٨) بسند حسن .
(٢) رواه أبوداود : (١٥٦٤) .
(٣) رواه أبوداود : (١٥٦٢) .
(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم(١٩) .

والزكاة حق الله لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها ولا أن يجلب الإنسان بها لنفسه نفعاً أو يدفع ضراً، ولا أن يقي بها ماله أو يدفع بها عنه مذمة. بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر مع طيب النفس بها والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته ويستحق جزيل المثوبة والخلف.

وقد أوضح الله ـ سبحانه ـ في كتابه الكريم أصناف أهل الزكاة، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾.

ومن فوائد إخراج الزكاة: أنها قيام بركن من أركان الإسلام، وأنها تُقرب العبد إلى ربه وتزيد في إيمانه، ومن فوائدها ما وعد الله به عز وجل من الأجر العظيم، وأنه عز وجل يمحو بها الخطايا كما قال ﷺ: «**والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار**».[(١)] وفي إخراج الزكاة تطهير لأخلاق باذلها من البخل والشح واتصافه بالرحمة والشفقة. وفي إخراج الزكاة نماء للأموال وتكثيرها كما وعد الله عز وجل بذلك. وفيها من الفوائد كثير جداً لصلاح حال الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة.[(٢)]

فبادر ـ **أخي المسلم** ـ إلى إخراج الزكاة طيبة بها نفسك، واحمد الله عز وجل أن جعلك ممن يخرج الزكاة ولا يأخذها.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/ ٢٣١) والترمذي (٢٧٤٩) ـ تحفة وقال: «حسن صحيح» وصححه الألباني كما في صحيح الترغيب (٨٥٨)، وصحيح الجامع (٥١٣٦).

(٢) من كتاب: رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام للشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ والشيخ محمد بن عثيمين ـ حفظه الله .

اللهم أعتق رقابنا من النار، وطهر قلوبنا، وأذهب شح نفوسنا، اللهم تقبل صيامنا، وزكاتنا، وسائر أعمالنا، واغفر لنا وارحمنا ووالدينا وجميع المسلمين.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع عشر:

أحداث عظيمة في رمضان

الحمد لله مُعز من أطاعه ومذل من عصاه، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فإن الجهاد ذروة سنام الإسلام، ومن أفضل الأعمال وأجل القربات، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)﴾.

وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: «**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها**»(٢).

والآيات والأحاديث في فضل الجهاد والحث عليه كثيرة معلومة ولهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥١٨) ومسلم(٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٦) ومسلم(١٨٨٠).

الأجر تسابق الصحابة لرفع راية الإسلام في أنحاء المعمورة، وكانت لهم مواقف عظيمة في هذا الشهر المبارك، منها: معركة بدر، وفتح مكة، وعين جالوت، وغيرها.

وفي معركة بدرالكبرى نصر الله قلة قليلة في العدد والعُدة على عدوهم الكافر ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وكان نصراً مؤزراً ارتفعت فيه راية الحق وأذل الله الشرك. وقد صبَّح النبي ﷺ ذلك اليوم بدعاء حار وذل وخضوع لله عز وجل حتى سقط رداؤه عن منكبه وهو يقول: «**اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد بعد اليوم في الأرض**»(١).

والمعركة الثانية التي وقعت في شهر رمضان هي فتح مكة، وكانت دخول مكة نصراً مؤزراً وفتحاً عظيماً، حيث دخل رسول الله ﷺ في السنة الثامنة وأزال الأوثان وحطم الأصنام وهو مطأطىء الرأس تواضعاً وحمداً لله عز وجل حتى إن جبهته تكاد تمس رحله وهو يقرأ ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١﴾ وفي هذا العام وما بعده أتت الوفود من أنحاء الجزيرة مبايعة على الإسلام.

أخي المسلم:

لقد تكفل الله عز وجل بنصر المؤمنين فقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٤٧﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ۝٥١﴾.

ولهذا النصر والتمكين شروط مهمة وصفات أساسية ذكرها الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ

(١) رواه البخاري(٣٩٥٣).

﴿ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ ومع اكتمال هذه المقومات المعنوية لابد من الأخذ بالقوة الحسية من عدة وعتاد وتخطيط وتدريب يقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾.

فلنحرص على تحقيق هذه الأمور ليُمَكن الله لنا ولتدوم نعمته علينا ولنحرص على إقامة الصلاة مع الجماعة في وقتها، وإيتاء الزكاة المفروضة عن طيب نفس، ولنحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لا يعمنا الله بعذاب من عنده.

وليكن الإخلاص لله عز وجل هو رائدنا ودليلنا، ولندع حظوظ النفس وشهواتها، ولننكر الذات فكل أمر للإسلام تهون له الروح

كـــــل عيــــــش قـــــد أراه نكــــــداً

غير ركــــن الــــرمــــح في ظـــــل الفـــــرس

وقيـــــــام في ليـــــــال دجـــــــن

حـــــارســـــاً للنـــــاس في أقصــــى الحــــرس

ولنستشعر فضل الجهاد وأجر القائم فيه، ومن لم يتيسر له ذلك فليكن له نصيب من حديث الرسول ﷺ: «**من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من طلب الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تُصبه**»(٢).

ولنحذر جميعاً من أن نموت على شعبة من النفاق، كما قال عليه

---

(١) رواه مسلم: (١٩٠٩).
(٢) رواه مسلم: (١٩٠٨).

الصلاة والسلام: «**من مات ولم يغز، ولم يُحدث نفسه بغزو، مات على شعبة من نفاق**»(١).

أخـي المسـلم:

من نعم الله عز وجل أن الجهاد باب واسع يدخل تحته أعمال كثيرة: فهو بالنفس وبالمال، وباللسان أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، أو تعليماً لجاهل وتنبيهاً لغافل قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾.

وفي جميع آيات الجهاد تقدم المال على النفس عدا آية واحدة وذلك لأهمية المال وعظم أمره.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من أنفق نفقة في سبيل الله كُتبت له سبعمائة ضعف**»(٣).

فاحرص ـ أخي المسلم ـ على نصرة دين الله عز وجل بالنفس والمال، وباللسان والسنان، وبالفكرة والرأي، وارم بسهم في سبيل الله.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: والجهاد، منه ما يكون باليد ومنه ما هو بالقلب والحجة والدعوة واللسان والرأي والتدبير والصناعة، فيجب بغاية ما

---

(١) رواه مسلم: (١٩١٠)

(٢) رواه أبوداود (٥٠٤) وأحمد (٣/ ١٢٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٩٠).

(٣) رواه الترمذي (١٦٧٥) تحفة ـ وقال: «حديث حسن». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١١٠).

يمكنه، ويجب على القَعَدة أن يخلفوا الغزاة في أهليهم ومالهم.

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل، اللهم إنا نسألك عيش السعداء وموت الشهداء.. اللهم أحينا على الإسلام وأمتنا على الإسلام، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن عشر:

العمـــرة والاعتكاف

الحمد لله الذي فتح لنا أبواب الطاعات، ويسرها لنا، ودلنا عليها، وأصلي وأسلم على خير خلقه، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن الله عز وجل جعل لنا من الأعمال الفاضلة والطاعات المتتالية ما تقر به الأنفس، وتهنأ به الصدور، ويتسابق فيه المتسابقون، طمعاً في رضوان الله ورحمته، ورجاء جنته وخوف عقابه. ومن الأعمال التي يسرها الله عز وجل لأهل هذه الديار أداء العمرة في هذا الشهر المبارك، ورتب لمن قام بها فضلاً عظيماً لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**»[(١)].

وفي رمضان يتضاعف هذا الفضل العظيم والأجر الجزيل فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: «**ما منعك أن تحجي معنا؟**» قالت: أبوفلان ـ زوجها ـ له ناضحان، حج على أحدهما، والآخر نسقي عليه. فقال لها النبي ﷺ: «**فإذا جاء رمضان، فاعتمري، فإن عمرة فيه تعدل حجة**» أو قال: «**حجة معي**»[(٢)].

ومع تيسر السبل وسهولة الوصول تسابق الناس ـ ولله الحمد ـ لأداء

---

(١) أخرجه البخاري(فتح ـ (١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري(فتح ـ ١٧٨٢) ومسلم(١٢٥٦).

العمرة في هذا الشهر المبارك. ولكن هناك وقفات مهمة لابد أن تراعى خاصة أن البعض يبحث عن الأجر ولا يُثاب عليه، بل يؤزر ويأثم. ومن **تلك الأمور:**

١ ـ أن البعض يسافر للعمرة بنساء ليس معهن محارم لهن، وهذا مما عمت به البلوى في هذا الزمن، ولكن الأصل الحرمة في ذلك، قال ﷺ: **«لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، ولا يدخل عليها رجل إلا ومعها محرم»** فقال رجل: يا رسول الله إني أريد أن أخرج في جيش كذا وكذا، وامرأتي تُريد الحج! فقال: **«اخرج معها»**(١).

وهذا الرجل أمره الرسول ﷺ أن يترك الجيش ويرجع ليذهب مع امرأته، ودرء المفاسد مقدَّم على جلب المصالح، والله عز وجل يعلم نية المرأة ورغبتها في العمرة وإنما منعها طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ.

٢ ـ أن بعض المعتمرين يهملون رعيتهم التي استرعاهم الله إياهم بتركهم هنا والبعد عنهم مدة طويلة؛ فيضيع الأولاد وتختل تربيتهم، وتهمل المرأة وتفقد زوجها.. والبيت يحتاج إلى راعٍ فيه يأمر بالمعروف ويوقظ أهل البيت للصلاة، وينهى عن المنكر فيه ويسوسه ويرعاه.

والنوع الثاني في الإهمال والتفريط: من يذهب بأهل بيته جميعاً معه من زوجةٍ وبنات وأبناء، ثم يتركهم في مكة المكرمة لا ضابط لدخولهم وخروجهم، فتحدث مفاسد عظيمة لا يعلمها إلا الله عز وجل في هذه البقعة المباركة التي قال الله تعالى عنها: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٦٢) ومسلم (١٣٤١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

«**أبغض الناس إلى الله ثلاثة**» وذكر منه: «**مُلحدٌ في الحرم**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**لو أن رجلاً همّ فيه بإلحاد وهو بعدن أبين، لأذاقه الله عذاباً أليماً**»(٢).

وغالب من يسافر إلى هناك يرى من تصرفات المراهقين والمراهقات والنساء عموماً، ما يندى له الجبين وينزف له القلب، بسبب الإهمال وعدم وجود الرقيب، وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يَعول. فلا تكن أيها الأب بإقامتك واعتكافك في الحرم آثماً، وترجع وأنت تحمل أوزار مَنْ تعولهم.. والأولى والأحسن والأتم في ذلك كله: أن يذهب الأب وأهل بيته سواء لأداء العمرة ثم يعودون إلى ديارهم بعد انتهائها مباشرة، فيكون الأب قد جمع الحُسنين من عمرة له ولأهل بيته، وتعويدهم على فعل الطاعات، وأهم من ذلك محافظته على فلذات كبده.

أخي المسلم:

الأمر الثاني من صالح الأعمال والقربات: **الاعتكاف**: وهو لزوم المسجد بنية مخصوصة، لطاعة الله تعالى وهو مشروع مستحب باتفاق أهل العلم. وقد حافظ ﷺ على الاعتكاف في العشر الأواخر كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «**أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان، حتي توفاه الله عز وجل، ثم اعتكف أزواجه من بعده**»(٣).

والاعتكاف فرصة عظيمة لتربية النفس، وجهاد الهوى، والبعد عن

---

(١) رواه البخاري (٦٨٨٢).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢٨/١)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وقال الحافظ ابن كثير: «هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري ووقفه أشبه من رفعه..» (تفسير ابن كثير ٢١٥/٣).

(٣) أخرجه البخاري(٢٠٢٦) ومسلم (١١٧١)(٥).

الشواغل والصوارف، وكثرة المطاعم والمآكل، والتفرغ لقراءة القرآن، والذكر وقيام الليل.

واحذر - **أيها المعتكف** - أن يكون حولك بعض الفارغين فتضيع ساعات يومك وليلتك في حديث جانبي وأمور تافهة. بل احرص - أخي المسلم - على إحياء هذه السنة العظيمة، وإحياء قلبك بدوام الطاعة، وفرِّغ من شهور السنة كاملة أياماً معدودة للتزود والتفكر. جعلنا وإياكم ممن يتقبل الله طاعاتهم ويتجاوز عن تقصيرهم وزلاتهم، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء. اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع عشر:

العشر الأواخر وليلة القدر

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان سيد الشهور، ضاعف فيه الحسنات والأجور، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

لقد أظلتنا أيام عظيمة وساعات قليلة، إنها أيام العشر الأواخر من رمضان، وهي بداية نهاية الشهر العظيم، ولها مزية على باقي أيام الشهر.

ومن مزاياها وخصائصها:

أولاً: اجتهاد النبي ﷺ فيها فوق ما كان يجتهد في غيرها من أيام الشهر، كما روت عائشة رضي الله عنها قالت: «**كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره**»[(١)]

ثانياً: كان ﷺ يحي الليل فيها كما قالت عائشة أم المؤمنين: «**كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجدَّ، وشدَّ المئزر**»[(٢)]

ومن مبالغته عليه الصلاة والسلام في الاجتهاد أنه كان يشد مئزره، يعني أنه يعتزل النساء اشتغالاً بالعبادة وتفرغاً لها.

فاحرص ـ أخي المسلم ـ على الاقتداء بنبيك عليه الصلاة والسلام، وتفرغ للعبادة، ولا تفوتك هذه الأيام والليالي القلائل، فإن فيها أجراً عظيماً. وتحرَّ ليلة القدر، واجتهد في الطاعة والعبادة، وتعرض لنفحات الرب الكريم الجواد المتفضل، وأكثر من الدعاء والتضرع.

---

(١) رواه مسلم: (١١٧٥).

(٢) رواه البخاري: (٢٠٢٤) ومسلم: (١١٧٤)واللفظ له.

أخـي المسـلم:

في حياة الأمم والشعوب أحداث خالدة وأيام مجيدة، تحمل في طياتها ما يفرح القلوب، ويبهج النفوس، ولقد شَـرُفتْ هذه الأمة بأعظم الأحداث وأكمل الأيام، وأتم الليالي.

ومما أنعم به الله عز وجل على هذه الأمة، ليلة وصفها الله عز وجل بأنها مباركة، لكثرة خيرها وبركتها وفضلها. ومن بركتها أن هذا القرآن الكريم أُنزل فيها. ووصفها الله عز وجل بأنه يفرق فيها كل أمر حكيم، أي تقدر في تلك الليلة مقادير الخلائق على مدى العام، فيكتب فيها الأحياء والأموات، والناجون والهالكون، والسعداء والأشقياء، والحاج والداج، والعزيز والذليل، والجدب والقحط، وكل ما أراده الله عز وجل في تلك السنة. قال الله عز وجل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾. وقال تعالى عن هذه الليلة العظيم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾.

ولهذه الليلة فضائل ومزايا منها:

أولاً: أن الله أنزل فيها القرآن الذي به هداية البشر وسعادتهم في الدارين.

ثانياً: تعظيم الله عز وجل لها بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾ وهذا استفهام تفخيم.

ثالثاً: أن هذه الليلة خير من ألف شهر، أي خير مما يزيد على ثلاث وثمانين سنة.

رابعاً: تتنزل الملائكة فيها، والملائكة لا ينزلون إلا بالخير والبركة والرحمة.

خامساً: أنها سلامٌ لكثرة السلامة فيها من العقاب والعذاب، بما يقوم به العبد من طاعة الله عز وجل.

سادساً: أن الله أنزل في فضلها سورة كاملة تتلى إلى يوم القيامة.

ومن فضائل ليلة القدر ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»(١).

أخـي المسـلم:

هذه الليلة العظيمة المباركة يستحب تحريها في رمضان، وفي العشر الأواخر منه خاصة، وفي الأوتار منها بالذات، أي ليالي: إحدى وعشرين، وثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين، وتسع وعشرين فقد ثبت في الصحيح من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ قال: «**التمسوها في العشر الأواخر في الوتر**»(٢) وفي حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى**»(٣).

وليلة القدر في السبع الأواخر أرجى، ولذلك جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أرُوا ليلة القدر في المنام، في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: «**أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع**

---

(١) رواه البخاري: (٢٠١٤) ومسلم: (٧٦٠).
(٢) رواه البخاري: (٢٠١٧).
(٣) رواه البخاري: (٢٠٢١).

الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرَّها في السبع الأواخر»(١).

وهي في ليلة سبع وعشرين أرجى ما تكون، فقد جاء من حديث أُبي بن كعب عند أحمد ومن حديث معاوية عند أبي داود، أن النبي ﷺ قال: «**ليلة القدر ليلة سبع وعشرين**»(٢).

ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام، قال في فتح الباري: «أرجح الأقوال أنها في وتر من العشر الأخير وأنها تنتقل».

وقد أخفى الله عز وجل علمها عن العباد رحمة بهم ليكثروا من العبادة والطاعة، طلباً لتلك الليلة، وأيام الوتر أيام قلائل مع أجر عظيم وثواب جزيل. فأكثر ـ أخي المسلم ـ فيها من الذكر، ومن الدعاء، خاصة الدعاء الذي علَّمه النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها حين قالت: يا رسول الله، أرأيت، إن علمت أي ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «**قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عني**»(٣).

وأكثر ـ أخي المسلم ـ من العبادة والخشوع والخضوع والبكاء والذلة لله عز وجل، واحرص على دقائقها، بل وثوانيها. واحذر البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان في تلك الليالي، من دعاء جماعي، أو تخصيصها بنوع من أنواع العبادة لم يشرعه الله ولا رسوله، أو الاحتفال بها، وإلقاء الخطب والكلمات! بل افعل كما كان الرسول ﷺ وأصحابه يفعلون وعليك بالاقتداء بهم، واحذر من أن تحيد عن نهجهم وطريقهم فتضل!

اللهم اجعلنا لنا نصيباً من غفرانك ورحمتك، اللهم اغفر الخطيئة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠١٥) ومسلم (١١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم: (٧٦٢) وأحمد(٥/ ١٣٢) عن أبي بن كعب رضي الله عنه موقوفاً، وأبو داود (١٣٨٦) عن معاوية رضي عنه مرفوعاً.

(٣) رواه الترمذي (٣٧٤٤ـ تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح».

واعف عن الزلل، وثبتنا على دينك حتى نلقاك. اللهم بارك في أعمالنا وأوقاتنا وأعنا على طاعتك وعبادتك، اللهم أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العشرون:

قيام الليل

الحمد لله الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين، ويسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها، فلم يتخذوا سواها شغلاً، وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين الذي قام من الليل حتى تفطَّرت قدماه، **وبعد:**

فإن هذا الشهر شهر الصيام والقيام، عبادة بالليل وعبادة بالنهار، امتثالاً لأمر الله عز وجل الذي قال لنبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾. وأثنى الله عز وجل على أهل الجنة بأنهم ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾. وقال جل وعلا: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾. وقد وصف الله عز وجل قيام الليل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾.

وفسر ابن كثير رحمه الله قوله تعالى: ﴿ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ بأنه أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار، لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش.

أخـــي المسـلم:

إن قيام الليل عبادة تصل القلب بالله، وتجعله قادراً على التغلب على مغريات الحياة وعلى مجاهدة النفس في وقت هدأت فيه الأصوات، ونامت العيون، وتقلب النُّوَّام على الفُرش، لكن قُوَّام الليل يهبون من فرشهم الوثيرة وسررهم المريحة، ويكابدون الليل والتعب، ولذا كان قيام الليل من مقاييس

العزيمة الصادقة، وسمات النفوس الكبيرة، الذين مدحهم الله عز وجل في آيات كثيرة.

وقيام الليل سنة مؤكدة حث عليه الرسول ﷺ بقوله: «.. **وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل**»[(١)].

وصلاة الليل في رمضان لها فضيلة ومزية على غيرها لقول النبي ﷺ: «**من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**»[(٢)].

وينبغي للمسلم الحرص على صلاة التراويح لينال ثوابها وأجرها ولا ينصرف حتى ينتهي الإمام منها ومن الوتر، ليحصل له أجر قيام الليل كله.

ويجوز للنساء حضور التراويح في المساجد إذا أمنت الفتنة منهن وبهنَّ لقول النبي ﷺ: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»[(٣)].

لكن يجب أن تأتي متسترة متحجبة، غير متبرجة ولا متطيبة، ولا رافعة صوتاً، ولا مبدية زينة.

ومع الفضل العظيم لمن صلى التراويح مع الإمام، إلا أن هناك من يضيعها ويفرط فيها، ولم يستشعر هول المطلع، يوم يصدر الناس أشتاتاً ليرو أعمالهم، ولم يتذكر ظلمة القبر ووحشته، فقيام الليل نور لظلمة القبر، مع ما أعد الله للقائم من الأجر والمثوبة وعفو الذنب والخطيئة.

وبعض الناس يسير في اليوم ساعات طوال، إما في شارع، أو سوق، أو رياضة، ويتكاسل عن أداء هذه الركعات القليلة.

وإليك أخي الكريم وقفات مهمة:

أولاً: السُنَّة في القيام الإطالة، فلا تتأفَّف ولا تتذمَّر وجاهد نفسك فأنت

---

(١) رواه مسلم (١١٦٣).

(٢) رواه البخاري (٢٠٠٩) ومسلم (٧٥٩).

(٣) رواه البخاري (٩٠٠) ومسلم (٤٤٢) (١٣٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

في عبادة، واحذر من الحديث بعد الصلاة مع الجيران: إنها طويلة وقد تعبنا!! ربما حبط عملك من هذا التأفف والتململ، ومن سمعك قال: هذا يقوم الليل كله! وصلاة القيام الآن لا تتجاوز الساعة والنصف، والله المستعان! وتأمل في أمور دنياك التي ربما تقف من أجلها في انتظار طويل ولا تتأفف!

ثانياً: لا يكن للشيطان نصيب في صلاتك، فيوردك موارد الرياء والسمعة والحديث عن النفس وتزكيتها. فإن الشيطان يقعدك عن العمل ويثبطك عن القيام به، ثم إذا جاهدت نفسك وقمت به بدأ يركض عليك بخيله ورجله حتى يفسد عليك عملك بالرياء والسمعة والإعجاب.

ثالثاً: لا تتكلف رفع الصوت عندما يدعو الإمام ولا تصرخ وتبكِ بصوت مرتفع، وقدوتنا جميعاً رسول الله ﷺ **الذي إذا بكى سُمع له أزيز كأزيز المرجل** فحسب[1]. فعليك بخير الهدي.

رابعاً: مسح الوجه باليدين بعد دعاء القنوت مخالف للسنة ولم يرد فيه نص.

خامساً: لا تكثر من الطعام قبل التراويح، حتى تؤديها وأنت مرتاح البال غير متخم بالطعام.

سادساً: لأبنائك عليك حق التربية وواجب الأمر، فأحضرهم ليشهدوا صلاة الجماعة والقيام، واجعلهم بجوارك، وعوِّدهم على الطاعة منذ الصغر.

سابعاً: احرص على التطيب والتزين عند ذهابك للمسجد امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ ۞ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾.

ثامناً: احفظ لسانك من الحديث عن الإمام، واحذر الحديث عنه وغيبته والاستهزاء به، وإن كان لك وجهة نظر فاستشره فيها، وانصحه لله عز وجل، فالدين النصيحة.

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٥و٢٦) وأبو داود (٩٠٤) والنسائي(٣/ ١٣) وصححه الألباني في مختصر الشمائل للترمذي (٢٧٦).

تاسعاً: فرغ نفسك هذا الشهر من كثرة لقاء الناس، وتفرغ لأمر آخرتك، ولا تكن بعد صلاة التراويح كالتي نقضت غزلها.. فبعد هذه العبادة من صيام وقيام تسهر على ما يغضب الله عز وجل من مشاهدة الحرام وسماع الغناء، وحديث الغيبة والنميمة، والاستهزاء وفحش الكلام، والقيل والقال، والنظر إلى النساء، وغيرها مما حرمه الله عز وجل.

وأوصي **الأخت المسلمة** بالستر والعفاف ولتعلم أن صلاتها في بيتها خير لها من الحضور إلى المسجد فعن أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي رضي الله عنها: أنها جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أحب الصلاة معك، قال: **«قد علمت أنك تُحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خيرٌ لكِ من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خيرٌ من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير لكِ من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير لكِ من صلاتك في مسجدي»**(١).

وقال **عبدالله بن مسعود**: ما تقربت امرأة إلى الله بأعظم من قعودها في بيتها.

وإن أتيتِ إلى المسجد فاحفظي دينك، وراعي صغارك حتى لا يصدر منهم ما يشوش على المصلين، واستفيدي من وجودك مع المصليات في الدعوة إلى الله، وتعليمهن ما خفي من أحكام الصلاة والطهارة فهي فرصة عظيمة. وعليك بالخروج مباشرة بعد نهاية الصلاة، حتى لا تختلطي بالرجال، واحذري أن تأتي لأمر طاعة وتنقلبي إلى منزلك وأنت تحملين الآثام والأوزار.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا، اللهم وفقنا للطاعات وجنبنا المنكرات، اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أحمد: (٦/ ٣٧١).

الدرس الحادي والعشرون:

تربية الأولاد

الحمد لله المُنعم المتفضل بجزيل العطايا والإحسان، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن نعم الله عز وجل لا تحصى، وعطاياه لا تُعد، ومن تلك النعم العظيمة وأجلِّها نعمة الأبناء، قال الله تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ ولا يَعرفُ عِظَم هذه النعمة إلا من حُرم منها، فتراه ينفق ماله ووقته في سبيل البحث عن علاج لما أصابه.

وهذه النعمة العظيمة هي أمانة ومسئولية، يُسأل عنها الوالدان يوم القيامة، أَحَفِظا أم ضيعا؟ وزينة الذرية لا يكتمل بهاؤها وجمالها إلا بالدين وحُسن الخلق، وإلا كانت وبالاً على الوالدين في الدنيا والآخرة.

يقول الرسول ﷺ: «**كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته**»[(١)].

وهذه الرعية أمانة حذر الله عز وجل من إضاعتها، والتفريط في القيام بحقها، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾.

يقول **ابن القيم** رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه، وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة؛ وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين وسُننه، فأضاعوهم

---

(١) أخرجه البخاري: (٢٤٠٩) ومسلم: (١٨٢٩).

صغاراً، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً».

وإلى كل أب وأم ومربٍ، وقفات سريعة لعل الله أن ينفع بها:

أولاً: الأصل في تربية النشء إقامة عبودية الله عز وجل في قلوبهم، وغرسها في نفوسهم وتعاهدها، ومن آلاء الله علينا أن المولود يولد على دين الإسلام، دين الفطرة، فلا يحتاج إلا إلى رعايته، ومداومة العناية به، حتى لا ينحرف أو يضلَّ.

الثاني: الأب والأم في عبادة لله عز وجل حين التربية والإنفاق والسهر والمتابعة والتعليم، بل وحتى إدخال السرور عليهم وممازحتهم إذا احتسبوا ذلك، فالأصل تعبد الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

والنفقة عليهم عبادة كما قال عليه الصلاة والسلام: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها كانت له صدقة**»[2].

الثالث: لابد من الإخلاص لله عز وجل في أمر التربية، فإن أراد المربي الدنيا فقد انثلم إخلاصه، وترى البعض يحرص على تعليم أبنائه لكي يحوزوا المناصب والشهادات، ولاشك أن الخير في تعليمهم ابتغاء ثواب الله عز وجل وما عداه فهو تابع له، ولهذا يركز من يريد الدنيا على التعليم الدنيوي المجرد من خدمة الإسلام والمسلمين، والآخر الموفق

---

(١) رواه مسلم: (٩٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٥٥) ومسلم (١٠٠٢) من حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه.

يسعى لكسب شهادة في الطب مثلاً لمداوة المسلمين، ولكي نستغني عن الأطباء الكفار، فهذا له أجر وذاك ليس له أجر، والنية في هذا الأمر عظيمة، وهي من أسباب صلاح الأبناء وحسن تربيتهم، فما كان لله فهو ينمو ويكبر وما كان للدنيا فهو يقل ويضمحل. وبعض الآباء يبر والديه لكي يراه صغاره فيعاملونه إذا كبر وشاخ بمثل ذلك. وهذا فيه حب الدنيا وحظوظ النفس، ولكن المؤمن يخلص لله في بر والديه رغبة فيما عند الله عز وجل، وطاعة لأمره في بر الوالدين، لا للدنيا والمعاملة بالمثل.

رابعاً: عليك باستصحاب النية في جميع أمورك التربوية حتى تؤجر. الزم النية في النفقة عليهم، وفي ممازحتهم وملاعبتهم وإدخال السرور عليهم وعود نفسك على ذلك.

خامساً: الدعاء هو العبادة، وقد دعا الأنبياء والمرسلون لأبنائهم وزوجاتهم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ وغيرها في القرآن كثير. وكم من دعوة اهتدى بسببها ضال، وكم من دعوة اختصرت مسافات التربية. وتحرَّ أوقات الإجابة، وابتعد عن موانعها، وتضرع إلى الله عز وجل، وانكسر بين يديه أن يهدي ذريتك، وأن يجنبها الشيطان، فأنت ضعيف بجهدك قليل بعملك.

سادساً: عليك بالمال الحلال وتجنب الشُّبه، ولا تقع في الحرام، فإنه صح عن النبي ﷺ أنه قال لكعب بن عجرة: «**يا كعب بن عجرة: إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت النار أولى به...**»[1] ولا يظن الأب

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٢١و٣٩٩) من حديث جابر رضي الله عنه وصححه الألباني ـ انظر: =

أو الأم أن الحرام في الربا والسرقة والرشوة فحسب، بل حتى في إضاعة وقت العمل وإدخال مال حرام دون مقابل.. فكثير من الموظفين والمدرسين يتهاونون في أعمالهم، ويتأخرون عن مواعيد عملهم بضع دقائق لو جمعت إذا بها ساعات تضيع في الحديث مع الزملاء وقراءة المجلات والجرائد والمكالمات الهاتفية، وهذه الأموال التي يأخذها مقابل هذه الأوقات سحت، لأنها أَخْذُ مالٍ بدون وجه حق. فاحذر ـ أخي المسلم ـ أن يدخل جوفَك وجوفَ ذريتك مالٌ حرامٌ. وتحرَّ الحلال على قلته، فإن فيه بركة عظيمة.

سابعاً: القدوة الحسنة من ضروريات التربية، فكيف يحرص ابنك على الصلاة وهو يراك تضيعها؟ وكيف يبتعد عن الأغاني والمجون وهو يرى والدته ملازمة لسماعها! ثم في صلاحك حفظ لهم في حياتك وبعد مماتك. وتأمل في قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ فصلاح هذا الأب عَمَّ أبناءه بعد موته بسنوات. وليكن لك أجر غرس الإسلام في نفس طفلك، وحرصه على أداء شعائره فإن «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده..**» الحديث[1].

ثامناً: وجِّه بعضاً من حرصك على أمور الدنيا ومعرفتها وكشف دقائقها إلى معرفة أفضل السبل في أمر التربية، واستشر من ترى فيه الصلاح، وابحث عن الأشرطة والكتب التي تتحدث عن التربية

= «صحيح الترغيب والترهيب» (٨٥٦، ٨٥٧).

(١) رواه مسلم (١٠١٧).

الإسلامية للطفل المسلم. ولا يكن شراء سيارة أو جهاز كهربائي أهم من تربية ابنك؛ فأنت تسأل عن السيارة والجهاز كل من تراه، ثم تُهمل ابنك ولا تتلمس الطريق السوي لتربيته!.

تاسعاً: الصبر.. غفل عنه البعض وهو من أهم عوامل نجاح التربية. فعليك به، واصبر على صراخ الصغير ولا تغضب، واصبر على مرضه واحتسب، واصبر على توجيهه ولا تملَّ، واصبر على مسافات بعيدة لتذهب بابنك لمدرسة ناجحة، وفيها المدرسون الأكفاء. واصبر على أن تنتظر ابنك ليخرج معك للصلاة، واصبر على أن تجلس بعد العصر في المسجد ليحفظ معك ابنك القرآن. وأبشر فإنك في طريق جهاد ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ وأنت مأمور بالتربية، وأما الهداية فهي من الله عز وجل، فابذل السبب واصبر وسترى من الخير ما يسرُّك ويؤانس طريقك.

عاشراً: الصلاةَ، الصلاةَ، فهي الفريضة العظيمة والركيزة الثانية من فرائض الإسلام بعد الشهادتين، فاحرص عليها، وليشعر ابنك بأهميتها وعظم قدرها. وهي يسيرة على من يسرها الله عليه، والتزم الأدب النبوي في تربية الأطفال، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر**»(١). ومن طبق هذا الحديث فإنه لا يرى مشقة ولا تعباً في أمر الصلاة، فإن الصغير فيما بين السابعة والعاشرة من عمره يفرح بالخروج للمسجد، وتأمل في هذه الفترة التي يتخللها أكثر من ٥٠٠٠ مرة تناديه للصلاة ويخرج فرحاً بذلك كعادة الصغار.. هل يا ترى إذا بلغ العاشرة وقد صلى ٥٠٠٠ صلاة يتركها؟!

---

(١) رواه أحمد (٢/ ١٨٧) وأبو داود (٤٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٨).

ولا تكن ـ أيها الأب المبارك ـ مثل جهلة بعض الآباء، الذي يرحم ابنه من برد الشتاء، ولا يوقظه للصلاة، بل كن من العقلاء، وارحمه من نار جهنم والعياذ بالله، وأطع أمر الله ورسوله، واصبر على إيقاظه وتشجيعه وتحبيب الصلاة إليه، حتى تبرأ ذمتك يوم القيامة. وليهنك حفظ الله عز وجل لصغارك طوال يومهم فقد قال ﷺ: «**من صلى الصبح فهو في ذمة الله. .**»[(١)]. واستشعر أن صغيرك في ذمة الله طوال ذلك اليوم.

الحادي عشر: لابد من مراعاة المَلَكَات الخاصة والفوارق الفردية بين الأطفال، والعدل معهم في المعاملة، وبعض الآباء يهمل ملكات عظيمة لدى صغيره تضيع سدى. فتجد بعض الصغار يحفظ الأناشيد والدعايات وغيرها مما لا فائدة منه، ولا يحفظ كتاب الله عز وجل، ولا يُوجَّه لذلك. ولو تأملت في حياة علماء الأمة لوجدت الكثير يملكون مثل إمكاناتهم وقوة حفظهم، ولكنهم وجهوا هذه الثروة إلى غير فائدة، فهذا عالم الأمة ومفتي الديار، وذاك يحفظ الشعر والقصص.

الثاني عشر: احرص على كتم الغضب والانفعال، وتعوَّذ بالله من الشيطان إذا داهمك، ولقد جعل الإسلام للعقوبة حداً؛ فجعل ضرب الطفل لا يتجاوز العشر ضربات، وأن يكون عمر الصغير فوق العشر السنوات، وأن يضرب بمسواك أو عصا صغيرة، ويتجنب الوجه والعورة، واحرص على التسمية عليه حال الضرب، ولا تضرب وأنت غضبان هائج، وإن استبدلت الضرب بالتشجيع أو الحرمان فهو خير لك ولابنك.

---

(١) رواه مسلم (٦٥٧) كتاب المساجد: باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.

الثالث عشر: وقتك طويل ولديك ساعات كثيرة بعد نهاية عملك فما نصيب أبنائك منها؟ فإن كنت مفرطاً في حقهم، فتدارك ما فات، واجعل لهم النصيب الأكبر، وإن كنت ممن حفظ هذا الوقت، وجعله لهم فهنيئاً لك، ولا تغفل أن يكون بيتك ومملكتك الصغيرة واحة إيمانية تقرأ عليهم فيها من سيرة الرسول ﷺ، وتجعل فيها المسابقات الثقافية والإسلامية والعلمية. واجعل لمن حفظ القرآن جوائز قيمة، واحرص على تلمس سيرة الرسول وحسن تعامله وتواضعه وممازحته للصغار.

رزقنا الله وإياكم الذرية الصالحة، وأقر أعيننا بصلاحهم وفلاحهم، وجمعنا وإياهم ووالدينا في جنات عدن، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني والعشرون:

حق المرأة على زوجها

الحمد لله الذي خلق الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن الله عز وجل خلق لنا في هذه الدنيا أزواجاً نسكن إليها، وجعل المودة والرحمة دوحة نستظل بها. ورغبة في تجديد ما تقادم من المعلومات وتذكير من غفل من الإخوان والأخوات، فإن الحقوق الزوجية عظيمة ويترتب عليها أمور مهمة، فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾. وهذه المرأة ـ أخي المسلم ـ التي تحت يدك أمانة عندك، ومسؤول عنها يوم القيامة، هل أديت حقوقها أم فرطت وضيَّعت؟!

ومن أهم حقوقها ما يلي:

أولاً: الوصية بالنساء خيراً امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ وقول الرسول ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء**»(١). وعنه ﷺ أنه قال: «**اللهم إني أحرج حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة**»(٢).

ثانياً: إعطاؤها حقوقها وعدم بخسها، فعن معاوية بن حيدة رضي الله

---

(١) رواه البخاري (٥١٨٦) ومسلم (١٤٦٨)(٦٠).

(٢) رواه وأحمد (٢/٤٣٩) وابن ماجه (٣٦٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال النووي: «حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيد» (رياض الصالحين/ ٢٧٠).

عنه قال: قلت يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح ولا يهجر إلا في البيت**»[(١)]. وبعض الناس يأخذه الكرم والسخاء مع الأصدقاء وينسى حق الزوجة، مع أن المرء يؤجر على إنفاقه في بيته كما روى ذلك أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك**»[(٢)]، وآخرون اتخذوا ضرب زوجاتهم مهنة لهم فلا يرفع يده عنها، وعائشة رضي الله عنها تقول: «**ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً..**»[(٣)]. والرسول ﷺ هو القدوة والمثل. وآخرون اتخذوا الهجر عذراً وطريقاً لأي سبب حتى وإن كان تافهاً، وربما هجر المسكينة شهوراً لا يكلمها ولا يؤانسها، وقد تكون غريبة عن أهلها، أو شابة صغيرة يخشى على عقلها من الوحدة والوحشة.

ثالثاً: تعليمها العلم الشرعي وما تحتاج إليه من أمور العبادات وحثها على ذلك، يقول تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «**نعم النساء نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين**»[(٤)]. وعلى الزوج أن يتابع تعليمها القرآن الكريم والسنة المطهرة ويشجعها ويعينها على الطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ قال ﷺ: «**رحم الله**

---

(١) رواه أحمد: (٤/٤٤٦) وأبو داود (٢١٤٢) وابن ماجه (١٨٥٠) وحسّن الألباني إسناده (المشكاة ـ ٣٢٥٩).
(٢) رواه مسلم: (٩٩٥).
(٣) رواه مسلم: (٢٣٢٨).
(٤) رواه البخاري معلقاً في كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ووصله مسلم في صحيحه (٣٣٢) كتاب الحيض (٦٠).

رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء»(١).

رابعاً: معاملتها المعاملة الحسنة والمحافظة على شعورها وتطييب خاطرها، قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني أحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تتزين لي لأن الله ذكره بقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. وقال جل وعلا: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾. ومن أهم الأمور التي انتشرت في أوساط بعض الأسر المسلمة من المخالفات في تلك المعاملة الحسنة التي أمرنا بها: بذاءة اللسان، وتقبيح المرأة خِلقةً أو خُلقاً، أو التأفف من أهلها وذكر نقائصهم، وكذلك سب المرأة وشتمها ومناداتها بالأسماء والألقاب القبيحة. ومن ذلك إظهار النفور والاشمئزاز منها. ومن ذلك أيضاً تجريحها بذكر محاسن نساء أخر، وإنهن أجمل وأفضل، فإن ذلك يكدر خاطرها في أمر ليس لها فيه يد.

ومن المحافظة على شعورها وإكرامها مناداتها بأحب أسمائها إليها، وإلقاء السلام عليها حين دخول المنزل، والتودد إليها بالهدية والكلمة الطيبة، ومن حسن الخلق وطيب العشرة عدم تصيد أخطائها ومتابعة زلاتها، بل العفو والصفح والتغاضي خاصة في أمور تجتهد فيها وقد لا تُوفَّق. وتأمّل في حديث الرسول ﷺ: **«أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»**(٢).

خامساً: المحافظة عليها من الفساد ومن مواطن الشبه، وإظهار الغيرة

---

(١) رواه أحمد: (٢/ ٢٥٠) أبو داود (١٤٥٠) ووابن ماجه (١٣٣٦) والنسائي (٣/ ١٦٠٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٩٤).

(٢) رواه أحمد: (٢/ ٤٧٢) والترمذي (١٧٢ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح».

عليها، وحثها على القرار في البيت، وإبعادها عن رفيقات السوء، والحرص على أن لا تذهب إلى الأسواق بكثرة وإن ذهبت فاذهب معها، وأن لا تدعها تسافر بدون محرم، واستشعر أن هذه أمانة عندك مسؤول عنها يوم القيامة «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(١)]..

سادساً: إعفافها وتلبية حاجاتها، فإن ذلك يحفظها، ويغنيها عن التطلع إلى غيرك، واحرص على إشباع حاجاتها العاطفية بالكلمة الطيبة والثناء الحميد، واقتطع من وقتك لها، واجعل لبيتك نصيباً من بشاشتك ودماثة خلقك، روى عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ياعبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النار وتقوم الليل؟** قال: قلت: بلى يا رسول الله. قال: **فلا تفعل، صُم وأفطر، وقُم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً**..»[(٢)]. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**وفي بُضْع أحدكم صدقة**» قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر**»[(٣)].

سابعاً: التأسي بخير الأزواج في مؤانسة الزوجة وحسن العشرة وإدخال السرور على قلبها، روى عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**كل شيء يلهو به الرجل فهو باطل إلا: تأديبه فرسه ورميه بقوسه، وملاعبته أهله**»[(٤)]. ومن أحق منك بحسن الخلق وطيب المعشر، ممن تخدمك وتطبخ

---

(١) رواه البخاري (٩٠٤.٢) ومسلم (١٨٢٩).
(٢) رواه البخاري: (١٩٧٥) ومسلم(١١٥٩).
(٣) رواه مسلم: (١٠٠٦).
(٤) رواه أبوداود: (٢٥١٣) والترمذي: (١٦٨٨ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن»، وأحمد (١٤٨/٤).

لك، وتنظف ثوبك، وتفرح بدخولك، وتربي أبناءك، وتقوم بشئونك طوال حياتك؟! ولنا في رسول الله أسوة حسنة، فقد كان عليه الصلاة والسلام يسابق عائشة إدخالاً للسرور على قلبها، ويناديها بياعائشُ تقرباً إلى قلبها، وكان عليه الصلاة والسلام يؤانسها بالحديث ويروي لها بعض القصص، ويشاور زوجاته في بعض الأمور مثلما شاور أم سلمة في صلح الحديبية.

ثامناً: تحمل أذاها والصبر عليها، فإن طول الحياة وكثرة أمور الدنيا لابد أن توجد على الشخص ما ينغص عليه من زوجه، كأي إنسان خلق الله فيه الضعف والقصور. وتحمل الأذى إلا أن يكون في أمر الآخرة من تأخير الصلاة أو ترك الصيام فهذا أمر لا يُحتمل، ولكن المراد ما يعترض طريق الزوج خاصة الأيام التي تكون فيها الزوجة مضطربة، وتمر بظرف شهري معروف، وقد كان نساء النبي ﷺ يراجعنه ويقع منهن تصرفات تستوجب الحلم والعفو.

تاسعاً: المحافظة على مالها وعدم التعرض له إلا بإذنها، فقد يكون لها مال من ورث أو عطية، أو راتب شهري تأخذه من عملها، فاحذر التعرض له لا تصريحاً ولا تلميحاً ولا وعداً ولا وعيداً إلا برضاها، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾﴾ وقد كان رسول الله ﷺ أميناً على مال زوجته خديجة فلم يأخذ إلا حقه ولم يساومها ولم يظهر الغضب والحنق حتى ترضيه بمالها! قال تعالى محُذراً عن أخذ المهر الذي هو مظنة الطمع وهو من مال الزوج أصلاً: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ فما بالك بأموال زوجتك التي تكدُّ وتتعب لتجمعها. وأخذ المال منها ينافي قيامك بأمر القوامة ووجوب النفقة عليها

حتى وإن كانت أغنى منك، وليحذر الذين يتعدون على أموال زوجاتهم ببناء مسكن أو استثمار ثم يضع مالها باسمه ويبدأ يستقطعه، فإنه مال حرام وأخذ مال بدون وجه حق، إلا بإذن صاحبه.

عاشراً: من حقوق الزوجة التي عدَّد زوجها، العدل بين الزوجات في البقاء والمكث مع كل زوجة والتسوية في المبيب والنفقه، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ وقال مال كثير من المعددين، والرسول ﷺ يقول: «**من كانت له امرأتان، فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل**»[١].

وكان رسول الله ﷺ إذا أراد السفر أقرع بين زوجاته فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان عليه الصلاة والسلام يراعي العدل وهو في مرض موته حتى أذن له زوجاته فكان في بيت عائشة. وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه له امرأتان فإذا كان يوم هذه لم يشرب من بيت الأخرى الماء.

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً، اللهم أصلح زوجاتنا وذرياتنا، وبارك لنا في أموالنا وأولادنا، وتقبل منا واغفر لنا وارحمنا إنك أنت السميع العليم. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أحمد: (٢/ ٢٩٥) أبو داود (٢١٣٣) والنسائي في عشرة النساء (٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٥).

الدرس الثالث والعشرون:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله المبدىء المُعيد، الواحد القهار، ذي العزة والاقتدار، والصلاة على النبي الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن من أهم المهمات وأفضل القربات التناصح والتوجيه إلى الخير والتواصي بالحق والصبر عليه، والتحذير مما يخالفه ويغضب الله عز وجل ويباعد من رحمته.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزلته عظيمة، وقد عدَّه بعض العلماء الركن السادس من أركان الإسلام، وقدَّمه الله عز وجل على الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾. وقدمه الله عز وجل في سورة التوبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾.

وفي هذا التقديم إيضاح لعظم شأن هذا الواجب، وبيان لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر، وبإضاعته تكون العواقب الوخيمة، والكوارث العظيمة، والشرور الكثيرة، وتتفرق الأمة وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، ويظهر صوت الباطل، ويفشو المنكر.

ومن فضل **الأمر بالمعروف** والنهي عن المنكر ما يلي:

أولاً: أنه من مهام وأعمال الرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ،

ثانياً: أنه من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾ . على عكس أهل الشر والفساد ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)﴾ .

ثالثاً: أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الصالحين قال تعالى: ﴿۞ لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤)﴾ .

رابعاً: من خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ﴾ .

خامساً: التمكين في الأرض قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ .

سادساً: أنه من أسباب النصر قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١)﴾ .

سابعاً: عظم فضل القيام به كما قال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾ . وقوله ﷺ: «من دعا إلى هدى

كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»[(١)].

ثامناً: أنه من أسباب تكفير الذنوب، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، تكفرها الصيام والصلاة، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»**[(٢)].

تاسعاً: في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للضرورات الخمس: في الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفضائل غير ما ذكرنا. وإذا تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعطلت رايته، ظهر الفساد في البر والبحر، وترتب على تركه أمور عظيمة منها:

أولاً: وقوع الهلاك والعذاب قال الله عز وجل: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾.

وعن حذيفة رضي الله عنه مرفوعاً **«والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجيب لكم»**[(٣)].

ولما قالت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها: «أنهلك وفينا الصالحون؟» قال لها الرسول ﷺ: **«نعم إذا كَثُرَ الخَبَثُ»**[(٤)].

ثانياً: عدم إجابة الدعاء، وقد وردت أحاديث في ذلك، منها حديث

---

(١) رواه مسلم: (٢٦٧٤).
(٢) متفق عليه وقد سبق تخريجه في ص١٧.
(٣) رواه أحمد (٥/ ٣٨٨) والترمذي (٢٢٥٩ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن»، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع(٧٠٧٠).
(٤) رواه البخاري: (٧٠٥٩).

عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «**مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوا فلا يُستجاب لكم**»(١).

ثالثاً: انتفاء خيرية الأمة، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾

فخيرية الأمة منوطة بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعاً: تسلط الفساق والفجار والكفار وتزيين المعاصي وشيوع المنكر واستمراؤه.

خامساً: ظهور الجهل، واندثار العلم، وتخبط الأمة في ظلمة حالكة لا فجر لها. ويكفي عذاب الله عز وجل لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسلط الأعداء والمنافقين عليه وضعف شوكته وقلة هيبته.

أخـي المسـلم:

قال العلاَّمة الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه الله ـ: فلو قُدِّر أن رجلاً يصوم النهار ويقوم الليل ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع هذا لا يغضب لله، ولا يتمعَّر وجهه، ولا يحمر، فلا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله، وأقلهم ديناً، وأصحاب الكبائر أحسن عند الله منه.

خطوات الإنكار والأمر:

أولاً: التعريف، فإن الجاهل يقوم على الشيء لا يظنه منكراً، فيجب إيضاحه له، ويؤمر بالمعروف ويبين له عظم أجره وجزيل ثواب من قام به، ويكون ذلك بحسن أدب ولين ورفق.

ثانياً: الوعظ، وذلك بالتخويف من عذاب الله عز وجل وعقابه وذكر آثار الذنوب والمعاصي. ويكون ذلك بشفقة ورحمة له.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٠٤) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه.

ثالثاً: الرفع إلى أهل الحسبة إذا ظهر عناده وإصراره.

رابعاً: التكرار وعدم اليأس فإن الأنبياء والمرسلين أمروا بالمعروف وأعظمه التوحيد، وحذروا من المنكر وأعظمه الشرك، سنوات طويلة دون كلل أو ملل.

خامساً: إهداء الكتاب والشريط النافع.

سادساً: لمن كان له ولاية على زوجة وأبناء ونحوهم، فله الهجر والزجر والضرب.

سابعاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستوجب من الشخص الرفق والحلم، وسعة الصدر والصبر، وعدم الانتصار للنفس، ورحمة الناس، والإشفاق عليهم، وكل ذلك مدعاة إلى الحرص وبذل النفس.

أخي المسلم:

درجات تغيير المنكر ذكرها الرسول ﷺ بقوله: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[١].

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ قدس الله روحه ـ: ومن لم يكن في قلبه بغض ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرّمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً.

وقال الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** رحمه الله: فالله الله إخواني تمسكوا بأصل دينكم، أوله وآخره، أُسِّه ورأسه، وهو «شهادة أن لا إله إلا الله» واعرفوا معناه وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين،

---

(١) رواه مسلم (٤٩).

واكفروا بالطواغيت، وعادوهم وابغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال ما عليَّ منهم، أو قال: ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى، بل كلفه الله بهم وفرض عليه الكفر بهم والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه أو أولاده.

أخي المسلم:

شاع في بعض أوساط الناس الغفلة عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتبروا ذلك تدخلاً في شئون الغير، وهذا من قلة الفهم ونقص الإيمان، فعن أبي بكر رضي الله عنه قال: يا أيها الناس، إنكم لتقرؤون هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**»(١).

وتأمل في سفينة المجتمع كما صورها الرسول ﷺ بقول: «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً**»(٢).

ومع الأسف الشديد ظهرت في بعض المجتمعات ظاهرة خطيرة وهي الاستهزاء بالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ولمزهم وغمزهم، والله عز وجل قد توعد الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بعذاب أليم.

وننبه الأحبة الكرام إلى خطورة الأمر، قال في حاشية ابن عابدين: إن

---

(١) رواه أبوداود: (٤٣٣٨) والترمذي (٢٢٥٧ـ تحفة) وابن ماجه (٤٠٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٧٣).

(٢) رواه البخاري (٢٤٩٣) كتاب الشركة: باب هل يقرع في القسمة؟.

من قال: «**فضولي**» لمن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر فهو مرتد.

وفي «الدر المختار» قال في فصل الفضولي: هو من يشتغل بما لا يعنيه، فالقائل لمن يأمر بالمعروف: أنت فضولي، يُخشى عليه الكفر.

اللهم اجعلنا من الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، المقيمين لحدودك، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب، اللهم اغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع والعشرون:

التوبة

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن من أعظم نعم الله عز وجل أن فتح باب التوبة وجعله فجراً تبدأ معه رحلة العودة بقلوب منكسرة، ودموع منسكبة، وجباه خاضعة.

يقول الله جل وعلا: ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾.

ويقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

ويقول تعالى حاثاً على التوبة والرجوع والأوبة: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾.

وصح عنه ﷺ كما روى ذلك الإمام مسلم أنه قال: «**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»[(١)].

وهذا نبي الرحمة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقول: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة**»[(٢)].

وانظر وتأمل أخي المسلم في فضل الله عز وجل على التائب العائد، فقد قال رسول الله ﷺ: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[(٣)].

---

(١) رواه مسلم: (٢٧٥٩).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠) والبيهقي (١٠/ ١٥٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨).

أخـي المسـلم:

إن رمضان فرصة عظيمة للتوبة لمن صدق مع الله عز وجل، ولا تكن أيها المفرط ممن رغم أنفه وخسر هذه الفرصة العظيمة، فعنه ﷺ أنه قال: «**رغم أنف من أدركه رمضان فلم يغفر له**»(١).

ولا يأخذك الهوى وملهيات النفس فإن الرسول ﷺ يقول: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»(٢).

وهذا الحديث بشارة لجميع المسلمين بالجنة، إلا صنفاً منهم لا يريدون دخولها، لا زهداً فيها، ولكن جهلاً بالطريق الموصلة إليها، وتراخياً وتكاسلاً عن دخولها، وتفضيلاً لهذه المتع الدنيوية الزائلة على تلك النعم الخالدة في الجنة.

أخـي المسـلم:

جدَّ في التوبة وسارع إليها فليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبى، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد، فسارع إلى التوبة، وهُبَّ من الغفلة، واعلم أن خير أيامك يوم العودة إلى الله عز وجل، فاصدق في ذلك السير، وليهنك حديث الرسول ﷺ «**لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح**»(٣).

---

(١) رواه الترمذي: (٣٧٧٧ـ تحفة) والحاكم (١/٥٤٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٠) والمشكاة (٩٢٧).

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٠).

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٧).

أخي الصائم: **قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه**: من أعظم الاغترار عندي: التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القُرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عز وجل مع الإفراط.

ومن أحب الجنة انقطع عن الشهوات، ومن خاف النار انصرف عن السيئات.

وقال **الحسن البصري**: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أُحسن الظن بربي ـ وكذب ـ لو أحسن الظن لأحسن العمل.

وقال رحمه الله: إن المؤمن قوّام على نفسه يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خفَّ الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يَفْجَؤُه الشيء يعجبه فيقول: والله إني لأشتهيك، وإنك لمن حاجتي ولكن والله ما من صلة إليك، هيهات، هيهات، حيل بيني وبينك، ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: ما أردت إلى هذا، مالي ولهذا! والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله، إن المؤمنين قومٌ أوثقهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم، إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئاً حتى يلقى الله عز وجل، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه وبصره ولسانه وجوارحه.

أخي المسلم:

إن جهاد النفس: جهاد طويل، وطريق محفوف بالمكاره، مذاقه مر وملمسه خشن، فعليك بالسير في ركاب التائبين حتى تحط رحالك في جنات عدن.

قال **حاتم الأصم**: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغتر لا يأمن الشقاء.

الأول: خطر يوم الميثاق حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا يعلم في أي الفريقين كان.

الثاني: حين خُلق في ظلمات ثلاث، فنادى الملك: بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء.

الثالث: ذكر هول المطالع، فلا يدري أيُبشر برضا الله أم بسخطه.

الرابع: يوم يصدر الناس أشتاتاً، فلا يدري أي الطريقين يُسلك به.

وقال **الحسن**: ابنَ آدم.. إنك تموت وحدك وتدخل القبر وحدك، وتُبعث وحدك، وتحاسب وحدك.. فينبغي لكل ذي لب وفطنة أن يحذر عواقب المعاصي، فإنه ليس بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم، وإنما هو قائم بالقسط، حاكم بالعدل، وإن كان حلمه يسع الذنوب، إلا أنه إذا شاء عفا، فعفا كل كثيف من الذنوب، وإن شاء أخذ وأخذ باليسير، فالحذر الحذر..

أخي المسلم:

كلنا أصحاب ذنوب وخطايا وليس منا من هو معصوم عن الزلل والخطأ، ولكن خيرنا من يسارع إلى التوبة ويبادر إلى العودة: تحثه الخُطى، وتسرع به الدمعة، ويعينه أهل الخير رفقاء الدنيا والآخرة، فإن من واجب الأُخوة في الله عدم ترك العاصي يستمر في معصيته بل يحاط بإخوانه، ويذكر وينبه، ولا يُهمل ويترك فيضل ويشقى. أرأيت إن نزل به مرض أو شأن من أمور الدنيا كيف تقف معه وتعينه؟! فالآخرة أولى وأبقى.

ولو تفقَّد كل مسلم أخاه وقريبه وجاره، لصلحت الحال واستقامت الأمور، خاصة في هذا الشهر العظيم الذي صفت فيه القلوب واطمأنت فيه النفوس، وسارع المسلمون إلى فعل الخيرات وترك المنكرات، فإنها فرصة عظيمة لنصح المذنب، وتنبيه الغافل، وتعليم الجاهل. والحال كما ذكرها ابن

القيم بقوله: رأيت الخلق كلهم في صف محاربة، والشياطين يرمونهم بنبل الهوى، ويضربونهم بأسياف اللذة، فأما المخلطون فصرعى من أول وقت اللقاء، وأما المتقون - جعلنا الله منهم - ففي جهد جهيد من المجاهدة، فلابد مع طول الوقوف في المحاربة من جراح، منهم يجرحون ويداوون، إلا أنهم من القتل محفوظون، بل إن الجراحة في الوجه شَينٌ باقٍ، فليحذر ذلك المجاهدون.

أخـي الصائـم:

بادر إلى التوبة ودع عنك لعل وسوف، ولا يغرك طول الأمل فإن الموت يأتي فجأة! والموت يطلبك في كل لحظة!

مضى أمسك الأدنى شهيداً معدّلاً
ويومك هذا بالفعال شَهيدُ
فإن تَكُ بالأمس اقترفت إساءة
فثنّ بإحسان وأنت حميدُ
ولا ترجُ فعل الخير منك إلى غدٍ
لعل غداً يأتي وأنت فقيدُ

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: الذي يضر صاحبه هو ما لم يحصل منه توبة، فأما ما حصل منه توبة فقد يكون صاحبه بعد التوبة أفضل منه قبل الخطيئة.

ولا تظن أيها المسلم الصائم أن التوبة في ترك المنكرات والمعاصي فحسب، بل احرص على التوبة من ترك النوافل والمداومة على الخير، فتب عن تفريطك في السنن الرواتب، وتب عن إضاعتك للتراويح والقيام، وتب من بخلك وشحك، وتب إلى الله من غفلتك وإضاعة وقتك الثمين.

واعلم أن المؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع بعشرة أسباب:

الأول: أن يتوب توبة نصوحاً ليتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

الثاني: أن يستغفر الله، فيغفر الله تعالى له.

الثالث: أن يعمل حسنات تمحوها لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

الرابع: أن يدعو له إخوانه المؤمنون، ويشفعون له حياً وميتاً.

الخامس: أن يهدي له إخوانه المؤمنون من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به.

السادس: أن يشفع فيه نبينا محمد ﷺ.

السابع: أن يبتليه الله في الدنيا بمصائب، في نفسه وماله وأولاده وأقاربه ومن يُحب ونحو ذلك.

الثامن: أن يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة، وهي عصر القبر، فيكفر بها عنه.

التاسع: أن يبتليه الله في عَرَصات القيامة من أهوالها بما يُكفر عنه.

العاشر: أن يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة، فلا يلومن إلا نفسه، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»[(١)].

وشروط التوبة أربعة:

١ ـ الإقلاع عن الذنب.

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

٢ ـ الندم على ما فات.
٣ ـ العزم على أن لا يعود.
٤ ـ إرجاع الحقوق إلى أهلها من مال أو غيره.

وحالنا في هذه الدنيا بين مُسوِّف ومُفرط، حتى يفجأنا الموت علي حين غفلة، وتأمل في حال البعض ممن يؤثر الظل على الشمس، ثم لا يؤثر الجنة على النار.

جعلني الله وإياكم ممن إذا زل ثاب وتاب، ورزقنا توبة نصوحاً قبل الموت، وتقبل منا صيامنا وقيامنا، وتجاوز عن تقصيرنا وآثامنا، وغفر لنا ولوالدينا ولإخواننا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدرس الخامس والعشرون:

النفاق

الحمد لله الذي نصر عباده المؤمنين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فقد تميز عصرنا الحاضر بارتفاع أصوات المنافقين والمنافقات في أنحاء العالم الإسلامي، فأفردت لهم الصفحات، ودُعوا إلى التحدث في المنتديات، واحتفلت بهم التجمعات، وسيطروا على كثير من وسائل الإعلام كما يلاحظه القاصي والداني لفشو الأمر وظهوره.

وحال المنافقين ليس بجديد على أمة الإسلام.. فهم أعداء ألداء لهذا الدين منذ بِعثة محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. يكيدون ويدبرون ويخططون وينفذون، وقد وصفهم الله عز وجل في سبعة وثلاثين موضعاً من القرآن، وسميت سورة كاملة باسم (المنافقون)، وأفاضت السنة النبوية المطهرة في ذلك الأمر العظيم وتوضيحه وجلائه.

ولأن الصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة، لا نزال نرى نفس الصفات تتوارثها الأجيال المنافقة زمناً بعد زمن حتى وقتنا الحاضر، يقول الله عن صفة من صفاتهم ﴿۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾. فما أكثر المستمعين لحديثهم، المنصتين لهرائهم، المتابعين لإنتاجهم.. وهم يُلبِّسون على الناس ويدَّعون الإصلاح والفلاح، كما كان فرعون يقول عن موسى نبي الله عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾.

والعجب أن يتولى ما لا يزيد عن أصابع اليد الواحدة من المنافقين

والمنافقات، إفساد الأمة ومسخها عن دينها ودعوتها إلى التحرر والإباحية والعفن والرذيلة. ومن تأمل في التاريخ القريب مثلاً في دولة مجاورة، لوجد أن حثالة لا يزيدون عن المائة قوّضوا أركان الفضيلة ونزعوا الحجاب عن وجه المسلمة هناك، وأوردوا قومهم موارد الهلاك بإسقاط الحجاب والحياء والحشمة، حتى ظهرت المرأة متبرجة في الشارع والمكتب والمسرح، بل وشبه عارية على شاطىء البحر، ولقد كان لا يُرى لأمها وجدتها أظفراً أو خصلة شعر، حتى جاء هؤلاء فأسقطوا الحجاب شيئاً فشيئاً!!

وهكذا هم المنافقون في كل أمة وفي كل قطر يتحينون الفرص ويقطعون الطريق ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾!! هاهم يسيرون متكاتفين متماسكين يتواصون بالباطل ولهم جَلدٌ وصبر عجيب ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾.

وتأمل في حال المنافقين والمنافقات فهم أولياء بعض وقد ملؤوا الساحة ضجيجاً وعفناً في الصحف، وعلى شاشة التلفاز، وفي بث الإذاعات، إنه غزو عجيب لا تسلم منه خيمة ولا قصر، ولا امرأة ولا رجل، ولا طفل ولا شيخ، وتتقزز نفسك وأنت ترى تلك الكتابات والصور التي يطل عليك منها شؤم المعصية وهي كغثاء السيل، وحاطب الليل يتبرأ منهم وهو خيرٌ منهم!! وحتى يكتمل الحديث وتتضح الصورة أورد بعضاً من صفات المنافقين حتى يكون المسلم على بينة من أمره، ولا يسلك مسلكاً خطيراً، وطريقاً وعراً، وهو تصنيف الناس بالظن والحدس والتوقع.. بل أمامه ركائز يعتمد عليها ومنائر يسير على هداها، وليعرف المنافق برأسه وعينه متثبتاً متيقناً.. هم العدو فاحذرهم. **ومن صفاتهم:**

الأولى: الكسل في العبادة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾.

الثانية: قلة ذكرهم لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾.

الثالثة: لمز المطوعين من المؤمنين والصالحين والنيل منهم.

الرابعة: الاستهزاء بالقرآن والسنة يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾.

الخامسة: الوقوع في أعراض الصالحين غيبة وحقداً، يقول الله تعالى عنهم: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾.

السادسة: التخلف عن صلاة الجماعة، قال ابن مسعود: «وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق»[(١)].

السابعة: مخالفة الظاهر للباطن. وهذه المسألة تدور عليها جميع المسائل، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ فما أكثر ترديدهم عن صلاح هذا الدين وشريعته والحرص على هذا المجتمع، وما إن ترى أفعالهم حتى تتمثل لك الآية تفضح خبيئة نفوسهم وبواطن قلوبهم.

الثامنة: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف، يقول الله تعالى: ﴿يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وتأمل آراءهم في الحجاب والتحرر والعمل وغيرها!!

التاسعة: عدم الفقه في الدين، فتجد الكثير يملك معلومات عجيبة وتفصيلات دقيقة وجزئيات صغيرة في أمور الدنيا، دقيقها وجليلها، كبيرها

---

(١) رواه مسلم: (٦٥٤)(٢٥٧) كتاب المساجد: باب صلاة الجماعة من سنن الهدى.

وصغيرها، ولكن إذا سُئل عن المسح على الخفين سكت!! يقول الله عنهم: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾.

وهذه تسع من ثلاثين أو تزيد من صفاتهم، ولكن حسبك من العقد ما أحاط بالعنق.. وبواحدة من هذه تعرف من يبارز الحرب والعداء لله ولرسوله.. ولعظم الأمر وخطورته ولأنهم بؤرة فساد وموطن سوء جعلهم الله في الدرك الأسفل من النار، وهم أشد عذاباً من الكفار والمشركين ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾!! وقد قال بعض السلف: لو كان للمنافقين أذناب لما استطعنا السير في الشوارع والطرقات من كثرتها!! وفي أمة الإسلام اليوم أكثر من ذلك، والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، اللهم أرنا في المنافقين عجائب قدرتك، اللهم فافضحهم شر فضيحة، اللهم لا ترفع لهم راية، واجعلهم لمن خلفهم آية. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والعشرون:

فضل الصدقة

الحمد لله الكريم المتفضل بالعطايا والإحسان، عمت نعمته كل حي، ووسعت رحمته كل شيء، والصلاة والسلام على أجود الناس وأبرهم، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **أما بعد**:

فقد فتح الله عز وجل علينا أبواب جوده وكرمه، فدرَّ الضرع، وكثر الزرع، وأخرجت الأرض كنوزها، ففاضت الأموال بأيدي الناس، وأصبحوا في رغد من العيش، وبحبوبة من الرزق.

وهذه الأموال والخيرات التي بأيدينا هي عطية من الله عز وجل لينظر من أين تُجمع، وأين توضع، وفيم تنفق؟!

ولقد وصف الله عز وجل عباده المتقين بعدة صفات منها أن في أموالهم حقاً للسائل والمحروم فقال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ﴾.

وقد وعد الله عز وجل وهو الجواد الكريم الذي لا يخلف الميعاد بالخلف لمن أنفق فقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ﴾.

وأجزل العطية للمنفقين بأعظم مما أنفقوا أضعافاً كثيرة في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ والآيات في الحث على الإنفاق كثيرة جداً، وهي من أبواب الخير العظيمة، وبذل الأموال في الإسلام يُعدُّ جهاداً في سبيل الله، بل إن الجهاد بالمال مقدم على الجهاد بالنفس في جميع الآيات التي ورد ذكر الجهاد فيها عدا آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِۚ﴾.

قال العلماء: والصدقة من أفضل القربات وهي أفضل من الجهاد، لاسيما إذا كان زمن مجاعة على المحاويج، خصوصاً صاحب العائلة، خصوصاً القرابة، ومن الحج لأنه متعد، والحج قاصر.

ففي الصدقة: تفريج كربة، وإغناء عن سؤال، وإشباع جائع، وفرحة لصغير، وإعفاف لأسرة، وسرور يدخل على قلب شيخ كبير، وتتجلى في الصدقة أسمى صور التكاتف والتعاون بين المسلمين.

وفي الصدقة من أحاديث المصطفى ﷺ ما تقرُّ به النفوس، وتهنأ به الصدور، ويستحث بها المسلم الخُطى إلى جنة عرضها السموات والأرض في طريق آمنة مطمئنة. فعنه ﷺ أنه قال: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**الصوم جُنَّة، والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفيء الماء النار**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم: «**رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه**»(٣).

وقد ضرب رسول الله ﷺ المثل الأعلى في الإنفاق حتى أتته النفوس طائعة والقلوب مُلبية. قال أنس رضي الله عنه: «ما سئُل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع

---

(١) رواه البخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦)(٦٧).
(٢) سبق تخريجه في ص (١١٣).
(٣) رواه البخاري (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١).

إلى قومه فقال: ياقوم! أسلموا، فإن محمداً يُعطي عطاء لا يخشى الفاقة..»(١).

وللممسكين والمقترين نذكرهم بحديث الصادق الذي لا ينطق عن الهوى حيث قال: «**ما نقصت صدقة من مال**»(٢).

وعنه ﷺ أنه قال: «**قال الله تعالى: أنفق يا ابن آدم يُنفق الله عليك**»(٣).

ولقد رسم لنا الصحابة في صدر الإسلام الأول صوراً ناصعة من صور التنافس على الخير، والمسابقة إلى الخيرات، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي فقلت: اليوم أسبق أبابكر إن سبقته يوماً. قال: فجئت بنصف مالي، قال، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قلت: مثله، وأتى أبوبكر بكل ما عنده فقال له رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً(٤).

وهذا أبوطلحة رضي الله عنه، وكان أكثر أنصاري المدينة مالاً، وكان أحب ماله إليه بيرحاء، وهي بستان طيبة الماء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال أبوطلحة: يا رسول الله، إن الله يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، اللهم إن أحب أموالي إليّ بيرحاء وإنها صدقة لله، أرجو برها، وأدخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال النبي ﷺ: «**بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما**

---

(١) رواه مسلم: (٢٣١٢).
(٢) رواه مسلم: (٢٥٨٨).
(٣) متفق عليه: سبق تخريجه في ص(١١٠).
(٤) سبق تخريجه في ص (٧٣).

قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبوطلحة: أفعل يارسول الله، قال: فقسمها أبوطلحة في أقاربه وبني عمه.(١)

واليوم البعض لا ينفق، وإذا أنفق فهو من رديء ماله ومطعمه وملبسه!!

قال **ابن القيم** رحمه الله: وقد دل النقل والعقل والفطرة وتجارب الأمم ـ على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها ـ على أن التقرب إلى الله رب العالمين وطلب مرضاته والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نِقمه بمثل طاعته، والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه.

وقال **يحيى بن معاذ**: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة.

أخـي المسـلم:

في الصدقة قلّت أو كثرت، عشر خصال محمودة، خمسة في الدنيا، وخمسة في الآخرة:

أما التي في الدنيا:

فأولها: تطهير المال.

وثانيها: تطهير البدن كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«داووا مرضاكم بالصدقة»**(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٥٤) ومسلم (٩٩٨).

(٢) رواه البيهقي (٣/ ٣٨٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨).

ورابعها: أن فيها إدخال السرور على المساكين، وتفريج كربهم، وهذا من أفضل الأعمال.

والخامس: أن فيها بركة في المال، وسعة في الرزق، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾.

أما الخمسة التي في الآخرة:

فأولها: أن الصدقة تكون ظلاً لصاحبها من شدة الحر.

وثانيها: أن فيها خفة الحساب.

والثالثة: أنها تثقل الميزان.

والرابعة: جواز على الصراط.

والخامسة: زيادة الدرجات في الجنة.

ولو لم يكن في الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين، لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيها، فكيف وفيها رضا الله تعالى، ورغم الشيطان، وفيها الاقتداء بالصالحين، لأن الصالحين كانت همتهم الصدقة.

وأثر الصدقة واضح على النفس، وفي بركة الأموال والأولاد، ودفع البلاء وجلب الرخاء، كما أن المتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه، وانفسح بها صدره.

قال **ابن القيم**: «فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع البلاء ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله يدفع بها أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه».

أخي المسلم:

أموالك التي أنت تُمسكها ولا تُنفقها، مصيرها كما قال الرسول ﷺ: «**يقول العبد مالي مالي، وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى،**

أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»[١].

واحرص على أن تنظر في أمر قراباتك وذوي رحمك، فإن الأجر مضاعف، قال ﷺ «**الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة، وصلة»**[٢].

فكثير ممن حولك تتراكم عليهم الديون، وآخرون يفجعهم نهاية العام لقرب موعد دفع الإيجار، وأُسر متعففة لا يعلم بحالها إلا الله لا تستطيع توفير متطلبات المدارس! وهناك أرامل وأيتام وشيخ وعجوز!.

ولا يُظَّن أن الصدقة تكون ممن يملك الكثير فحسب، بل كلٌّ بحسبه، وله من الأجر ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبق درهم مائة ألف درهم**» فقال رجل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «**رجلٌ له مالٌ كثير أخذ من عرضه مائة ألف درهم تصدق بها، ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به»**[٣].

فأطلق يدك وتيقن بوعد الله عز وجل بالخير والأجر والمثوبة، ولا يخوفنك الشيطان ويزين لك البخل والشح، فإن هذا ديدن الشيطان وطريقته: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾.

أخـي المنـفـق:

أنفـــق ولا تخـــشَ إقـــلالاً فقـــد قُسمـــت
على العبـــاد مـــن الـــرحمـــن أرزاقُ

---

(١) رواه مسلم: (٢٩٥٩).

(٢) رواه أحمد (٤/ ٢١٤) والترمذي (٦٥٣ـ تحفة) وقال: «حديث حسن»، ورواه ابن ماجه (١٨٤٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨).

(٣) رواه النسائي (٢٥٢٧) والحاكم (١/ ٤١٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٦).

لا ينفــــع البُخــــل مـــع دنيـــا مـــولِّيـــة
ولا يضر مـــــــع الإقبـــــــال إنفـــــــاقُ

وأبشر أيها المنفق ببشارة من فوق سبع سماوات ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ ولا تكن ممن قال الله عنهم: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴾.

واحذر أن تكون ممن هم أشد من أولئك: ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ ﴾.

بل سارع وقدم لنفسك قبل الرحيل ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ﴾.

جعلني الله وإياك ووالدينا من الحامدين الشاكرين، المنفقين في السراء والضراء، ممـــن ينـــادون يـــوم القيـــامـــة: ﴿ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع والعشرون:

أهمية الدعوة إلى الله

الحمد لله الذي شرَّع الشرائع، وأنزل الكتب، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، الذي بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، وجاهد في الله حق جهاده، **أما بعد:**

فإن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأوجب الواجبات، وأعظم القربات، بها يستقيم أمر الفرد، ويصلح حال المجتمع.

قال الله عز وجل مثنياً على من قام بهذا العمل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقُص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**»(١).

وقال رسول الله ﷺ حاثاً على أمر الدعوة ومبيناً فضلها: «**لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمر النَّعَم**»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مَن دل على خير فله مثل أجر فاعله**»(٣).

---

(١) رواه مسلم: (٢٦٧٤).
(٢) رواه البخاري: (٣٧٠١) ومسلم: (٢٤٠٦).
(٣) رواه مسلم: (١٨٩٣).

وهذا فضل عظيم، وأجر واسع، وباب مفتوح، لمن أراد الخير وسعى له. وقد جاءت الآيات الكثيرة والأحاديث الشهيرة بالحث على الدعوة إلى الله، وبيان وجوبها وما فيها من الأجر العظيم.

والآيات القرآنية الدالة على الدعوة أكثر من آيات الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة، فالدعوة إلى الله من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها، بها يكمل نظام الشريعة، ويرتفع شأنها.

فإن مهمة الدعوة إلى الله مهمة كبرى ومسئولية عظيمة، رتَّب الله عليها من الأجر العظيم ما الله به عليم، ولذا اختار الله سبحانه وتعالى لها أفضل الخلق وأكرم البشر، اختار لها سادات القوم وصفوة الأمة وفضلاءها. فالدعوة عمل الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم.

ومن صور النماذج الدعوية ما قام به نبي الله نوح عليه السلام حيث دعا قومه سنوات طويلة دون كلل أو ملل، ودون أن يتسرب اليأس إليه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾.

وهذا يوسف عليه السلام لم يمنعه ضيق المكان، وقلة الحركة، وكثرة الحراس، من دعوة من كان معه في السجن فدعاهم إلى عبادة الله عز وجل ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾.

ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، استمر في الدعوة طوال حياته ولاقى من الجَهْد والعنت والإعراض والصدود والاستهزاء والنفور الشيء الكثير، حتى وصل الحال إلى محاولة قتله مرات عديدة، واتهامه بتهم باطلة كاذبة من أنه ساحر ومجنون، وحتى أُدمي عقبه الشريف، وشُج رأسه، وكُسرت رباعيته!

وهذا الخليفة الأول **الصديق** رضي الله عنه وأرضاه، لم يشغله الحزن على وفاة النبي ﷺ عن أمر الدعوة، بل سارع في وسط ذلك الحزن وتلك الفاجعة إلى تأكيد أمر الدعوة إلى الله وأهميتها، فعقد الألوية، وسيرَّ الجيوش، وأرسل الوفود والدعاة.

وفاروق الأمة **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه وجرحه يثعب دماً على فراش الموت، لم يترك أمر الدعوة، فعلى ضعفه وانحطاط قوى جسمه، ينادي شاباً أدبر وإزاره يمس الأرض فيقول: «ردوا عليّ الغلام» ثم قال له: «يا ابن أخي، ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك»[(١)].

ومن تتبع سير السلف الصالح وعلماء هذه الأمة، يجد منهم الحرص والجد والمثابرة، حتى أصبحت الدعوة إلى الله هي شغلهم الشاغل، وهمهم المتصل.

قال **ابن القيم** رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾. قال: ذكر الله سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو: فإما أن يكون طالباً للحق محُباً له، مؤثراً له على غيره إذا عرفه، فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلاً بغير الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معانداً معارضاً، فهذا يجُادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجدال إن أمكن.

أخي المسلم:

إن تنوع الأساليب وتعدد أوجه الدعوة من ضرورياتها ومتطلباتها، هذا نوح عليه السلام ما ترك سبيلاً لدعوة قومه إلا سلكه، ولاباباً إلا طرقه،

---

(١) رواه البخاري: (٣٧٠٠) كتاب فضائل الصحابة: باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان رضي الله عنه.

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ ﴾ .

والرسول ﷺ كان يأتي إلى مجامع قريش وأسواقها ويدعوهم إلى توحيد الله عز وجل، ووقف منادياً على الصفا، واتخذ من موسم الحج منبراً للدعوة، وسار إلى الطائف، ثم هاجر إلى المدينة النبوية. إنها أساليب متنوعة وطرق متعددة، تخدم الدعوة، ولم تقف عند حد. . بل كل أسلوب اتبعه الرسول ﷺ أو له ضابط شرعي، فنحن نتبعه ونسير عليه. ثم مع هذا السير لابد أن يوطن الداعي نفسه على تحمل المشقة والأذى، فالدعوة تحتاج إلى جهاد وصبر وإذلال النفس فيها لله عز وجل.

ولأهمية الدعوة فإن ترتيب الأولويات ضروري، فالتوحيد وإفراد الله عز وجل بالعبادة قبل الصلاة، والصلاة قبل الصوم. نبدأ بالأهم فالمهم.

لما بعث الرسول ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم. .**»[١] .

أخي المسلم:

إن أعظم دعوة يقوم بها المسلم هي دعوة نفسه فيبدأ بها يُلزمها الطاعة ويجنبها المعصية، ويجاهد نفسه في ذلك حتى تستقيم له. ثم يبدأ بمن هم تحت يده والأقرب له لمن دعوتهم فرض عين من زوجة وابن وخادم وغيرهم.

---

(١) رواه البخاي: (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

لما نزلت: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال: «**يافاطمة ابنة محمد، يا صفية ابنة عبدالمطلب، يابني عبدالمطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم**»(١).

وينبغي لك أيها المبارك أن يكون كلامك هيناً ليناً، ووجهك منبسطاً طلقاً، فإن تليين القول مما يكسر سَوْرة عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة. فالداعي أياً كانت منزلته وأياً كان عقله وعلمه ليس بأفضل من موسى وهارون، ومن وجهت إليه الدعوة ليس بأخبث من فرعون! وقد أمرهما الله جل وعلا باللين معه في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾. وعليك أخي المسلم بتوجيه الرسول ﷺ «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**»(٢). فإن هذه الابتسامة مفتاحٌ للقلوب، وإظهار للمحبة، فهي تزيل الوحشة، وتبعد الفرقة.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: وينبغي أن يكون الداعي حليماً صبوراً على الأذى، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

وعلى الداعية أن يستحضر الإخلاص في عمله والصدق مع الله عز وجل في دعوته، حتي تُثمر، ويكتب لها القبول، ويثبت بها الأجر ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ وقد جمعت هذه الآية العظيمة الإخلاص وشرط البصيرة والعلم.

أخي المسلم:

إن تيسر أسباب الدعوة وسهولة طرقها وتعددها وتنوعها مدعاة إلى المسارعة والمسابقة في الخيرات، فلقد تيسر لنا في هذا الزمن ما لم يتيسر لغيرنا

---

(١) رواه مسلم (٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٢٢ ـ تحفة) وقال: «حسن غريب». والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

من وسائل الدعوة ورخص ثمنها وتنوعها وسهولتها.

ومن وسائل الدعوة: النصيحة الشخصية مهاتفة أو مشافهة أو مراسلة، ويلتزم فيها الداعي إظهار المحبة والحرص على الدعوة، ويذكر ما في المدعو من الخير وينبهه إلى المخالفات التي يقع فيها. والرسائل الشخصية عموماً من أجدى الوسائل وأكثرها تأثيراً، ولا عذر لأحد فالأمة كلها تكتب وكلها تقرأ، فأين أصحاب الهمم؟!

الوسيلة الثانية: الكتيب والشريط الإسلامي وثمنهما لا يتجاوز ريالات معدودة. واستشعر عظم الأجر مع قلة التكلفة. وأطلق بصرك لترى الرعيل الأول كيف كانوا ينفقون لأجل الدعوة ونشرها وإعلاء كلمة الله ورفعها، فهذا أبوبكر رضي الله عنه أنفق ماله كله، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنفق نصف ماله، وغيرهما كثير. فلماذا تبخل بمائة ريال مثلاً كل شهر؟! واعلم أن أفضل أموالك، هي التي تستثمرها للآخرة.

ومن وسائل الدعوة المتيسرة - ولله الحمد - الإحسان إلى الناس بالهدية، أو تفريج الكربة، وقضاء الحوائج، قال ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عن مؤمن كُربة من كرب الدنيا، نَفَّسَ الله عنه كُربة من كُرب يوم القيامة..**»(1).

وهذه الخدمة الخالصة التي تقدمها لوجه الله عز وجل تفتح لك قلب المدعو، وتجعله يستمع إليك ويرضى بتوجيهك ويقبل نصحك:

أحْسِن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسانَ إحسانُ

وقدم - أخي الكريم - العفو والصفح فأنت مُحب مُشفق تبحث عن أجر من الله عز وجل، وليس لك هدف دنيوي ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

(1) رواه مسلم: (٢٦٩٩)

ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ وعليك بقول الله تعالى واجعله نبراساً لحياتك ونوراً يضيء طريق دعوتك ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾.

واحذر من اليأس والقنوط في أمر الدعوة، فإن هذه أمراض مهلكة لدعوتك، ولا تقل دَعَوْتُه مرة وثانية فلم يستجب لي! تأمل في دعوة الرسول وهو يمضي في طريق دعوته سنوات طويلة، ولم ييأس ولم يتخاذل ويتكاسل حتى أشرقت الأرض بنور ربها.. وفي كل مرة تحاول وتعاود الدعوة أنت مأجور مُثاب ولا يهمك القبول أو الإعراض، فإن الهداية من الله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾

فعليك ـ أخي المسلم ـ القيام بالدعوة وليس لك تتبع النتائج وحصد الثمرة، فالدعوة جهاد وصبر واحتساب، ومعاودة وتكرار، واستغلال للفرص والأحداث، فاستصحب الصبر على الدعوة وعلى المدعوين، وعلى التضحية بوقتك ومالك وجهدك، وليس عليك وحشة، فأنت تسير على الخُطى وتقتفي الأثر، في طريق غير موحشة، لأن أقدام الأنبياء والصالحين وطأته وتغبرت في طرقه. وكلما أظلت سحابة الفتور في سمائك استشعر عظم الأجر وجزيل المثوبة.. وتأمل في مَنْ دعوتهم.. إن صلوا فلك مثل أجر صلاتهم، وإن صاموا فلك مثل أجر صيامهم، وإن قاموا الليل فلك مثل أجر قيامهم!

أصلح الله نياتنا وذرياتنا ورزقنا الإخلاص في القول والعمل. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والعشرون:

فضل الصبر والاحتساب

الحمد لله الذي جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبو، وحصناً حصيناً لا يُثلم، والصلاة والسلام على خير الصابرين والشاكرين والحامدين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

ففي هذه الدنيا سهام المصائب مُشرعة، ورماح البلاء مُعدة مرسلة.. فإننا في دار ابتلاء وامتحان ونكد وأحزان، والعبد في تنقلاته في هذه الحياة وأطواره فيها لا يخلو من حالتين:

الحالة الأولى: أن يحصل له ما يُحب، ويندفع عنه ما يكره، فوظيفته في هذه الحالة الشكر والاعتراف بأن ذلك من نعم الله عليه، فيعترف بها باطناً، ويتحدث بها ظاهراً، ويستعين بها على طاعة الله عز وجل، وهذا هو الشاكر حقاً.

الحالة الثانية: أن يحصل للعبد المكروه، أو يفقد المحبوب؛ فيحدث له همّ وحزن وقلق، فوظيفته الصبر لله، فلا يتسخط ولا يتضجر ولا يشكو للمخلوق ما نزل به، بل تكون شكواه لخالقه سبحانه وتعالى. ومن كان في الضراء صابراً وفي السراء شاكراً فحياته كلها خير، وبذلك يحصل على الثواب الجزيل ويكتسب الذكر الجميل.

والبلاء الذي يصيب العبد لا يخرج عن أربعة أقسام:

إما أن يكون في نفسه، أو في ماله، أو في عرضه، أو في أهله ومن يحب. والناس مشتركون في حصولها، فغير المؤمن التقي يلقى منها أعظم مما يلقى المؤمن كما هو مشاهد.

ولابد أن يعلم المصاب: أن الذي ابتلاه بمصيبته أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يُرسل البلاء ليُهلكه به، ولا ليعذبه، ولا ليجتاحه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه عنه وإيمانه، وليسمع تضرعه وابتهاله، وليراه طريحاً على بابه، لائذاً بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً قصص الشكوى إليه.

قال الله جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾. وقال تعالى مذكراً بعظم أجر الصابرين: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾.

وقد ذكر الله الصبر في القرآن في نيف وتسعين موضعاً، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر، وجعلها ثمرة له، وجمع للصابرين أموراً لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين.

وقرن عز وجل بين الصبر والصلاة فقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ والحمد لله على فضله وجزيل عطائه فقد بشرنا الرسول ﷺ بقوله: «**ما يصيب المسلم من نَصبٍ ولا وصبٍ ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه**»[١].

ولا يظن أحد أنه يسلم من البلاء والمصائب، فالأنبياء عليهم السلام نزل بهم من البلاء أشده وأعظمه، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً؟ قال: «**الأنبياء**» قلت: ثم من؟ قال:

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤١)،(٥٦٤٢) واللفظ له، ومسلم(٢٥٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما.

«**الصالحون، إن كان أحدهم ليُبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يحتويها، وإن أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**»(١).

وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**من يرد الله به خيراً يُصب منه**»(٢).

وأبشر ـ أخي المسلم ـ ببشارة عظيمة، تؤنس وحشتك، وتخفف مصيبتك، وتهون ما نزل بك، فقد قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيراً له**»(٣).

والخير الحاصل للشاكرين هو الزيادة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ والخير الحاصل للصابرين هو الأجر والثواب والمغفرة والرحمة.

قال **الفضيل** رحمه الله: إن الله عز وجل ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء، كما يتعاهد الرجل أهله بالخير.

وقال رحمه الله: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعدَّ البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، وحتى لا يحب أن يُحمد على عبادة الله.

والناس بين حالين: إما مُبتلى بعافية لينظر كيف شُكره، أو مُبتلى ببلية لينظر كيف صبره.

قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: أما نعمة الضراء فاحتياجها إلى الصبر ظاهر، وأما نعمة السراء فتحتاج إلي الصبر على الطاعة فيها، فإن فتنة السراء أعظم من فتنة الضراء، والفقر يصلح عليه خلق كثير، والغنى لا يصلح عليه إلا أقل منهم، ولهذا كان أكثر من يدخل الجنة المساكين، لأن فتنة الفقر

---

(١) رواه ابن ماجه: (٤٠٢٤) والحاكم (٣/ ٣٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٥).

(٢) رواه البخاري: (٥٦٤٥).

(٣) رواه مسلم: (٢٩٩٩).

أهون، وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر، لكن لما كان في السراء اللذة، وفي الضراء الألم، اشتهر ذكر الشكر في السراء، والصبر في الضراء.

أخي المسلم:

إذا فجعتك المصائب، ونزلت بك الهموم، وادلهمَّت بك الخطوب، وأظلمت عليك الدروب، فعليك بمنزلة الرضا لما قدر الله عز وجل وقضى، فإنها أعلى المنازل، فارض بقضاء الله وقدره ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾.

والمنزلة الثانية: الصبر على البلاء، وهذه لمن لا يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه مستحب، والصبر واجب على المؤمن حتم، والفرق بين الرضا والصبر: أن الصبر كف النفس وحبسها عن السخط، مع وجود الألم وتمني زوال ذلك، وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع. والرضا: انشراح الصدر وسعته بالقضاء، وترك تمني زوال الألم وإن وجد الإحساس بالألم، لكن الرضا يخففه ما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية.

وينقسم الصبر إلى: واجب، ومندوب، ومحظور، ومكروه، ومباح.

فالصبر الواجب ثلاثة أنواع:

الأول: الصبر على المحرمات.

الثاني: الصبر على أداء الواجبات.

الثالث: الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض والفقر وغيرها.

قـــد ينعـــم الله بـــالبلـــوى وإن عظمـــت
ويبتلي الله بعـــض القـــوم بـــالنِّعـــمِ

أخـي المسـلم:

إن من علاج المصائب والنوازل أموراً منها:

الأول: أن يعلم بأن الدنيا دار ابتلاء، والكرب لا يرجى منه راحة.

الثاني: أن يعلم أن المصيبة ثابتة وواقعة.

الثالث: أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة.

الرابع: النظر في حال من ابتُلي بمثل هذا البلاء، فإن التأسي راحة عظيمة.

الخامس: النظر في حال من ابتلي بأكثر من هذا البلاء فيهون عليه هذا.

السادس: رجاء الخلف إن كان مَن مضى يصح عنه الخلف كالولد والزوجة.

السابع: طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم، فإن تَرقَّى إلى مقام الرضا فهو الغاية.

الثامن: أن يعلم العبد أنه كيف جرى القضاء فهو خير له.

التاسع: أن يعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار.

العاشر: أن يعلم أنه مملوك لله وليس للمملوك في نفسه شيء.

الحادي عشر: معاقبة النفس عند الجزع وأن الجزع لا يرد ما وقع ولا يدفعه.

الثاني عشر: إنما هي ساعة فكأن لم تكن وهي سحابة صيف وتزول.

ومما ينافي الصبر؛ شق الثياب عند المصيبة؛ ولطم الوجه، والضرب بإحدى اليدين على الأخرى، وحلق الشعر، والدعاء بالويل.

وقد علَّمنا رسول الله ﷺ ما نقوله حين المصيبة فقال: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في**

مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها . .»(١).

وقد جعل الله كلمات الاسترجاع وهي قول المصاب «**إنا لله وإنا إليه راجعون**» ملاذاً وملجأ لذوي المصائب.

أخـي المسـلم:

المصائب تتفاوت، ولكن أعظمها المصيبة في الدين فهي أعظم مصائب الدنيا والآخرة وهي نهاية الخسران الذي لا ربح فيه، والحرمان الذي لا طمع معه.

مِـــن كُــلِّ شيء إذا ضيَّعتــه عــوضٌ
ومـــا مـــن الله إن ضيَّعتــه عــوضُ

أبشر أيها المبتلى والمصاب بأجر عظيم وثواب جزيل، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مايزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة**»(٢).

اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم اجعلنا من الشاكرين الراضين الصابرين المحتسبين، الذين يُوفَّون أجورهم بغير حساب. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم: (٩١٨).

(٢) رواه الترمذي: (٢٥١٠ـ تحفة) وقال: «حديث حسن صحيح»، والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨١٥).

الدرس التاسع والعشرون:

زكاة الفطر وأحكام العيد

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله ومنِّه يتجاوز عن الخطايا والسيئات، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فها هي صفحات الأيام تطوى، وساعات الزمن تنقضي.. بالأمس القريب استقبلنا حبيباً واليوم نودعه.. وقبل أيام أهلَّ هلال رمضان، واليوم تصرَّمت أيامه.. ولئن فاخرت الأمم - من حولنا - بأيامها وأعيادها وأخلعتها أقداراً زائفة، وبركات مزعومة، وسعادة واهية، فإنما هي تضرب في تيه، وتسعى في ضلال.. ويبقى الحق والهدى طريق أمة محمد ﷺ.

فالحمد لله الذي هدى أمة الإسلام سبيلها، وألهمها رشدها، وخصَّها بفضل لم يكن لمن قبلها.. أطلق بصرك لترى هذه الأمة المرحومة مع إشراقة يوم العيد تتعبد الله عز وجل بالفطر، كما تعبدته من قبل بالصيام.

عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وجدهم يحتفلون بعيدين، فقال: «**كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى**»[١]. والعيد شعيرة من شعائر الإسلام ومظهر من أجلِّ مظاهره، تهاون به بعض الناس، وقدموا الأعياد المحدثة عليه، فترى من يستعد لأعياد الميلاد وأعياد الأم وغيرها، ويسعد هو وأطفاله بقدومها، ويصرف الأموال لإحيائها. أما أعياد الإسلام فلا قيمة لها، بل ربما تمرُّ وهو معرض عنها غير مُلتفت إليها، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ

---

(١) رواه أبوداود(١١٣٤) والنسائي (١٥٥٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٦٠).

شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾.

إن يوم العيد يوم فرح وسرور لمن طابت سريرته، وخلصت لله نيته.
ليس العيد لمن لبس الجديد، وتفاخر بالعُدد والعديد، إنما العيد لمن خاف يوم الوعيد، واتقى ذا العرش المجيد، وسكب الدمع تائباً رجاء يوم المزيد.

أخي المسلم:

إليك وقفات سريعة موجزة مع آداب العيد وأحكامه:

أولاً: احمد الله عز وجل أن أتم عليك أيام هذا الشهر العظيم، وجعلك ممن صامه وقامه. وأكثر من الدعاء بأن يتقبل الله منك الصيام والقيام، وأن يتجاوز عن تقصيرك وزللك.

ثانياً: التكبير، يشرع التكبير من غروب الشمس ليلة العيد إلى صلاة العيد، قال الله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾.. وصفته: «**الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد**» ويُسَنُّ جهر الرجال به في المساجد والأسواق والبيوت إعلاناً بتعظيم الله، وإظهاراً لعبادته وشكره.

ثالثاً: زكاة الفطر؛ شرع الله عز وجل في نهاية هذا الشهر وختامه زكاة الفطر، وهي طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وطُعمة للمساكين، وتكون صاعاً (ما يعادل كيلوين وأربعين غراماً) من شعير أو تمر أو أقط أو زبيب أو أرز أونحوه من الطعام ـ عن الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد من المسلمين ـ ويُسَنُّ إخراجها عن الجنين، وأفضل وقت لإخراجها هو قبل صلاة العيد، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، ولا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، ولا يجوز إخراجها نقوداً، لأن ذلك مخالف لأمر الرسول ﷺ، وتكون من طعام الآدميين، ويجب تحري المساكين لدفعها إليهم. ومن صور تربية البيت المسلم تعويد أهل البيت على إخراجها بمشاركة الصغار.

رابعاً: الاغتسال والتطيب للرجال، ولبس أحسن الثياب؛ بدون إسراف ولا إسبال، ولا حلق لحية فهذا حرام. أما المرأة فيُشرع لها الخروج إلى مصلى العيد بدون تبرج ولا تطيب، وأربأ بالمسلمة أن تذهب لطاعة الله عز وجل في يوم توزيع الجوائز وهي مُتلبسة بمعصية التبرج والسفور والتطيب أمام الرجال الأجانب.

خامساً: أكل تمرات وتراً؛ ثلاث، أو خمس، قبل الذهاب إلى المصلى لفعل الرسول ﷺ.

سادساً: الصلاة مع المسلمين وحضور الخطبة؛ والذي رجحه المحققون من أهل العلم منهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره: أن صلاة العيد واجبة ولا تسقط إلا بعذر، والنساء يشهدن العيد مع المسلمين حتي الحيَّض، ويعتزل الحيض المصلى.

سابعاً: لا بأس بالتهنئة بالعيد، كقول: (تقبل الله منا ومنك).

وننبهك ـ أخي المسلم ـ إلى بعض المخالفات ـ مع الأسف ـ التي تقع في يوم العيد وليلته لتحذرها. والعجب أن يختم بعض المسلمين هذه الطاعة بالمعاصي. ويستبدل البعض الآخر الاستغفار في نهاية كل عبادة باللهو والعبث. **ومن المخالفات**:

أولاً: التكبير الجماعي بصوت واحد، أو الترديد خلف شخص يقول: «الله أكبر»، أو إحداث صيغ تكبير غير مشروعة.

ثانياً: اعتقاد مشروعية إحياء ليلة العيد ويتناقلون أحاديثَ لا تصح.

ثالثاً: تخصيص يوم العيد لزيارة المقابر والسلام على الأموات.

رابعاً: اختلاط النساء بالرجال في بعض المصليات والشوارع والمتنزهات.

خامساً: بعض الناس يجتمعون في العيد على الغناء واللهو والعبث، وهذا لا يجوز.

سادساً: البعض يظهر عليه الفرح بالعيد لأن شهر رمضان انتهى، وتخلَّص من العبادة فيه، وكأنها حمل ثقيل على ظهره.. وهذا على خطر عظيم.

سابعاً: الإغراق في المباحات من لبس وأكل وشرب حتى تجاوز الأمر إلى الإسراف في ذلك، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾.

أخي المسلم:

لا تنسَ أن رب رمضان هو رب الشهور. واستمر على الطاعة، واسأل الله عز وجل الثبات على هذا الدين حتي تلقاه، واعلم أن نهاية وقت الطاعة والعبادة ليس مدفع العيد كما يتوهم البعض، بل هو كما قال الله عز وجل: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾.. واليقين هو الموت. قال بعض السلف: ليس لعمل المسلم غاية دون الموت.

وقال الحسن: أبى قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهراً أو شهرين أو عاماً أو عامين، لا والله ما جُعل لعمل المؤمن أجلٌ دون الموت.

وقرأ عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وهو يخطب الناس على المنبر: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.. فقال: استقاموا والله بطاعة، ثم لم يروغوا روغان الثعلب.

وإن ودَّعت ـ أيها المسلم ـ شهر الطاعة والعبادة وموسم الخير والعتق من النار، فإن الله عز وجل جعل لنا من الطاعات والعبادات ما تهنأ به نفس المؤمن، وتقر به عين المسلم من أنواع النوافل والقربات طوال العام. ومن ذلك:

١ ـ صيام ست من شوال، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال: «**من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال، كان كصيام الدهر**»(١). وإن كان عليك قضاء فاقضِه، ثم صمها.

٢ ـ صيام أيام البيض، وصيام يوم عرفة لغير الحاج، وكذلك صيام أيام الاثنين والخميس.

٣ ـ قيام الليل والمحافظة على الوتر، والتأس بالأخيار ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾.

٤ ـ المداومة على الرواتب التابعة للفرائض: اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر وركعتان بعده، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.

٥ ـ قراءة القرآن والحرص على ذلك يومياً، ولو جزءاً واحداً على الأقل، ولا يكن آخر عهدك بهذا المصحف شهر رمضان.

٦ ـ احرص على أعمال البر، واستقم على الطاعة، قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾.

٧ ـ تذلَّل وتضرَّع، وادع ربك أن يحييك على الإسلام، وأن يميتك عليه، واسأله الثبات على كلمة التوحيد، فمن دعاء نبي هذه الأمة ﷺ: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»(٢).

وأنواع الطاعات كثيرة، وأجرها عظيم، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾..

فاحرص ـ أخي المسلم ـ على الاستمرار على الأعمال الصالحة، واحذر

---

(١) رواه مسلم: (١١٦٤).
(٢) رواه الترمذي: (٢٢٢٦) تحفة ـ وقال: «حديث حسن صحيح» والحديث صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٧٩٨٧).

أن يفجأك الموت على معصية، واستحضر أن من علامات قبول عملك في رمضان استمرارك على الطاعة بعده، والحسنة تتبعها الحسنة، والسيئة تجر السيئة.

أيها الحبيب:

أيام العيد ليست أيام لهو وغفلة، بل هي أيام عبادة وشكر، والمؤمن يتقلَّب في أنواع العبادة، ولا يعرف حداً لها. ومن تلك العبادات التي يحبها الله ويرضاها: صلة الأرحام، وزيارة الأقارب، وترك التباغض والتحاسد، والعطف على المساكين والأيتام، وإدخال السرور على الأرملة والفقير.

وتأمل دورة الأيام واستوحش من سرعة انقضائها.. وافزع إلى التوبة وصدق الالتجاء إلى الله عز وجل، ووطن أيها الحبيب نفسك على الطاعة وألزمها العبادة فإن الدنيا أيام قلائل.. واعلم أنه لا يهدأ قلب المؤمن ولا يسكن روعه حتى تطأ قدمه الجنة.. فسارع إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وجنب نفسك ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى.. وعليك بحديث الرسول ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا، واعلموا أن لن يُدخِلَ أحدَكم عَمَلُهُ الجنة، وأنّ أحبَّ الأعمال أدومها إلى الله وإن قَلَّ**»[1].

اللهم ثبتنا على الإيمان والعمل الصالح وأحينا حياة طيبة وألحقنا بالصالحين.. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري: (٦٤٦٤) ومسلم (٢٨١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

الدرس الثلاثون:

الدعـاء

الحمد لله مجيب مَنْ دعاه، له الحمد في الأولى والآخرة وإليه المآل، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، **وبعد:**

فإن شهر الصوم شهر ذلة وخضوع ومسكنة ودموع، يتقرب فيه المسلم إلى الله عز وجل بأنواع العبادات، وأجل القربات، من صلاة وصيام ودعاء وصدقة وغيرها.

والدعاء عبادة عظيمة غفل عنها بعض المسلمين، وتهاونوا في أمرها، وهو حبل موصول، وعروة وثقى مع الله عز وجل. وللدعاء فضائل ومزايا عديدة منها:

أولاً: أن الله عز وجل أمر بالدعاء ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾.

ثانياً: الدعاء هو العبادة كما في قوله ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[1].

ثالثاً: الدعاء يرد البلاء ويدفعه: قال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»[2].

رابعاً: المعية الخاصة من الله عز وجل لمن دعاه: قال ﷺ: «**إن الله تعالى**

---

(١) رواه أبو داود (١٤٧٩) والنسائي (١١٤٦٤) والترمذي (٣٥٩٦) تحفة ـ وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٨٠ ـ تحفة) والحاكم (١/ ٤٩٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٩).

يقول: **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني**»[(١)].

خامساً: لا يرد القضاء إلا الدعاء كما قال عليه الصلاة والسلام.

وفي الدعاء من الذل والانكسار لله عز وجل معنى عظيم من أنواع العبودية وتخليص القلب وتفريغه من التعلق بغيره، والدعاء من أكرم الأشياء عند الله كما روى ذلك الترمذي. «**ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء**»[(٢)]، وفي الدعاء ادخار الأجر والمثوبة عند الله إذا لم يُجب الداعي في الدنيا، وهذا أنفع وأحسن.

أخي المسلم:

للدعاء آداب يجب مراعاتها والأخذ بها ومنها:

أولاً: الجزم فيه واليقين على الله بالإجابة: لقوله ﷺ: «**إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت. وليعزم مسألته، إنه يفعل ما يشاء لا مكره له**»[(٣)].

ثانياً: حضور القلب وعدم الغفلة عند الدعاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاهٍ**»[(٤)].

ثالثاً: الدعاء في كل الأحوال: لقوله ﷺ: «**من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء**»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم: (٢٦٧٥).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٣ ـ تحفة) وابن ماجه (٣٨٢٩) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٢) وحسنه الألباني.

(٣) رواه البخاري (٧٤٧٧) ومسلم (٢٦٧٩).

(٤) رواه الترمذي (٣٧٠٩ ـ تحفة) والحاكم (١/ ٦٧٠) وحسنه الألباني في صحيح الجامع(٢٤٥).

(٥) رواه الترمذي (٣٦٠٦ ـ تحفة) والحاكم (١/ ٥٤٤) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٠).

ومن آداب الدعاء أيضاً: أن يخفض صوته بين المخافتة والجهر، وأن يسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنى، ويثني عليه، ويصلي ويسلم على رسوله ﷺ، وأن يتوخَّى أوقات الإجابة، ولا يتكلف السجع في الدعاء، وأن يكون مستقبلاً القبلة رافعاً يديه متوضئاً قبله، مع إظهار الافتقار والضعف والشكوى إلى الله عز وجل.

أخـي المسـلم:

من الأوقات والأحوال التي يستجاب فيها للداعي: ليلة القدر، وفي جوف الليل، ودبر الصلوات المكتوبة، والدعاء بين الأذان والإقامة، والدعاء حال السجود وفي آخر ساعة من يوم الجمعة، والصائم، والمسافر، والوالد، ودعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب، وغيرها من أوقات الإجابة. فاحرص على استغلال هذه الأوقات والأحوال في هذا الشهر المبارك، وأكثر من الدعاء لنفسك بالهداية والتوفيق، وقبول التوبة والتجاوز عن الخطيئة، والعفو عن التقصير والزلل، واسأل الله عز وجل أن يحييك على الإسلام ويميتك عليه، وأن ينجيك من النار، واسأله الخاتمة الحسنة والدرجة العالية في الجنة، ولا تغفل عن ذريتك فقد سبقك الأنبياء والمرسلون إلى ذلك ودعوا كثيراً لذرياتهم وزوجاتهم، واجعل لشباب المسلمين نصيباً من دعائك، وخُصَّ علماء ودعاة الأمة وولاة أمرها ورجالها المخلصين بالدعاء والتوفيق والسداد.

واحذر ـ أخي المسلم ـ من **موانع الإجابة** ومنها:

أولاً: الاستعجال في الدعاء فإن الرسول ﷺ يقول: «**يستجاب للعبد ما لم يَدْعُ بإثم أو قطيعة، رحم ما لم يستعجل**، قيل: يا رسول الله ما

الاستعجال؟ قال: **يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي، فيستحسر عند ذلك ويَدَعُ الدعاء**»[(١)].

ثانياً: أكل الحرام من ربا ورشوة وسرقة وأكل مال اليتيم، وأكل حقوق الغير، والتعدي على أموال الناس، وأخذ حقوق العمال، وكذلك خيانة الأمانة، والتأخر عن الدوام أو إضاعة وقته، ولو حسبت كم دقيقة تضيع من جرَّاء تأخرك أو خروجك بدون عذر شرعي لعرفت كم يدخل بطنك من الحرام وبدون وجه حق، يقول ﷺ في الرجل الذي يمد يديه إلى السماء ويقول: «**يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِّي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟**»[(٢)].

ثالثاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لحديث الرسول ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدْعُنَّه فلا يستجيب لكم**»[(٣)].

وعندما سُئل إبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ فقال: «لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس».

أخي المسلم:

لا يغيب عن بال الداعي أنه يحصل بسبب الدعاء: سكينة في النفس

---

(١) رواه مسلم: (٢٧٣٥) ومعنى يستحسر: ينقطع ويمل ويفتر.

(٢) رواه مسلم: (١٠١٥).

(٣) رواه أحمد: (٣٨٨/٥) والترمذي (٢٢٥٩ـ تحفة) وقال: «حديث حسن»، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع(٧٠٧٠).

وانشراح في الصدر، وصبر يسهل معه احتمال الواردات عليه، وهذا نوع عظيم من أنواع الإجابة فأكثِر من الدعاء والابتهال إلى الله عز وجل ولا تكن ممن عناهم الرسول ﷺ بقوله: «**أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وأبخل الناس من بخل بالسلام**»(١).

واسمع إلى قول الله عز وجل وهو يناديك﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ﴾.

أخـي المسـلم:

لا تسألنَّ بُنيَّ آدمَ حاجةً
وسَلِ الذي أبوابُه لا تُحجبُ
اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَهُ
وإذا سألتَ بُنيَّ آدمَ يغضبُ

فإياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، وعليك بمن بابه مفتوح فقد أمرك أن تسأله ووعدك بالإجابة.

واسأل الله بقلب حاضر ونفس منقطعة إليه، وأمل ورجاء في الإجابة، فإن الله كريم جواد، بر رحيم.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم آمن روعاتنا واستر عوراتنا، اللهم أصلح أحوال المسلمين، ووَلِّ عليهم خيارهم، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا ولوالدينا، ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٥٥٨٧) وابن حبان (٧/ ١٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٠٤٢) وقال الشيخ الألباني: صحيح الإسناد موقوفاً وصح مرفوعاً، وانظر: صحيح الجامع (١٠٤٤) والصحيحة (٦٠١).

الدرس الحادي والثلاثون:

وصايا عامة

الحمد لله رب العالمين، اللهم لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن خير مايُقدم للأخ المسلم وصايا الإسلام وتعاليمه، فإن في التمسك بها النجاة والسعادة في الدارين، ومن تلك الوصايا:

أولاً: اعلم ـ وفقك الله تعالى ـ أنه لابد من توفر شرطين لأي عبادة أو طاعة تتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالي وبسقوطهما أو بسقوط أحدهما يحبط العمل وهما:

الشرط الأول: الإخلاص لله في هذا العمل، وذلك بأن تكون مخلصاً في هذا العمل نيتك لله وحده لا شريك له، لا تريد مدحاً ولا ثناءً ولا جزاءً من أحد من الخلق.

الشرط الثاني: المتابعة للرسول ﷺ وذلك بأن يكون العمل قد سنَّه الرسول ﷺ.

أخـي المسـلم:

الأصل في العبادات الاتباع وليس الابتداع كما قال ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد**»(١). وفي رواية: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢٦٩٧) مسلم: (١٧١٨).
(٢) رواه مسلم: (١٧١٨)(١٨).

فدين الإسلام كامل شامل، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

فكيف بحال من أحدثوا في الدين ماليس منه؛ كالاحتفال بالمولد النبوي، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، وغيرها من المناسبات التي لم يثبت عن نبينا محمد ﷺ، ولا عن أحد من الصحابة، ولا من تابعيهم تعظيم لها؟ فهل الذين يحيون هذه الليالي والأيام يحبون الرسول ﷺ أكثر من حب الصحابة والتابعين؟!

ثانياً: حافظ على السنن الرواتب وهي: قبل الفجر ركعتان، وقبل الظهر أربع وبعدها ركعتان، وبعد المغرب ركعتان، وبعد العشاء ركعتان. لقوله ﷺ: «**ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير فريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة (أو إلا بُني له بيت في الجنة)**[١]».

واحرص على أن يكون أداؤها في البيت لقوله ﷺ: «**صلوا أيها الناس في بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»[٢].

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عمَّن واظب على ترك السنن الرواتب؟ فأجاب: «من أصر على تركها، دلَّ ذلك على قلة دينه فردَّت شهادته»[٣].

ثالثاً: عليك بالمحافظة على صلاة الوتر فإنها من السنن التي كان يواظب عليها المصطفى ﷺ في الحِلِّ والسفر، قال: «**اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً**»[٤].

---

(١) رواه مسلم: (٧٢٨)(١٠٣).
(٢) رواه البخاري (٧٣١) ومسلم (٧٨١).
(٣) الفتاوى (٢٣/١٢٧).
(٤) رواه مسلم: (٧٥١)(١٥١).

وسنة الضحى لقوله ﷺ: «**يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة؛ فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، ويجزيء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى**»(١).

فبالمداومة على هذه السنة تكون على صلة بربك طوال يومك وليلتك.

رابعاً: ليوم الجمعة وليلته مزايا وآداب تميِّزه عن سائر الليالي والأيام منها:

أ ـ الاغتسال في يوم الجمعة، وقد أوجبه بعض أهل العلم واستدلوا بقوله عليه الصلاة والسلام: «**غسل يوم الجمعة واجب على كل مُحتلم**»(٢).

ب ـ التطيب، والتعطر، والتسوك، وتقليم، الأظافر، ولبس الجديد من الثياب، كما كان يفعل ذلك النبي ﷺ.

ج ـ الإكثار من الصلاة والسلام على رسول ﷺ في هذا اليوم لقوله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي**»(٣).

د ـ أن في يوم الجمعة ساعة إجابة كما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «**فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه**. وأشار بيده يقللها»(٤).

---

(١) رواه مسلم: (٧٢٠).
(٢) رواه مسلم (٨٤٦)، ومحتلم: أي بالغ.
(٣) رواه أبو داود (١٠٤٧) النسائي (١٣٧٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).
(٤) رواه البخاري: (٩٣٥) ومسلم (٨٥٢).

وهذه الساعة يرجح أنها آخر ساعة من يوم الجمعة قبل غروب الشمس.

هـ - من الآداب التبكير والمشي على الأقدام إلى صلاة الجمعة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المُهَجّر كمثل الذي يهدي بدنةً، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كبشاً، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم يستمعون الذكر»**(١).

ولحديث أوس بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«من غسّل يوم الجمعة واغتسل، ثم بكّر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها»**(٢).

و - قراءة سورة الكهف في يومها، فقد روي عنه ﷺ أنه قال: **«مَنْ قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور مابين الجمعتين»**(٣).

أخي المسلم:

قبل أن تنام لا تنس هذه الأوراد، وعليك بحفظها وذكرها عند نومك كي تكون محفوظاً من الله سبحانه وتعالى، فمنها:

* ما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوى فراشه كل ليلة جمع كفيه، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: **﴿قل هو الله أحد﴾ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من**

---

(١) رواه البخاري (٩٢٩) ومسلم (٨٥٠) ومعنى المُهَجّر: المُبكّر.
(٢) رواه أبو داود (٣٤٥) والترمذي (٤٩٤ - تحفة) وقال: «حديث حسن» وصححه الألباني في صحيح الجامع(٦٤٠٥) والترغيب (٨٦٧).
(٣) رواه البيهقي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٠) وصحيح الترغيب (٧٣٥).

جسده يبدأ بهما على رأسه ووجه وما أقبل من جسده. يفعل ذلك ثلاث مرات»(١).

* قراءة آية الكرسي لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه أتاه آتٍ يحثو من الصدقة ـ وكان النبي ﷺ قد جعله عليها ـ ليلة بعد ليلة، فلما كان في الليلة الثالثة، قال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ـ وكانوا أحرص شيء على الخير ـ فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي حتى تختمها فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي ﷺ: **«صدقك وهو كذوب، ذاك الشيطان»**(٢).

* التسبيح ثلاثاً وثلاثين والتحميد ثلاثاً وثلاثين والتكبير أربعاً وثلاثين، لما ورد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها أتت النبي ﷺ تسأله خادماً فلم تجده، ووجدت عائشة فأخبرتها. قال علي: فجاءنا النبي ﷺ وقد أخذنا مضاجعنا فقال: **«ألا أدلكما على خير مما سألتما، إذا أويتما إلى فراشكما فكبِّرا أربعاً وثلاثين، وسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»** قال علي رضي الله عنه: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ. قيل: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين(٣).

* الوضوء: فقد ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من بات طاهراً، بات في شعاره**(٤) **ملك، فلم يستيقظ إلا قال**

---

(١) رواه البخاري: (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن: باب فضل المعوذات.
(٢) رواه البخاري: (٢٣١١).
(٣) رواه البخاري (٦٣١٨) ومسلم (٢٧٢٧).
(٤) الشعار: مايلي بدن الإنسان من ثوب وغيره.

الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهراً»[١].

أخي المسلم:

احرص على الالتزام بخصال الفطرة وهي كما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء**» قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. زاد قتيبة: قال وكيع: انتقاص الماء يعني الاستنجاء[٢].

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، ووفقنا لاتباع سنة نبيك ﷺ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه ابن حبان (٣/٣٢٨) عن ابن عمر، وقال الحافظ في الفتح (١١/١١٣): «وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس نحوه بسند جيد» المعجم الأوسط (٥٠٨٧).

(٢) رواه مسلم: (٢٦١).

الدرس الثاني والثلاثون:

الأخوة في الله

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن الله عز وجل جعل هذه الأمة أمة صفاء ونقاء في العقيدة والعبادة والسلوك والمعاملة. وجعل أخوة الدين أعلى من رابطة النسب والقرابة قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وهي أخوة إيمانية قوية لا تزيدها الأيام إلا قوة ورسوخاً وقرباً، قال عليه الصلاة والسلام: «**المسلم أخو المسلم**»[(١)]. وقد حث الله عز وجل على الترابط والتواد والتراحم ونبذ الفرقة والقطيعة، فقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ فأمة الإسلام أمة واحدة لا يعتريها التفريق والانقسام، فهي أمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً. وهذه المحبة في الله طريق إلى العبادة والتقرب إلى الله عز وجل، فهي من الأعمال الصالحة، ومن أوثق عرى هذا الدين.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله**» قالوا: يا رسول الله، تخبرنا من هم؟ قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٠).

الناس. وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢﴾[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله تعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أُظلهم في ظلي، يوم لا ظلَّ إلا ظلي**»[2].

وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ذكر منهم: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه**»

والأخوة في الله لا تنقطع بنهاية هذه الدنيا بل هي مستمرة في الآخرة يقول تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾.

أخـي المسـلم:

إن التحاب في الله والأخوة في دينه من أفضل القربات، ولها شروط بها يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله، وفيها حقوق بمراعاتها تصفو الأخوة عن شوائب الكدر ونزغات الشيطان، فبالقيام بحقوقها يُتقرَّب إلى الله زلفى، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلا.

ومـن هـذه الحقـوق:

أولاً: الحب والمناصرة والتأييد والمؤازرة ومحبة الخير لهم، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[3].

ثانياً: التواصي بالحق والصبر وأداء النصيحة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبيين الطريق له وإعانته على الخير ودفعه إليه، يقول

---

(١) رواه أبو داود (٣٥٢٧) والطبري في التفسير (٦/ ١٧٧٢٩)، ورواه من حديث أبي هريرة ابن حبان (٥٧٣) والطبري (٦/ ١٧٧٢٨). وصحح شعيب الأرناؤوط إسناد حديث أبي هريرة في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٣) رواه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥).

تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾، ويقول تعالى: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾.

ثالثاً: القيام بالأمور التي تدعو إلى التواد وزيادة الصلة، وأداء الحقوق، قال عليه الصلاة والسلام: «**حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعدْه، وإذا مات فاتَّبعه**»[١].

رابعاً: من حقوق المسلم على المسلم لين الجانب وصفاء السريرة وطلاقة الوجه والتبسط في الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»[٢]. واحرص على نبذ الفرقة والاختلاف. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبق بين المسلمين عصمةٌ ولا أخوة.

خامساً: من حقوق المسلم على المسلم دلالته على الخير وإعانته على الطاعة، وتحذيره من المعاصي والمنكرات، وردعه عن الظلم والعدوان، قال ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، إن يك ظالماً فاردده عن ظلمه، وإن يك مظلوماً فانصره**»[٣].

حُكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره، فقال: أحوج ما كان إليَّ في هذا الوقت لما وقع في

---

(١) رواه مسلم: (٢١٦٢)(٥).
(٢) رواه مسلم: (٢٦٢٦).
(٣) رواه بهذا اللفظ الدارمي (٢/ ٢٧٥٣) عن جابر رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠١) ورواه البخاري عن أنس بلفظ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**. فقال رجل يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره؟ قال: **تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره**» (٦٩٥٢) فتح الباري.

عثرته أن آخذ بيده وأتلطَّف له في المعاتبة، وأدعو له بالعودة إلى ما كان عليه.

والنصيحة باب واسع من أبواب المحبة.. قال شيخ الإسلام ابن **تيمية**: «المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقطع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما يُحمد منه ذلك التخشين».

سادساً: وتكتمل المحبة بين المؤمنين في صورة عجيبة ومحبة صادقة.. عندما يكونان متباعدين وكل منهم يدعو للآخر بظهر الغيب في الحياة وبعد الممات قال ﷺ: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك المُوكل به: آمين، ولك بمثل**»(١).

سابعاً: تلمس المعاذير لأخيك المسلم، والذب عن عرضه في المجالس، وعدم غيبته أو الاستهزاء به، وحفظ سره والنصيحة له إذا استنصح لك وعدم ترويعه وإيذائه بأي نوع من أنواع الأذى. قال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً**»(٢).

ثامناً: من واجبات الأخوة الإسلامية: إعانة الأخ المسلم، ومساعدته وقضاء حاجاته، وتفريج كربته، وإدخال السرور على نفسه، قال عليه الصلاة والسلام: «**أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد** ـ يعني مسجد المدينة ـ **شهراً**»(٣).

---

(١) رواه مسلم: (٢٧٣٣)

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٦٢) وأبو داود (٥٠٠٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٥٨).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٥٣) عن ابن عمر وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

تاسعاً: تفقد الأحباب والإخوان والسؤال عنهم وزيارتهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**أنَّ رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى فأرصد الله تعالى له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله تعالى، قال: فإني رسول الله إليك، بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه**»[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه منادٍ بأن طبت وطاب ممشاك وتبوَّأت من الجنة منزلاً**»[(٢)].

عاشراً: تقديم الهدية والحرص على أن تكون مفيدة ونافعة مثل إهداء الكتاب الإسلامي أو الشريط النافع أو مسواك أو غيره، وقد «**كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها**»[(٣)].

أخي المسلم:

أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بوصية جامعة فقال: «عليك بإخوان الصدق تَعِشْ في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يُقليك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك».

جعلنا الله من المتحابين فيه، ورزقنا محبة المؤمنين والقيام بحقوقهم. اللهم وفقنا لما تحب وترضى، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم: (٢٥٦٧).
(٢) رواه الترمذي: (٢٠٧٦ـ تحفة) وابن ماجه (١٤٤٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٧).
(٣) رواه البخاري (٢٥٨٥) كتاب الهبة: باب المكافأة في الهبة.

الدرس الثالث والثلاثون:

غض البصر

الحمد لله الذي خلق السمع والأبصار والأفئدة، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فلقد أسبغ الله عز وجل علينا نعماً ظاهرة وباطنة، لا تعد ولا تحصى، ومن أعظم تلك النعم وأهمها نعمة البصر، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ومن عظيم قدرها أن أبدل الله عز وجل من سلب منه عينيه فصبر الجنة. قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه، فصبر، عوضته منهما الجنة**»[(١)].

ونعمة البصر من أعظم النعم إذا استخدمها العبد في طاعة الله عز وجل، أما إذا كانت خلاف ذلك، فإنها تكون سبباً للحسرة في الدنيا، والندامة في الآخرة، ولذا جاء الأمر الإلهي للمؤمنين كافة بغض البصر وحفظه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ﴾ الآية.

قال ابن كثير رحمه الله: «وهذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرَّم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحرَّمٍ من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعاً».

---

(١) رواه البخاري: (٥٦٥٣) كتاب المرضى: باب فضل مَنْ ذهب بصره.

وقال **ابن القيم** رحمه الله: وأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يُعلِمهم أنه مشاهد لأعمالهم مطلع عليها ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر، جعل الأمر بغضِّه مقدماً على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدأها من البصر، كما أن معظم النار من مستصغر الشرر، تكون نظرة ثم خطرة ثم خطوة ثم خطيئة. ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات، والخطرات، واللفظات، والخطوات.

وقد جعل الله العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته.

ولما كان إطلاق البصر سبباً لوقوع الهوى في القلب، أمر الشرع بغض البصر عما يُخاف عواقبه، قال ابن القيم معلقاً على حديث الرسول ﷺ: «**كُتب على ابن آدم حظه من الزنا..**»(١) قال: فبدأ بزنا العين لأنه أصل زنا اليد والرجل والقلب والفرج. فاحذر ـ يا أخي وفقك الله ـ من شر النظر، فكم أهلك من عابد، وأفسد من شاب وكهل، وتلمَّح معنى قول النبي ﷺ: «**النظر سهم مسموم**»(٢). لأن السم يسري إلى القلب فيعمل في الباطن قبل أن يرى عمله في الظاهر، فاحذر من النظر فإنه سبب الآفات إلا أن علاجه في بدايته قريب، فإذا كرر تمكن الشر فصعب علاجه. وأضرب لك في ذلك مثلاً: إذا رأيت فرساً قد حالت براكبها إلى درب ضيق فدخلت فيه ببعض بدنها ولضيق المكان لا يمكن دخولها، فإن قبل وردَّها خطوة إلى ورائها سهل الأمر، وإن توانى حتى ولجت، ثم قام بجذبها بذَنَبِها طال تعبه وربما لم يتهيأ له.

---

(١) رواه مسلم: (٢٦٥٧)(٢١).

(٢) رواه الحاكم: (٤/٣٤٩) من حديث حذيفة، والطبراني في الكبير (١٠/١٧٣) عن ابن مسعود، والقضاعي في مسند الشهاب(١/١٩٦) من حديث ابن عمر.

أخـي المسـلم:

إن فتنة النظر إلى ما حرم الله أصل كل فتنة، ومنجم كل شهوة، فالنظر هو رائد الشهوة ورسولها، وحفظه أصل حفظ الفرج.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب على ابن آدم حظَّهُ من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه**»[١].

وعنه ﷺ أنه قال لعلي بن أبي طالب: «**يا علي، إن لك كنزاً في الجنة، فلا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة**»[٢].

يعني بذلك ﷺ النظرة الأولى وهي نظرة الفجأة من غير قصد ولا تعمد. وهذا خطابه لعلي رضي الله عنه مع علمه بكمال زهده وورعه وعفة باطنه، وصيانة ظاهره، يحذره من النظر، ويؤمنه من الخطر، لئلا يدعي الأمن كل بطَّال، ويغتر بالعصمة والأمن من الفتنة ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾**﴾.

أخـي المسـلم:

إن الله عز وجل خلق العينين نعمة منه لك لتنظر بها إلى عظمة الله عز وجل، والتفكر في ملكوت السموات والأرض، والاستعانة بهما على الطاعة، وتدبير أمر معاشك. فاصرفها إلى النظر الحلال، وجنِّبها مواطن الشبه والحرام، ولا تتهاون بالنظرة.

ليس الشجاعُ الذي يحمي مطيتَهُ
يوم النزال ونارُ الحرب تشتعلُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧).

(٢) رواه أحمد: (٥/٣٥١) وأبو داود (٢١٤٩) والترمذي (٢٩٢٧ـ تحفة) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥٣).

لكـــن فتـــىً غــضّ طــرفــاً أو ثنـــى بصراً
عـــن الحــرامِ فـــذاك الفـــارسُ البَطـــلُ

أخـي المسلم:

في غض البصر عدة فوائد:

الفائدة الأولى: تخليص القلب من ألم الحسرة، فإن من أطلق نظره دامت حسرته.

الفائدة الثانية: أنه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وعلى الجوارح، كما أن إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه.

الفائدة الثالثة: أن غض البصر يورث سروراً وفرحاً وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر.

الفائدة الرابعة: أنه يخلص القلب من أسر الشهوة، فإن الأسير هو أسير شهوته وهواه.

الفائدة الخامسة: أنه يسدُّ عنه باباً من أبواب جهنم. وفوائد غض البصر وآفات إرساله كثيرة جداً.

ومما شاع بين الناس كثرة النظر إلى المحرمات في الشاشات وعلى صفحات المجلات، وهي من دواعي الفتنة والشهوة. فليحذر المسلم والمسلمة ذلك وليعلم أنه محاسب على الخطرة والهفوة وعلى التبسم والنظرة. وليحذر مخالفة أمر الله عز وجل فإنه تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ وكم سمعنا ورأينا من معصية صغيرة أوقعت في أكبر منها! أليس النظر بريد الزنا؟!

أخـي المسلم:

اعلم أن الذنوب قد تكون حجاباً عن الخاتمة الحسنة.

ولهذا كان من شدة ورع السلف وحرصهم على حفظ أبصارهم ما قاله ابن

سيرين رحمه الله: «إني أرى المرأة في المنام فأعرف أنها لا تحلُّ لي، فأصرف بصري عنها».

وقال **سفيان** وكأنه يحدثنا ويرى واقعنا: عليك بالمراقبة لمن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة.

وصيانةً للقلوب وحفظاً لطهارة النفوس، فقد حذر النبي ﷺ من اتخاذ جميع الوسائل التي تُفضي إلى تحريك الشهوة، والوقوع في الحرام.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تباشر المرأة المرأة فتنعتها** (أي تصفها) **لزوجها كأنه ينظر إليها**».(١)

فانظر ـ رعاك الله ـ كيف نهى عن وصف المرأة المرأة لزوجها صفة امرأة أجنبية، لئلا تسمو همته إليها، لأن الوصف يقوم مقام النظر.

أخـي المسـلم:

يُروى أنه كان بمصر رجل يلزم مسجداً للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة. فرقي يوماً المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني فاطَّلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتُتِن بها، فترك الأذان ونزل إليها، ودخل الدار عليها، فقالت له: ما شأنك؟ وما تريد؟ قال: أريدك. قالت: لماذا؟ قال: أتزوجك. قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر، قالت: إن فعلت أفعل. فتنصر الرجل ليتزوجها، وأقام معهم في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار فسقط منه، فمات فلم يظفر بها، وفاته دينه. إنها نظرة يظنها البعض يسيرة بسيطة، ولكنها ساقته إلى أن يترك ملة محمد ﷺ.

قال **الشنقيطي** رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾: فيه

---

(١) رواه البخاري: (٥٢٤٠) كتاب النكاح: باب لاتباشر المرأة المرأة فتنعتها لزوجها.

الوعيد بمن يخون بعينه بالنظر إلى ما لا يحل.

كـــلُّ الحـــوادثِ مبـــدأهـــا مـــن النظـــر
ومعظـــمُ النـــار مـــن مستصغـــر الشرر
كـــم نظـــرةٍ فتكـــتْ في قلـــب صـــاحبهـــا
فَتْـــكَ السهـــام بـــلا قـــوسٍ ولا وتـــر
والمـــــرءُ مـــــادام ذا عينٍ يُقلِّـبُهـــــا
في أعين الغيـــدِ مـــوقـــوفٌ على خطـــر
يَسرُّ مقلتَـــــهُ مـــــا ضَرَّ مهجتَـــــهُ
لا مـــرحبـــاً بسرورٍ عـــاد بـــالضرر

أخـي المسـلم:

متع نظرك بقراءة القرآن وأطلق بصرك ليرى عظمة صنع الخالق جل وعلا، ليكن ذلك في ميزان حسناتك.

واغضض بصرك عما حرم الله، تهنأ نفسك وتؤجر على فعلك، وتجد حلاوة ذلك في قلبك.

واعلم إن عصيت الله بالنظر المحرم، أنك تعصيه بنعمته التي أعطاك إياها فاحذر أن يسلبها منك.

جعلني الله وإياكم ممن إذا زلَّ ثاب وتاب، وإذا أخطأ استغفر وعاد، وحفظ أبصارنا وأسماعنا عما يُغضبه، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع والثلاثون:

حسن الخلق

الحمد لله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه وترتيبه، وأدب نبينا محمداً ﷺ فأحسن تأديبه، **وبعد:**

فإن مكارم الأخلاق صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين، بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات، وقد خص الله جل وعلا نبيه محمداً ﷺ بآية جمعت له محامد الأخلاق ومحاسن الآداب، فقال جل وعلا: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾.

وحُسن الخلق يوجب التحاب والتآلف، وسوء الخلق يُثمر التباغض والتحاسد والتدابر.

وقد حث النبي ﷺ على حسن الخلق، والتمسك به، وجمع بين التقوى وحسن الخلق، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أكثر ما يدخل الناس الجنة: تقوى الله، وحسن الخلق**»(١).

وحسن الخُلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، هذا مع ما يلازم المسلم من كلام حسن، ومدارة للغضب، واحتمال الأذى.

وأوصى النبي ﷺ عقبة بن عامر بوصية عظيمة فقال: «**يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتُعطي من حرمك**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٧٢ـ تحفة) وابن ماجه (٤٢٤٦) وأحمد (٢/ ٢٩١).

(٢) رواه الحاكم: (٤/ ١٧٨) وأحمد: (٤/ ١٤٨و١٥٨) والطبراني: (١٧/ ٢٦٩) وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ١٨٨ ـ ١٨٩): «أحد إسنادي أحمد رجاله ثقات».

وتأمل - أخي الكريم - إلى الأثر العظيم والثواب الجزيل لهذه المنقبة المحمودة والخصلة الطيبة، فقد قال ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم**»(١).

وعدَّ النبي ﷺ حسن الخلق من كمال الإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**»(٢).

وعليك بقول رسول الله ﷺ: «**أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل، سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليَّ من أن أعتكف في المسجد شهراً**»(٣)..

والمسلم مأمور بالكلمة الهيِّنة الليِّنة لتكون في ميزان حسناته قال عليه الصلاة والسلام: «**والكلمة الطيبة صدقة**»(٤).

بل وحتى التبسم الذي لا يكلف المسلم شيئاً له بذلك أجر قال عليه الصلاة والسلام: «**وتبسمك في وجه أخيك صدقة**»(٥).

والتوجيهات النبوية في الحث على حسن الخلق واحتمال الأذى كثيرة معروفة، بل إن سيرته ﷺ نموذجاً يحتذى به في الخلق مع نفسه ومع زوجاته ومع جيرانه ومع ضعفاء المسلمين ومع جهلتهم، بل وحتى مع الكافر، قال

---

(١) رواه أحمد: (٦/ ١٣٣) وأبو داود (٤٧٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٣٢).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٧٢) والترمذي (١١٧٢) تحفة - وقال: «حسن صحيح» وأبو داود: (٤٦٨٢).

(٣) سبق تخريجه في ص(٢١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).

(٥) رواه الترمذي: (٢٠٢٢ - تحفة) وقال: «حسن غريب» وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٢٩٠٨).

تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وقد جُمِعتْ **علامات حسن الخلق** في صفات عدة، فاعرفها ـ أخي المسلم ـ وتمسَّك بها. وهي إجمالاً: أن يكون الإنسان كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، براً وصولاً، وقوراً، صبوراً، شكوراً، راضياً، حليماً، رفيقاً، عفيفاً، شفيقاً، لا لعاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً، ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً، يحب في الله، ويرضى في الله، ويغضب في الله.

وأصل الأخلاق المذمومة كلها: الكبر والمهانة والدناءة، **وأصل الأخلاق المحمودة** كلها الخشوع وعلو الهمة: فالفخر والبطر، والأشَر والعجب، والحسد والبغي، والخيلاء والظلم، والقسوة والتجبر، والإعراض وإباء قبول النصيحة، والاستئثار وطلب العلو، وحب الجاه والرئاسة، وأن يُحمد بما لم يفعل، وأمثال ذلك، كلها ناشئة من الكبر.

وأما الكذب والخسة، والخيانة والرياء، والمكر والخديعة، والطمع والفزع، والجبن والبخل، والعجز والكسل، والذل لغير الله، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، ونحو ذلك، فإنها من المهانة والدناءة وصغر النفس.

وإذا بحثــت عــن التقــي وجــدتــه
رجــلاً يُصــدِّق قــولــه بفعــالِ
وإذا اتَّقــى الله امــرؤ وأطــاعــه
فيــداه بين مكــارمٍ ومعــالِ
وعلى التقــي إذا تــراسـخ في التقــى
تــاجــانِ: تــاجُ سكينــة، وجمــالِ

وإذا تناسبتِ الرجالُ فما أرى
نسباً يكون كصالحِ الأعمالِ

أخي المسلم:

إنها مناسبة كريمة أن تحتسب أجر التحلي بالصفات الحسنة، وتقود نفسك إلى الأخذ بها وتجاهد في ذلك، واحذر أن تدعها على الحقد والكراهة وبذاءة اللسان، وعدم العدل والغيبة والنميمة والشح وقطع الأرحام. وعجبت لمن يغسل وجهه خمس مرات في اليوم مجيباً داعي الله، ولا يغسل قلبه مرة في السنة ليزيل ما علق بها من أدران الدنيا وسواد القلب ومنكر الأخلاق!

واحرص على تعويد النفس كتم الغضب، وليهنأ من حولك من والدين وزوجة وأبناء وأصدقاء ومعارف، بطيب معشرك، وحلو حديثك، وبشاشة وجهك، واحتسب الأجر في كل ذلك.

وعليك أخي المسلم بوصية النبي ﷺ الجامعة، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخُلق حسن**»(١).

جعلنا الله وإياكم ممن قال فيهم الرسول ﷺ: «**إن أقربكم مني منزلاً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**»(٢).

اللهم إنا نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة، اللهم حسِّن أخلاقنا وجمِّل أفعالنا، اللهم كما حسَّنت خُلقنا فحسن بمنِّك أخلاقنا، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أحمد: (٥/٢٢٨و٢٣٦) والترمذي (٢٠٥٣و٢٥٤ ـ تحفة) عن أبي ذر ومعاذ وقال عن حديث أبي ذر: «حسن صحيح» والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧).

(٢) رواه الترمذي: (٢٠٨٧ـ تحفة) وقال: «حسن غريب»، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٠١).

الدرس الخامس والثلاثون:

سننٌ قلَّ العمل بها

الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد:**

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

أخـي المسـلم:

السُّنة: هي ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، والسنة يثاب فاعلها، ولا يعاقب تاركها. ولقد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على الأخذ بأوامر الرسول والنهل من معينه ﷺ، روى البخاري في صحيحه[١] أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**كنت أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، فينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك. .**».

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعملون ما يعمله الرسول ويفعلون ما يفعله، ولم يقولوا هذه سنة لا نعاقب على تركها، بل كانوا يسارعون في الخيرات امتثالاً لقول الرسول ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟! قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**»[٢].

---

(١) رواه البخاري: (٨٩) كتاب العلم: باب التناوب في العلم.

(٢) رواه البخاري (٧٢٨٠).

أخي المسلم:

إن موت السُّنن واندثارها، وجهل الناس بها وعدم تطبيقها، علامة علي ظهور البدع وفشوها، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**ما يأتي على الناس من عام إلاَّ أحدثوا فيه بدعة، وأماتوا سنة، حتى تحيا البدع وتموت السُنن**»، وقال ابن القيم رحمه الله: ولو تركت السنن للعمل لتقطّعت سنن رسول الله ﷺ ودرسَتْ رسومها وعفت آثارها.

ومن سنن المصطفى التي هُجرت أو قل العمل بها:

١- البداية باليمنى عند لبس النعل، وباليسرى عند الخلع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا خلع فليبدأ بالشمال، ولينعلهما جميعاً**»[(١)].

٢- المحافظة على الوضوء:

عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أن من خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن**»[(٢)].

٣- السواك:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[(٣)]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**»[(٤)]. ويستحب استعمال السواك في كل وقت، ويتأكد عند: الوضوء، والصلاة وقراءة القرآن، وعند

---

(١) رواه البخاري (٥٨٥٦) ومسلم (٢٠٩٧).
(٢) رواه أحمد(٥/ ٢٧٥) وابن ماجه(٢٢٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٩٥٢).
(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٧) والنسائي (١/ ٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥).
(٤) البخاري (٨٨٧) ومسلم (٢٥٢).

الاستيقاظ من النوم، وعند تغير رائحة الفم، وسواء كان مفطراً أم صائماً في أو النهار أو آخره، ويتأكد أيضاً عند دخول المنزل، والسواك سنة مندثرة عند النساء إلا ما رحم ربي، فاحرص ـ أخي المسلم ـ على شراء سواك لك ولأهل بيتك حتى تحي هذه السنة العظيمة، ويكون لك أجر ذلك.

٤- صلاة الاستخارة:

عن جابر رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يُعلمنا السورة في القرآن». فاحرص أخي المسلم على هذه الصلاة العظيمة وعلى دعاء الاستخارة المعروف.

٥- المضمضة والاستنشاق من غرفة واحدة:

عن عبدالله بن زيد أن رسول الله ﷺ: «**تمضمض من كفٍ واحدة، فعل ذلك ثلاثاً**»[(١)].

٦- الوضوء قبل النوم، والنوم على الجنب الأيمن:

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أتيت مضجعك، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت. واجعلهن آخر ما تقول**»[(٢)].

٧- تخفيف إفطار الصائم عند المغرب ثم يأكل بعد الصلاة عَشاءه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله ﷺ يفطر**

---

(١) رواه البخاري (١٩١) ومسلم (٢٣٥).
(٢) رواه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠).

قبل أن يُصلي على رطباتٍ، فإن لم تكن رطبات فتميرات، فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء»(١).

٨- سجود الشكر عند تجدد نعمة أو اندفاع نقمة:

وهو سجدة واحدة مستقلة في أي وقت من الأوقات، فعن أبي بكرة رضي الله عنه «**أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يسره خسر ساجداً لله شكراً لله تعالى**»(٢).

٩- ترك السهر في الليل والتبكير بالنوم:

إلا إذا كانت هناك مصلحة معتبرة كمدارسة علم، أو معالجة مريض ونحو ذلك، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها.

١٠- متابعة المؤذن:

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة صلى الله بها عليه عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»(٣).

١١- المسابقة إلى الأذان والتبكير إلى الصلاة والحرص على الصف الأول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم الناس ما**

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٦٤) وأبو داود (٢٣٥٦) والترمذي: (٦٩٢ ـ تحفة) وقال: «حسن غريب»، والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٥).

(٢) رواه أبو داود (٢٧٧٤) والترمذي: (١٦٢٦ ـ تحفة) وابن ماجه (١٣٩٤) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٠١).

(٣) رواه مسلم: (٣٨٤).

في النداء ـ أي الأذان ـ والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير ـ أي التبكير إلى الصلاة ـ لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة ـ أي صلاة العشاء ـ والصبح لأتوهما ولو حبواً»[(١)].

١٢- الاستئذان ثلاث مرات:

فإن لم يؤذن للإنسان فإنه يرجع، وكثير من الناس يغضب إذا أتى على غير موعد ولم يؤذن له، وقد يكون لصاحب الدار عذر من مرض أو غيره ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾، وقال ﷺ: «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك، وإلا فارجع»[(٢)].

١٣- نفض الفراش عند النوم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه، فليأخذ داخلة إزاره ـ أي طرفه ـ فلينفض بها فراشه، وليُسَمِّ الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع، فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربي، بك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[(٣)].

١٤- رقية الإنسان نفسه وأهله:

عن عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوِّذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهنَّ، وأمسح بيده نفسه لبركتها»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢١) ومسلم (٤٣٧).
(٢) أخرجه البخاري (٦٢٤٥) ومسلم (٢١٥٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) رواه مسلم (٢٧١٤).
(٤) رواه البخاري (٥٧٣٥) كتاب الطب: باب الرقي بالقرآن والمعوذات.

١٥- الدعاء عند لبس الجديد:

عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا استجدَّ ثوباً سماه باسمه، عمامة أو قميصاً أو رداءً، ثم يقول: «**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شرِّه وشر ما صنع له**»(١).

١٦- السلام على جميع المسلمين ومنهم الصبيان:

فعن عبدالله بن عمرو أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تُطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه: «**أن رسول الله ﷺ مرَّ على غلمان فسلَّم عليهم**»(٣).

١٧- الوضوء قبل الغُسل:

عن عائشة رضي الله عنها: «**أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يُدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غرف بيديه، ثم يفيض على جلده كله**»(٤).

١٨- التأمين خلف الإمام ورفع الصوت بها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**إذا أمَّن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٥). وكان السلف

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٠) والترمذي (١٨٢٢) تحفه ـ وقال: «حديث حسن».
(٢) رواه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩).
(٣) رواه مسلم (٢١٦٨).
(٤) رواه البخاري (٢٤٨)، ومسلم (٣١٦).
(٥) رواه البخاري (٧٨٠) ومسلم (٤١٠).

يرفعون أصواتهم بها حتى يرتج المسجد.

١٩- رفع الصوت بالذكر الوارد بعد الصلاة:

في الصحيح[١]: «**أن رفع الناس أصواتهم بالذكر بعد الصلاة كان على عهد رسول الله ﷺ**». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ويستحب الجهر بالتسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلاة». وهذه السنة انقطعت في كثير من المساجد ولا تفرق بين حال الصلاة وما بعد سلام الإمام، لسكوت المصلين وعدم جهرهم بالأذكار الواردة.

٢٠- اتخاذ السترة في صلاة الفريضة والنافلة:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلى أحدكم، فليصلِّ إلى سترة، وليدنُ منها، ولا يدع أحداً يمرُّ بينه وبينها، فإن جاء أحد يمرّ فليقاتله فإنه شيطان**»[٢]. وعن نافع عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ «**كان تركز له الحربة فيصلي إليها**»[٣]. ونرى بعض الناس يتهاون في اتخاذ السترة عندما يصلون النوافل.

أخي المسلم:

هذه مجموعة من سنن المصطفى ﷺ، وهناك غيرها لمن أراد السنة وسعي للتمسك بها، وكن ـ أخي الحبيب ـ كما قال عبدالرحمن بن مهدي: «سمعت سفيان يقول: ما بلغني عن رسول الله ﷺ حديث قط، إلا عملت به ولو مرة».

---

(١) رواه البخاري (٨٤١).
(٢) رواه أبو داود (٦٩٨) وابن ماجه (٩٥٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١).
(٣) رواه البخاري (٤٩٨).

وعن **مسلم بن يسار** قال: «إني لأصلي في نعليَّ، وخلعهما أهون عليَّ، وما أطلب بذلك إلا السنة».

قال **ابن رجب**: «من سار على طريق الرسول ﷺ وإن اقتصد فإنه يسبق من سار على غير طريقه وإن اجتهد».

اللهم اجعلنا ممن يتبع رسولك، ويقتفي أثره، واجمعنا وإياه ووالدينا في روضات الجنات برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والثلاثون:

من أذكار الصلاة

الحمد لله الذي أعان على العبادة ويسَّر، والصلاة والسلام على خير من صلى وصام وأفطر، **وبعد**:

فإن في طول صلاة القيام مدعاة إلى التفكر وحضور القلب، وتفريغه من أشغال الدنيا الزائلة، وربطه برب الأرض والسماوات، وجعله معلقاً بخالقه وبارئه سبحانه وتعالى.

ولقد مدح الله عز وجل أهل الخشوع في الصلاة فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾.

قال ابن كثير: الخشوع هو السكون والطمأنينة والتؤدة والوقار والتواضع، والحامل عليه الخوف من الله ومراقبته.

والخشوع هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والتذلل، وهو روح الصلاة ومادة حياتها، وهو ثمرة الإيمان وطمأنينة النفس.

ومحل الخشوع ـ أخـي المسلم ـ في القلب، وثمرته على الجوارح. ولا يحصل هذا الخشوع في الصلاة إلا لمن فرَّغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**وجعلت قرّة عيني في الصلاة**»[1].

أخـي المسـلم:

ما أتيتَ إلى هذا المسجد إلا طاعة لله عز وجل وامتثالاً لأمره، فما بالك تضيع ذلك بكثرة الحركة والغفلة في الصلاة؟! قال ﷺ: «**إن الرجل**

(١) رواه أحمد: (٣/١٢٨) والنسائي (٣٩٥٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

لينصرف، وما كُتب له إلا عُشر صلاته، تُسعها، ثُمنها، سُبعها، سُدسها، خُمسها، رُبعها، ثُلثها، نصفها»(١).

وثبت عنه ﷺ أنه قال: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته!**» قالوا: يارسول الله ! وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها**»(٢) وقال عليه الصلاة والسلام في بشارة عظيمة: «**ما من امرىءٍ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يُؤتِ كبيرة، وذلك الدهر كله**»(٣).

أخي المسلم:

وأنت تؤدي الفريضة العظيمة، ثم تعقبها بصلاة التراويح والقيام، أسوق لك كيف كانت صلاة نبي هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعن أبي عبدالله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً: إذا مر بآية فيها تسبيحٌ سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذٍ تعوذ، ثم ركع فجعل يقول: «**سبحان ربي العظيم**» فكان ركوعه نحواً من قيامه، ثم قال: «**سمع الله لمن حمده**» ثم قام طويلاً، قريباً مما ركع، ثم سجد، فقال: «**سبحان ربي الأعلى**»، فكان سجوده قريباً من قيامه»(٤).

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣١٩) وأبو داود(٧٩٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٦).
(٢) رواه أحمد (٥/ ٣١٠) والحاكم (١/ ٢٢٩) عن أبي قتادة، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٨٦).
(٣) رواه مسلم: (٢٢٨).
(٤) رواه مسلم: (٧٧٢).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يُتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله عز وجل فيها».

ولا تظنَّ ـ أخي المسلم ـ أن الصلاة مقصورة على أصحاب القوة والنشاط، بل هي أقرب لأصحاب الهمة والعزيمة، ألا ترى الشيخ الكبير كيف يأتي إلى المسجد ويقف أمام الله عز وجل وقد أضعفه المرض وأرهقته السنون؟! إنها حياة القلوب لا حياة الأبدان. فاحرص ـ وفقني الله وإياك ـ على صلاة التراويح والقيام واحرص عليهما.

ولما كان طول الصلاة يتساءل الكثير: ماذا أقول وبم أدعو؟ فأسوق للأخ المسلم بعضاً من الأذكار الصحيحة الواردة عن الرسول ﷺ:

أولاً: أذكار الركوع:

«سبحان ربي العظيم»«سبوح قدوس رب الملائكة والروح»(١).

«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم: اغفر لي» وكان يكثر منه في ركوعه وسجوده(٢). **«اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي»**(٣). **«سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»** قال هذا في صلاة الليل(٤).

ثانياً: أذكار الرفع من الركوع:

«اللهم ربنا ولك الحمد»(٥) وكان الرسول ﷺ يزيد على ذلك ـ كما

---

(١) رواه مسلم: (٤٨٧).
(٢) رواه البخاري (٨١٧) ومسلم (٤٨٤).
(٣) رواه مسلم: (٧٧١).
(٤) رواه أبو داود (٨٧٣) والنسائي (٢/ ١٩١)(١٠٤٩)، وقال الألباني عن إسناده: «صحيح». في صفة صلاة النبي ﷺ ص(١٣٣).
(٥) رواه البخاري: (٧٩٥).

روى ذلك مسلم[(١)] ـ «ملء السموات وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، وتارة يضيف: «حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه»[(٢)].

ثالثاً: أذكار السجود:

«سبحان ربي الأعلى»«سبوح قدوس رب الملائكة والروح»[(٣)] «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي» وكان يكثر منه في الركوع والسجود[(٤)]. «اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشقّ سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين»[(٥)].

«اللهم اغفر لي ذنبي كلّه؛ دقّ وجلّه، وأوله وآخره وعلانيته وسرّه»[(٦)]

«اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»[(٧)].

رابعاً: الجلوس بين السجدتين:

«اللهم اغفر لي وارحمني، واجبرني وارفعني، واهدني وعافني وارزقني؟.[(٨)]. «رب اغفر لي، رب اغفر لي»[(٩)].

---

(١) رواه مسلم: (٤٧٧).
(٢) رواه البخاري: (٧٩٩).
(٣) رواه مسلم: (٤٨٧).
(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.
(٥) رواه مسلم: (٧٧١).
(٦) رواه مسلم: (٤٨٣).
(٧) رواه مسلم: (٤٨٦).
(٨) رواه أبو داود(٨٥٠) والترمذي (٢٨٣ ـ تحفة) وابن ماجه(٨٩٨) وصححه الحاكم (١/ ٢٧١) ووافقه الذهبي.
(٩) رواه أبو داود(٨٧٤) والنسائي(٢/ ٢٣١) وابن ماجه (٨٩٧) وصححه الألباني.

خامساً: أدعية مابعد التشهد الأخير:

١ - «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرّ فتنة المسيح الدجال»(١).

٢- «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم»(٢).

٣- «اللهم اغفر لي ماقدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت»(٣).

احرص - أخي المصلي - على حضور القلب وخشوع الجوارح وخضوعها لله عز وجل، واستشعر عظمة من تقف أمامه، وابتهل إليه في دعاء صادق، ودموع متصلة وقلب ذليل، أن يجعلك من المقبولين في هذا الشهر العظيم، ولا تبخل على نفسك وأمتك بالدعاء.

جعلني الله وإياك ووالدينا وإخواننا من أهل الفردوس الأعلى، ورزقنا الإخلاص في القول والعمل. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم(٥٨٨).
(٢) رواه البخاري: (٨٣٤) ومسلم (٢٧٠٥).
(٣) رواه مسلم: (٧٧١).

الدرس السابع والثلاثون:

فوائد إيمانية

الحمد لله مُسدي النعم ومُبعد النقم، جزيل العطايا، وغافر الخطايا، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن تزكية النفوس أمر غفل عنه بعض الناس وتجاهله آخرون، وهذه وقفات إيمانية وفوائد منتقاة من كلام ابن القيم رحمه الله، فيها إحياء للنفوس وإيقاظ للقلوب.

قال رحمه الله: **الناس في الصلاة على مراتب خمسة**.

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه، المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يُضيِّع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، وقد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها وقلبه متعلق بين يدي ربه تعالى

ناظراً ومراقباً وممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلَّت تلك الوساوس والخطرات، وهو مشغول في صلاته بربه عز وجل، قرير العين به، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض.

الأول مُعاقب، والثاني مُحاسب، والثالث مُكفَّر عنه، والرابع مُثاب، والخامس مقرَّب من ربه. لأنه جُعلت قرة عينه في الصلاة.

* وقال رحمه الله في **مفسدات القلوب:**

ومن مفسدات القلوب:

أولاً: التعلق بغير الله تبارك وتعالى: وهذا أعظم مفسداته على الإطلاق فإنه إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وخذله من جهة ما تعلق به، وفاته تحصيل مقصوده من الله عز وجل بتعلقه بغيره. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ .

ثانياً: ركوبه بحر التمني: وهو بحر لا ساحل له. وهو البحر الذي يركبه مفاليس العالم. وكما قيل: إن المنى رأس أموال المفاليس. وبضاعة ركابه مواعيد الشيطان وخيالات المال البهتان. والخيالات الباطلة تتلاعب براكبه كما تتلاعب الكلاب بالجيفة.

ثالثاً: الطعام: والمفسد له من ذلك نوعان:

أحدهما: ما يفسده لعينه وذاته كالمحرمات وهي نوعان:

محرمات لحق الله: كالميتة والدم ولحم الخنزير وذي الناب من السباع والمخلب من الطير. **ومحرمات لحق العباد:** كالمسروق والمغصوب والمنهوب وما أخذ بغير رضى صاحبه.

والثاني: ما يفسده بقَدْره وتعدي حدوده: كالإسراف في الحلال والشبع المفرط؛ يثقله عن الطاعات ويشغله بمزاولة مؤنة بطنه ومحاولتها حتي يظفر بها.

رابعاً: كثرة النوم: فإنه يميت القلب، ويثقل البدن، ويضيع الوقت، ويورث الغفلة والكسل.

ومن النوم المكروه عندهم: النوم ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس.

ومن النوم الذي لا ينفع: النوم أول الليل عقب غروب الشمس حتى تذهب فحمة العشاء.

وكان النبي عليه الصلاة يكرهه. فهو مكروه شرعاً وطبعاً.

* وقال رحمه الله في **أقسام القلوب:**

أقسام القلوب ثلاثة:

أولاً: قلب خالٍ من الإيمان وجميع الخير. وهذا قلب مظلم قد استراح الشيطان من إلقاء الوساوس إليه.

الثاني: قلب دخله نور الإيمان، وألقى فيه نوراً، ولكن عليه ظلمة الشهوات وعواصف من الهوى. فللشيطان عليه إقبال وإدبار، وبينه وبين الشيطان سجال.

الثالث: قلب محشو بالإيمان ومليء بالنور الإيماني. وقد انقشعت عنه حجب الهوى والشهوات. وأقلعت عنه تلك الظلمات، مليء بالإشراق ولو اقترب منه الشيطان لحرقه. فهو كالسماء التي حرست بالنجوم، فلو دنا منها الشيطان يتخطاها، رجم واحترق.

فليست السماء بأعظم حرمة من المؤمن. وحراسة الله تعالى له أتم من حراسة السماء. والسماء متعبَّد الملائكة ومستقر الوحي. وفيها أنوار الطاعات. وقلب المؤمن مستقر التوحيد والمحبة والمعرفة والإيمان.. وفيه أنوارها فهو حقيق أن يُحرس ويحفظ من كيد العدو، فلا ينال منه شيئاً إلا خطفه.

ولهذا قيل لابن عباس رضي الله عنه: إن اليهود تزعم أنها لا توسوس

في صلاتها، فقال: «وما يصنع الشيطان بالقلب الخراب؟!»

* وقال رحمه الله في **الذكر والشكر:**

مبني الدين على قاعدتين: الذكر، والشكر، وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه: «**والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك**»(١).

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللساني. وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته، وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به، وبصفات كماله، ونعوت جلاله، والثناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتم إلا بتوحيده. فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر: فهو القيام له بالطاعة، والتقرب إليه بأنواع محابّه ظاهراً وباطناً، وهذان الأمران هما جماع الدين، فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته، وهذان هما الغاية التي خُلق لأجلها الجن والإنس والسماوات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وهي الحق الذي به خلقت السماوات والأرض وما بينهما، وضدهما هو الباطل والعبث الذي يتعالى ويتقدس عنه، وهو ظن أعدائه به.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ﴾ والله أعلم.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٥) أبوداود (١٥٢٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع(٣٠٦٣).

* وقال رحمه الله في **آثار الذنوب والمعاصي:**

إن الذنوب والمعاصي تضر، ولابد أن ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان.

وهل في الدنيا والآخرة شرّ وداء إلا سببه الذنوب والمعاصي؟ ومن أسبابها:

١ ـ خروج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان.

٢ ـ خروج إبليس من ملكوت السماء، وطرده، ولعنه، ومسخ ظاهره وباطنه وجعل صورته أقبح صورة.

٣ ـ غرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء رؤوس الجبال.

٤ ـ تسليط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية.

٥ ـ أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم.

٦ ـ رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً. ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم.

٧ ـ أرسل على قوم شعيب سحاب العذاب كالظُّلل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظى.

٨ ـ ما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟.

٩ ـ وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً؟

١٠ ـ وما الذي أهلك قوم صالح بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟.

١١ ـ وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد، فجاسوا خلال

الديار وقتلوا الرجال، وسبوا الذراري والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية، فأهلكوا ما قدروا عليه وتبرّوا ما علوا تتبيراً؟.

١٢ ـ وما الذي سلط عليهم بأنواع العذاب والعقوبات، مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾.

اللهم وفِّقنا لعمل الخيرات، وأفض علينا من الرحمات، واغفر لنا ولوالدينا وجميع المسلمين والمسلمات. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والثلاثون:

حكم سب: اللـه - الدين - النبي ﷺ - الصحابة الكرام

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن نعم الله عظيمة، وآلاءه جسيمة، وأعظم النعم قدراً وأجلها منزلة نعمة الإسلام، التي منَّ الله بها علينا وخصنا بها.

ومع الغزو الإعلامي المكثف، وليونة الدين في القلوب؛ ظهر على ألسنة البعض أمرٌ خطيرٌ، ومنكرٌ كبيرٌ هو: سب الله عز وجل، أو الدين، أو النبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام.. وفي هذه الورقات بيان لعظم الأمر وخطورته حتى ننصح مَنْ نراه يفعل ذلك ونعلمه موطن الخير، وندله على طريق التوبة.

أخي المسلم: الإيمان بالله مبني على التعظيم والإجلال للرب عز وجل، ولاشك أن سب الله تعالى والاستهزاء به يناقض هذا التعظيم.

قال **ابن القيم**: «وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلى أحدهما عن الآخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الثناء على المحبوب المعظم، فذلك حقيقة الحمد والله أعلم».

والسب كما عرَّفه **ابن تيمية**: «هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يُفهم منه السبّ في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوه».

ولا ريب أن سب الله عز وجل يُعد أقبح وأشنع أنواع المكفِّرات القولية، وإذا كان الاستهزاء بالله كفراً سواء استحله أم لم يستحله، فإن السب كفر من باب أولى.

يقول **ابن تيمية**: «إن سب الله أو سب رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان

السَّابُ يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده».

وقال **ابن راهويه**: «قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله عليه الصلاة والسلام.. أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بما أنزل الله».

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾. فرّق الله عز وجل في الآية بين أذى الله ورسوله، وبين أذى المؤمنين والمؤمنات، فجعل على هذا أنه قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً، وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة وأعد له العذاب المهين، ومعلوم أن أذى المؤمنين قد يكون من كبائر الإثم وفيه الجلد، وليس فوق ذلك إلا الكفر والقتل.

قال **القاضي عياض**: «لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم».

وقال **أحمد** في رواية عبدالله في رجل قال لرجل: يا ابن كذا وكذا ـ أعني أنت ومن خلقك ـ: «هذا مرتد عن الإسلام تضرب عنقه».

وقال **ابن قدامة**: «من سب الله تعالى كفر، سواءً كان مازحاً أو جاداً».

* سُئل سماحة الشيخ **عبدالعزيز بن باز** ـ رحمه الله ـ السؤال التالي: ما حكم سب الدين أو الرب؟ ـ أستغفر الله رب العالمين ـ هل مَنْ سَبَّ الدين يعتبر كافراً أو مرتداً، وما هي العقوبة المقررة عليه في الدين الإسلامي الحنيف؟ حتى نكون على بينة من أمر شرائع الدين وهذه الظاهرة منتشرة بين بعض الناس في بلادنا أفيدونا أفادكم الله.

فأجاب رحمه الله: «سب الدين من أعظم الكبائر ومن أعظم المنكرات وهكذا سب الرب عز وجل، وهذان الأمران من أعظم نواقض الإسلام، ومن أسباب الردة عن الإسلام، فإذا كان مَنْ سب الرب سبحانه أو سب الدين

ينتسب للإسلام فإنه يكون مرتداً بذلك عن الإسلام ويكون كافراً يستتاب، فإن تاب وإلا قتل من جهة ولي أمر البلد بواسطة المحكمة الشرعية، وقال بعض أهل العلم: إنه لا يستتاب بل يقتل؛ لأن جريمته عظيمة، ولكن الأرجح أنه يستتاب لعل الله يمن عليه بالهداية فيلزم الحق، ولكن ينبغي أن يعزر بالجلد والسجن حتى لا يعود لمثل هذه الجريمة العظيمة، وهكذا لو سب القرآن أو سب الرسول ﷺ أو غيره من الأنبياء فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل، فإنَّ سب الدين أو سب الرسول أو سب الرب عز وجل من نواقض الإسلام، وهكذا الاستهزاء بالله أو برسوله أو بالجنة أو بالنار أو بأوامر الله كالصلاة والزكاة، فالاستهزاء بشيء من هذه الأمور من نواقض الإسلام، قال الله سبحانه: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ نسأل الله العافية».

* وسُئل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين السؤال التالي: ما حكم الشرع في رجل سَبَّ الدين في حالة غضب، هل عليه كفَّارة؟ وما شرط التَّوبة من هذا العمل حيثُ أنِّي سمعت من أهل العلم يقولون: بأنَّك خرجت عن الإسلام في قولك هذا، ويقولون: بأنَّ زوجتك حُرِّمت عليك؟

فأجاب فضيلته: «الحكم فيمن سبَّ الدِّين الإسلامي أنه يكفُر، فإنَّ سبّ الدِّين والاستهزاء به ردَّة عن الإسلام وكفر بالله عز وجل وبدينه، وقد حكى الله عن قوم استهزؤوا بدين الإسلام، حكى الله عنهم أنهم كانوا يقولون: إنَّما كنا نخوض ونلعبُ، فبين الله عز وجل أن خوضهم هذا ولعبهم استهزاءٌ بالله وآياته ورسوله وأنهم كفروا به، فقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾. فالاستهزاء بدين الله، أو سبُّ دين الله، أو سبُّ الله ورسوله، أو الاستهزاء بهما، كفر مخرج عن الملَّة».

واحذر أخي المسلم من مجالسة هؤلاء القوم حتى لا يصيبك إثم، وتحل بدارك العقوبة.

* سُئل الشيخ محمد بن عثيمين السؤال التالي:

هل يجوز البقاء لي بين قوم يسُبُّون الله عزَّ وجلَّ؟

فأجاب حفظه الله: «لا يجوز البقاء بين قوم يسبون الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾».

حكم سب الرسول صلى الله عليه وسلم:

للرسول منزلة عظيمة في نفوس أهل الإيمان، فقد بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وجاهد في الله حق جهاده، ونحن نحب الرسول ﷺ كما أمر، محبةً لا تخرجه إلى الإطراء، أو إقامة البدع التي نهى الرسول ﷺ عنها وحذر منها، بل له المكانة السامية، والمنزلة الرفيعة، نطيعه فيما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر.

ولنحذر من سبِّ الرسول ﷺ فإن ذلك من نواقض الإيمان، التي توجب الكفر ظاهراً وباطناً، سواءً استحل ذلك فاعله أو لم يستحله.

يقول ابن تيمية: «إن سبَّ الله أو سبَّ رسوله كفرٌ ظاهراً وباطناً، سواءً كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده».

والأمر في ذلك يصل إلى حتى مجرد لمز النبي ﷺ في حكم أو غيره، كما قال رحمه الله: فثبت أن كل من لمز النبي ﷺ في حكمه أو قَسمه فإنه يجب قتله، كما أمر به ﷺ في حياته وبعد موته.

فاحذر أخي المسلم من هذا المزلق الخطر والطريق السيء، وتجنَّب ما يغضب الله عز وجل.

سب الصحابة:

الصحابة هم صحابة رسول الله ﷺ ورفقاء دعوته الذين أثنى الله عز وجل عليهم في مواضع كثيرة من القرآن، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾. وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ ومن سبهم بعد هذه الآيات فهو مكذب بالقرآن.

والواجب نحوهم: محبتهم والترضي عنهم والدفاع عنهم، ورد من تعرض لأعراضهم، ولاشك أن حبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، وقد أجمع العلماء على عدالتهم، أما التعرض لهم وسبهم وازدراؤهم، فقد قال **ابن تيمية**: «إن كان مستحلاً لسب الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر».

وقد حذر النبي ﷺ من ذلك بقوله: «**من سبَّ أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»(١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحداً أنفق مثل أُحدٍ ذهباً، ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نَصِيْفَهُ**»(٢).

وسُئل **الإمام أحمد** ـ رحمه الله ـ عَمَّنْ يشتم أبا بكر وعمر وعائشة فقال: «ما أراه على الإسلام».

وقال **الإمام مالك** ـ رحمه الله ـ: «مَنْ شتم أحداً من أصحاب محمد ﷺ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٤٢)(١٢٧٠٩) من حديث ابن عباس وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٨٥).

(٢) رواه البخاري (٣٦٧٣ ـ فتح) ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال كانوا على ضلال وكفر قُتل».

قال الشيخ **محمد بن عبدالوهاب** ـ رحمه الله ـ : «فمن سبهم فقد خالف ما أمر الله من إكرامهم، ومن اعتقد السوء فيهم كلهم أو جمهورهم، فقد كذّب الله تعالى فيما أخبر من كمالهم وفضلهم، ومكذبه كافر».

أما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فإنه كذَّب بالقرآن الذي يشهد ببراءتها، فتكذيبه كفر، والوقيعة فيها تكذيب له، ثم إنها رضي الله عنها فراش النبي ﷺ والوقيعة فيها تنقيص له، وتنقيصه كفر.

قال **ابن كثير** ـ رحمه الله ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: «وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا، ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية فإنه كافر، لأنه معاند للقرآن».

ساق اللالكائي بسنده أن الحسن بن زيد، لما ذَكَرَ رجلٌ بحضرته عائشة بذكر قبيح من الفاحشة، فأمر بضرب عنقه، فقال له العلويون: هذا رجل من شيعتنا. فقال: «معاذ الله، هذا رجل طعن على النبي ﷺ، قال الله عز وجل: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ فإن كانت عائشة خبيثة فالنبي ﷺ خبيث، فهو كافر فاضربوا عنقه»، فضربوا عنقه.

أخي المسلم: إنَّ سبَّ الصحابة رضي الله عنهم يستلزم تضليل أمة محمد ﷺ، ويتضمن أن هذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

اللهم ارزقنا حبك وحب دينك وكتابك ونبيك ﷺ وصحابته الكرام، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع والثلاثون:

بعض المخالفات الشرعية[١]

الحمد لله العاصم من الفتن، المنجي من المحن، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، **وبعد**:

فإن من تأمل أحوال بعض الناس يجد المخالفات الشرعية منتشرة بينهم حتى استمرأتها بعض النفوس، وظنت أنها حق ولا إثم فيها، ومن تلك المخالفات:

أولاً: الشرك بالله:

هو أعظم المحرمات على الإطلاق لحديث أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر (ثلاثاً)، قالوا: قلنا بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله..**»[(١)].

وكل ذنب يمكن أن يغفره الله إلا الشرك، فلابد له من توبة مخصوصة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾.

والشرك منه ما هو أكبر مخرج عن ملة الإسلام، صاحبه مخلد في النار إن مات على ذلك.

ومن أنواع هذا الشرك المنتشرة في كثير من بلاد المسلمين: **عبادة القبور** واعتقاد أن الأولياء الموتى يقضون الحاجات، ويُفرِّجون الكربات، وكذلك الاستعانة والاستغاثة بهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾. وكذلك دعاء الموتى من الأنبياء والصالحين أو غيرهم، للشفاعة أو للتخلص من الشدائد، والله يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾.

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

وبعضهم يتخذ ذكر اسم الشيخ أو الولي ـ مستغيثاً به ـ عادته وديدنه إن قام وإن قعد وإن عثر، وكلما وقع في ورطة أو مصيبة وكربة فهذا يقول: يا محمد، وهذا يقول: يا جيلاني، وهذا يقول: يا حسين، وهذا يقول: يابدوي، وهذا يقول: يا جيلاني، وهذا يقول: يا شاذلي، وهذا يقول: يا رفاعي، وهذا يدعو العيدروس، وهذا يدعو السيدة زينب، وذلك يدعو ابن علوان، والله يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ وبعض عبَّاد القبور يطوفون بها، ويستلمون أركانها، ويتمسَّحون بها، ويقبِّلون أعتابها، ويُعفِّرون وجوههم في تربتها، ويسجدون لها إذا رأوها، ويقفون أمامها خاشعين متذللين متضرعين سائلين مطالبهم وحاجاتهم، من شفاء مريض، أو حصول ولد، أو تيسير حاجة، وربما نادى صاحب القبر: ياسيدي، جئتك من بلد بعيد فلاتخيبني، والله عز وجل يقول: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ وقال النبي ﷺ: «**من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار**»[1]. وبعضهم يحلقون رؤوسهم عند القبور، وبعضهم يعتقد أن الأولياء يتصرفون في الكون وأنهم يضرون وينفعون، والله عز وجل يقول: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾.

ولا تجوز الصلاة في المسجد إذا كان فيه أو في ساحته أو قبلته قبر.

ثانياً: الجلوس مع المنافقين أو الفساق استئناساً بهم أو إيناساً لهم:

يعمد كثير من الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم إلى مجالسة بعض أهل الفسق والفجور، بل ربما جالسوا بعض الذين يطعنون في شريعة الله ويستهزئون بدينه وأوليائه، ولاشك أن هذا عمل محرم يقدح في العقيدة، قال

---

(١) رواه البخاري: (٤٤٩٧).

الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

فلا يجوز الجلوس معهم في هذه الحالة وإن اشتدت قرابتهم، أو لطف معشرهم، وعذبت ألسنتهم، إلا لمن أراد دعوتهم أو رد باطلهم أو الإنكار عليهم، أما الرضا أو السكوت فلا، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾.

ثالثاً: سماع المعازف والموسيقى:

كان ابن مسعود رضي الله عنه يقسم بالله أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هو الغناء[1]. وعن أبي عامر أو أبي مالك الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ، قال: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف.**.»[2] وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**ليكونن في هذه الأمة خسف وقذف ومسخ وذلك إذا شربوا الخمور واتخذوا القينات وضربوا بالمعازف**»[3].

وقد نهى النبي ﷺ عن **الكوبة**[4] وهي الطبل، ووصف المزمار بأنه صوت أحمق فاجر. وقد نص العلماء المتقدمون كالإمام أحمد ـ رحمه الله ـ على تحريم آلات اللهو والعزف كالعود والطنبور والشبابة والرباب والصنج، ولاشك أن آلات اللهو والعزف الحديثة تدخل في حديث النبي ﷺ في النهي عن المعازف، وذلك كالكمنجة والقانون والأورج والبيانو والجيتار وغيرها، بل إنها في

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٣٣٣.

(٢) رواه البخاري معلقاً انظر الفتح (١٠/ ٥٣).

(٣) رواه الترمذي(٩ .٢٣ ـ تحفة) من عمران بن حصين، وأحمد (٥/ ٢٥٩) عن أبي أمامة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٦٧).

(٤) رواه أحمد (١/ ٢٧٤) وأبو داود (٣٦٩٦).

الطرب والنشوة والتأثير أكبر بكثير من الآلات القديمة التي ورد تحريمها.

رابعاً: شرب الدخان:

مما ابتليت به الأمة في هذا الزمن شرب الدخان، حتى استشرى وعمَّ وطمَّ. وأسوق في هذا الأمر فتوى فضيلة الشيخ **محمد بن صالح العثيمين** حول شرب الدخان والشيشة فيقول حفظه الله:

«شرب الدخان محرم وكذلك الشيشة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ وقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾. وقد ثبت في الطب أن تناول هذه الأشياء مُضر، وإذا كان مضراً كان حراماً. ودليل آخر قول تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ فنهى عن إتيان السفهاء أموالنا لأنهم يبذِّرونها ويفسدونها، ولا ريب أن بذل الأموال في شراء الدخان والشيشة تبذير وإفساد لها فيكون منهياً عنه بدلالة هذه الآية، وفي السنة أن رسول الله ﷺ: «**نهى عن إضاعة المال**»[(١)] وبذل الأموال في هذه المشروبات من إضاعة المال، ولأن النبي ﷺ قال: «**لا ضرر ولا ضرار**»[(٢)]. وتناول هذه الأشياء موجب للضرر، ولأن هذه الأشياء توجب للإنسان أن يتعلق بها فإذا فقدها ضاق صدره وضاقت عليه الدنيا فأدخل على نفسه أشياء هو في غنى عنها»ا.هـ.

ولو استبدلت الدخان وهو معصية، بالسواك وهو طاعة لله عز وجل، وتمسكت بسُنة الرسول ﷺ، وحرصت على استعمال السواك ـ لكان لك في ذلك خير كثير، قال ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**»[(٣)]. والسواك

---

(١) رواه البخاري (٢٤٠٨) ومسلم (٥٩٣).

(٢) رواه أحمد (١/ ٣١٣) وابن ماجه (٢٣٤٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٥١٧).

(٣) رواه أحمد (٦/ ٤٧) والنسائي: (١/ ٥) عن عائشة رضي الله عنها وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥).

مشروع في كل وقت، في رمضان وفي غيره، وفي أول النهار وآخره، بخاصة في المواضع التي ورد النص عليها وهي ستة: عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند دخول المنزل، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند قراءة القرآن وعند تغير رائحة الفهم. فاحرص ـ أخي المسلم ـ على إحياء هذه السنة العظيمة وطهِّر قلبك وفمك من المعاصي والآثام.

خامساً: تحلي الرجال بالذهب على أي صورة كانت:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً: «**أُحل لإناث أمتي الحرير والذهب، وحرم على ذكورها**»[(١)].

وفي الأسواق اليوم عدد من المصنوعات المصممة للرجال من الساعات والنظارات والأزرار والأقلام والسلاسل وما يسمونه بالميداليات بعيارات الذهب المختلفة، أو مما هو مطلي بالذهب طلاء كاملاً، ومن المنكرات ما يعلن في جوائز بعض المسابقات: ساعة ذهب رجالي!!

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه، فطرحه، فقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده؟!** فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله، ﷺ خذ خاتمك انتفع به قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ»[(٢)].

سادساً: اللعب بالنرد:

تحتوي كثير من الألعاب المنتشرة والمستعملة بين الناس على أمور من المحرمات ومن ذلك النرد (المعروف بالزهر) الذي يتم به الانتقال والتحريك في عدد كثير من الألعاب كالطاولة وغيرها، وقد حذر النبي ﷺ من هذا النرد الذي يفتح المقامرة والميسر فقال: «**من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه**»[(٣)].

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٩٢) والنسائي (٥١٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٩).
(٢) رواه مسلم (٢٠٩٠).
(٣) رواه مسلم (٢٢٦٠).

سابعاً: شهادة الزور:

قال الله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ وعن عبدالرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنهما عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فقال: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» ـ ثلاثاً ـ فذكر منها «**ألا وقول الزور**» قال: فمازال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(١).

وتكرار التحذير من شهادة الزور هنا لتساهل الناس بها وكثرة الدواعي إليها من العداوة والحسد ولما يترتب عليها من المفاسد الكثيرة، فكم ضاع من الحقوق بشهادة الزور، وكم وقع من الظلم على أبرياء بسببها، أو حصل أناس على ما لا يستحقون، أو أعطوا نسباً ليس بنسبهم بناء عليها.

ثامناً: بيع النجش:

وهو أن يزيد في السلعة مَن لا يريد شراءها، ليخدع غيره ويجره إلى الزيادة في السعر، قال ﷺ: «**لا تناجشوا**»(٢)، وهذا نوع من الخداع ولاشك، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**المكر والخديعة في النار**»(٣). وكثير من الدلالين في الحراج والمزادات ومعارض بيع السيارات كسبهم خبيث لمحرمات كثيرة يقترفونها، منها تواطؤهم في بيع النجش، والتغرير بالمشتري أو البائع القادم وخداعه فيتواطؤن على خفض سعر سلعته، أما لو كانت السلعة لهم أو لأحدهم فعلى العكس، يندسون بين المشترين ويرفعون الأسعار في المزاد يخدعون عباد الله ويضرونهم.

تاسعاً: الدياثة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: «**ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة:**

---

(١) رواه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

(٢) رواه مسلم: (٢٥٦٣) (٣٠).

(٣) البيهقي في شعب الإيمان (٤/٥٢٦٨) وصححه الألباني في (صحيح الجامع ٦٧٢٥).

مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث»[١].

ومن صور الدياثة في عصرنا: الإغضاء عن البنت أو المرأة في البيت وهي تتصل بالرجل الأجنبي يحادثها وتحادثه بما يسمى بالمغازلات، وأن يرضى بخلوة إحدى نساء بيته مع رجل أجنبي، وأن يرضى بخروجهن دون حجاب شرعي ليراهنَّ الغادي والرائح، وكذا جلب الأفلام والمجلات التي تنشر الفساد والمجون وإدخالها البيت.

عاشراً: الخلوة بالأجنبية:

الشيطان حريص على فتنة الناس وإيقاعهم في الحرام ولذلك حذرنا الله سبحانه بقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾. والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ومن سُبل الشيطان في الإيقاع في الفاحشة الخلوة بالأجنبية، ولذلك سدَّت الشريعة هذا الطريق، كما في قوله ﷺ: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان**»[٢] [٣].

اللهم جنبنا المنكرات، واعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم اغفر لنا وارحمنا وتجاوز عن ذللنا وخطئنا، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٣٤) والحاكم (١/ ٧٢) والبيهقي (١٠/ ٢٢٦) عن ابن عمر وصححه الألباني في (صحيح الجامع ٣٠٥٢).

(٢) رواه أحمد (١/ ١٨) والترمذي (٢٢٥٤ ـ تحفة) وقال: «حسن صحيح» وقال الشيخ الألباني في المشكاة (٢/ ٩٣٥): «إسناده صحيح».

(٣) غالب هذه المحرمات مأخوذة من كتاب الشيخ محمد المنجد: «محرمات استهان بها كثير من الناس».

بعض المخالفات الشرعية[٢]

الحمد لله القاهر بقدرته، الظاهر بعزته، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فهذه بعض المخالفات الشرعية التي يقع فيها بعض الناس، وهي تسع مخالفات تهاون بها البعض رغم حُرمتها بنص الآية والحديث ومنها:

أولاً: الإسبال في الثياب:

تهاون كثير من الناس في أمر الإسبال ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم. والإسبال: إطالة اللباس أسفل من الكعبين في ثوب أو مشلح أو بنطلون أو غيره من ملابس الرجال. عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبل، المنَّان، والمنفِّق سلعته بالحلف الكاذب**»(١). ومن الناس من يقول: إن إسبالي ليس كبراً. وهذه تزكية للنفس نهى الله عنها، والوعيد للمسبل عام سواء قصد الكبر أم لم يقصده، قال ﷺ: «**ما تحت الكعبين من الإزار ففي النار**»(٢). وإن أسبل خُيلاء وكبراً فالعقوبة أشد وأعظم كما قال ﷺ: «**من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة**»(٣).

والمرأة ترخي شبراً أو ذراعاً لستر قدميها احتياطاً من انكشافها، ولايجوز تجاوز الشبر والذراع للنساء.

---

(١) رواه مسلم: (١٠٦).

(٢) رواه أحمد (٦/٢٥٧) من حديث عائشة رضي الله عنها و(٥/١٥) من حديث سمرة رضي الله عنها وأخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ «**ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار**».

(٣) رواه البخاري: (٥٧٩١).

وفي هذا الزمن انقلبت الموازين وعكس البعض حديث الرسول ﷺ؛ فأصبحت المرأة تلبس فوق الكعبين إلى الركبة، والرجل أسبل تحت الكعبين، فالله المستعان.

ثانياً: تصوير ما فيه روح:

من نعم الله التي أنعم علينا الأموال التي يستعملها البعض في معصية الله عز وجل ومخالفة أمره، من أوضح المخالفات تصوير مافيه روح في الثياب أو الجدران أو الورق أو غيرها، وقد توعَّد الله عز وجل المصورين بوعيد شديد وعذاب أليم، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً فتعذب في جهنم**» قال ابن عباس: «إن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا روح فيه»(٢).

واعلم ـ أيها المسلم ـ أنك بما تضع من صور على جدران منزلك أو على صدور أبنائك، إنما تمنع دخول الملائكة إلى دارك، فقد قال الرسول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(٣).

فاستبدل ـ أخي المسلم ـ هذه الصور والتماثيل بصور الأشجار والمناظر الطبيعية، واعلم أن أعظم ما يُجمل به البيت هو طاعة الله عز وجل والبعد عن معصيته.

ثالثاً: الحلف بغير الله:

جرى على ألسنة كثير من الناس الحلف بغير الله، والحلف نوع من

---

(١) رواه البخاري: (٥٩٥٠) ومسلم (٢١٠٩).
(٢) رواه البخاري: (٢٢٢٥) ومسلم (٢١١٠).
(٣) رواه البخاري (٣٣٢٢) ومسلم (٢١٠٦)

التعظيم لا يليق إلا بالله، عن ابن عمر مرفوعاً: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»(١).

وعن ابن عمر مرفوعاً: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: «**من حلف بالأمانة فليس منا**»(٣). فلا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالشرف ولا بالأمانة ولا بجاه النبي ولا بالآباء.

رابعاً: اللواط:

قال تعالى عن قوم لوط: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ وكانت جريمتهم الشنيعة هي إتيان الذكران من الناس، وقد عاقب الله مرتكبيها بأربعة أنواع من العقوبات لم يجمعها على قوم غيرهم وهي: أنه طمس أعينهم، وجعل عاليها سافلها، وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود، وأرسل عليهم الصيحة. وعقوبة الفاعل والمفعول به ـ إذا كان عن رضا منه ـ القتل، فعن ابن عباس مرفوعاً: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به**»(٤).

فاحذر ـ أخي المسلم ـ من هذه الفعلة الشنيعة ولا تقربها، وحذِّر منها، وابتعد عن دواعيها وأسبابها، واحذر سخط الجبار.

خامساً: مصافحة المرأة الأجنبية:

---

(١) رواه البخاري: (٦٦٤٦).

(٢) رواه أحمد: (٢/ ١٢٥) والترمذي (١٥٧٤ ـ تحفة) وقال: «حديث حسن»، وصححه الألباني في صحيح الجامع: (٦٢٠٤).

(٣) رواه أبو داود: (٣٢٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٠٣).

(٤) رواه أحمد: (١/ ٣٠٠) وأبو داود (٤٤٦٢) والترمذي (١٤٨١ ـ تحفة) وابن ماجه (٢٥٦٤) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥٨٩).

طغت بعض التقاليد والأعراف الاجتماعية علي شريعة الله عز وجل في بعض المجتمعات، ومما عم وطم انتشار مصافحة الرجال للنساء القريبات من بنات عم أو خال أو زوجة الأخ أو غيرهن، والرسول ﷺ وحديثه فوق التقاليد المخالفة لهذا الدين، يقول الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام: **«لأَنْ يُطعن في رأس أحدكم بمِخْيطٍ من حديد خير له من أن يمسَّ امرأة لا تحل له»**(١).

ولا يتعذر أحد بأن هذه المرأة قريبتي، وأنها بمنزلة أختي، وأن قلوبنا طاهرة، فهذا سيد ولد آدم يقول: **«إني لا أصافح النساء»**(٢). وتأمل في أمر المبايعة وعظم شأنها في الإسلام ومع هذا لم يبايع الرسول ﷺ النساء إلا بالكلام، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **«ولا، واللهِ مامسَّت يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه يبايعهن بالكلام»**(٣).

سادساً: أكل الربا:

حرم الله أكل الربا وعدَّه من كبائر الذنوب وتأذَّن أهله بالحرب، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وقد لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ومن شارك في إتمام هذه الصفقة الخاسرة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: **«لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه»** وقال: **«هم سواء»**(٤).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير: (٢٠/ ٤٨٦) عن معقل بن يسار وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٤٥).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٣٥٧) والترمذي (١٦٤٥ ـ تحفة) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥١٣).

(٣) رواه البخاري (٢٧١٣) ومسلم (١٨٦٦).

(٤) رواه مسلم (١٥٩٨).

ومن فحش الربا وبيان قبحه، مارواه ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**»[1]. وإن كان رغبة المرابي في زيادة ماله ونمائه فقد خاب وخسر بنص حديث الرسول ﷺ حيث قال: «**الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قل**»[2].

سابعاً: أخذ الرشوة وإعطاؤها:

شاع بين كثير من الناس أخذ الرشوة وإعطاؤها وسموها بأسماء أخرى تزييفاً وتحسيناً، والأصل بقاء الحرمة وإن تغيرَّ المسمى، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿١٨٨﴾ ﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «**لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم**»[3]. وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعنة الله على الراشي والمرتشي**»[4].

فاحذر ـ أخي المسلم ـ أن يدخل جوفك حرامٌ فإن الرسول ﷺ يقول: «**كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به**»[5].

ثامناً: المماطلة في أداء الحقوق:

يتصور بعض الجهال أن المماطلة والتسويف أو أكل أموال الناس من الدهاء والذكاء، وما علم أن في ذلك محقاً لبركة ماله وحسناته، فقد توعد الله عز وجل من استأجر أجيراً ولم يوفِّه حقه على لسان نبيه حيث قال ﷺ: «**قال**

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٣٩).
(٢) رواه الحاكم (٤/ ٣٥٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٤٢).
(٣) رواه أحمد (٢/ ٣٨٧)
(٤) رواه ابن ماجه (٢٣١٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١١٤).
(٥) رواه أحمد (٣/ ٣٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٩).

الله تعالى: **ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حُرًّا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره**»[(١)].

وكثير يبخس الناس حقوقهم ولا يعطيهم مستحقاتهم كاملة، وقد حذر الله عز وجل من تلك الخصلة الذميمة فقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾.

فاحذر ـ أخي المسلم ـ أن يقودك الشح والبخل إلى نار جهنم، واعلم أن الدنيا دار عمل ولا حساب، وأن الآخرة حساب ولا عمل، فاستعد، واحذر أن يأخذك الله على حين غفلة من أمرك.

تاسعاً: أذية الجار:

شاع بين ضعاف النفوس وسفلة القوم الإساءة إلى الجار ومضارته. ومع كثرة الأمور المادية وطغيانها على البعض، تناسى الكثير حقوق الجار وعظم حقه، فقد أوصى الله عز وجل بالجار من فوق سبع سماوات فقال تعالى: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ۝٣٦﴾.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورِّثه**»[(٢)]. وقد حذر الرسول ﷺ من إيذاء الجار فقال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: من يارسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**»[(٣)]. وإيذاء الجار له صور متعددة منها: فتح النوافذ على بيته، والنظر إليه، وتتبع نسائه.

---

(١) رواه البخاري (٢٢٢٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٤) ومسلم (٢٦٢٤).

(٣) رواه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح، ومسلم من حديث أبي هريرة بلفظ: «لا يدخل الجنة..».

والذنب يعظم إذا ارتكب في حق الجار ويضاعف إثم صاحبه، كما قال النبي ﷺ: «**لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره، لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر عليه من أن يسرق من بيت جاره**»(١).

فعليك ـ أخي المسلم ـ بحسن الجوار والتلطف مع جارك والإحسان إليه وتحمل زلَّته وهفوته، وكن شهماً كريماً محسناً، واحرص على دعوته إلى الخير، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

عاشراً: حلق اللحية:

لحديث الرسول ﷺ واقع ملموس وشاهد محسوس: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**» قالوا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»(٢). واتجه البعض من الناس إلى مخالفة أمر الرسول ﷺ ومتابعة أهل الكفر في حلق اللحية، والرسول نهى عن ذلك في أحاديث كثيرة منها مارواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**خالفوا المشركين، وفِّروا اللحى، وأحفوا الشوارب**»(٣). واللحية اسم للشعر النابت على الخدين والذقن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من فطرة الإسلام أخذ الشارب وإعفاء اللحى**»(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمة: يحرم حلق اللحية. وقال القرطبي: لا يجوز حلقها ولا نتفها ولا قصها.

فاحذر ـ أخي المسلم ـ مخالفة أمر الرسول، والله عز وجل يقول:

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٠٣) وصححه الألباني.
(٢) رواه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩).
(٣) رواه البخاري (٥٨٩٢) ومسلم (٢٥٩).
(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (٤/ ٢٣)(١٢٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

اللهم وفقنا لما تحب وترضى، اللهم أصلح أحوال المسلمين ورُدَّ ظالمهم، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الأربعون:

وقفات للمرأة المسلمة وبعض مخالفاتهن[١]

الحمد لله الذي أكرم المؤمنات وخصَّهن بأعلى الدرجات، والصلاة والسلام على نبي الهدى والمكرمات، **وبعد**:

فاحمدي الله عز وجل أختي المسلم على أن بلَّغك هذا الشهر العظيم، وتذكري من صام معك العام الماضي، واحمدي الله عز وجل أن متعك بالصحة والأمن، واعلمي أن النساء شقائق الرجال، فما ثبت للرجال ثبت للنساء إلا بدليل. فيجب عليهن الصوم، ويستحب لهن المسارعة في الخيرات، وبذل الصدقات، والحرص على الطاعات.

وهذه وقفات سريعة للأخت المسلمة:

الوقفة الأولى:

احذري الأسواق فإنها أماكن الفتن والصد عن ذكر الله قال رسول الله ﷺ: «**أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها**»(١).

ولا يكن هذا الشهر وغيره سواء. واحذري أن تلحقك الذنوب في هذا الشهر العظيم بسبب رغبة شراء فستان أو حذاء، فاتقي الله في نفسك وفي شباب المسلمين، وما يضيرك لو تركت الذهاب إلى الأسواق في هذا الشهر الكريم وتقربت إلى الله عز وجل بهذا الترك. قال عبدالله بن مسعود: «ما تقربت امرأة إلى الله بأعظم من قعودها في بيتها». وكانت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقرأ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فتبكي حتى تبلَّ خمارها.

---

(١) رواه مسلم: (٦٧١).

الوقفة الثانية:

العمرة فضلها عظيم، في رمضان يتضاعف هذا الفضل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لما رجع من حجة الوداع قال لامرأة من الأنصار اسمها أم سنان: «**ما منعك أن تحجي معنا؟**» قال: أبوفلان [زوجها] له ناضحان حج على أحدهما والآخر نسقي عليه، فقال لها النبي ﷺ: «**فإذا جاء رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة**».. أو قال: «**حجة معي**»(١).

وإلى كل معتمرة باحثة عن الأجر وهي مجانبة للطريق أربأ بها أن يجتمع عليها في بلد الله الحرام، حرمة الشهر، وحرمة المكان، وحرمة الذنب. فتكون عمرتها طريق إلى الإثم والمعصية من حيث لا تدري وترجع مأزورة غير مأجورة!!

وإن يسر الله لكِ العمرة، فتجنبي مواطن الزلل، وعثرات الطريق، واخرجي محتشمة بعيدة عن أعين الرجال غاضة الطرف، لابسة الحجاب الشرعي، مبتعدة عن لبس النقاب، ومس العطور، واخرجي لبيت الله الحرام وأنت مستشعرة عظمة هذا البيت وعظم خالقه عز وجل، وتذكري أن الحسنات تُضاعف فيه كما أن السيئات تضاعف فيه أيضاً.

الوقفة الثالثة:

لقد فتح الله عز وجل لنا أبواب الخيرات وفاضت الأرزاق بيد الناس، فاحرصي - وفقك الله - على الصدقة بما تجود به نفسك من مال ومأكل وملبس، وقد مدح الله عباده المتقين ووصفهم بعدة صفات فقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ

---

(١) أخرجه البخاري (فتح - ١٧٧٣) ومسلم (١٣٤٩).

﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾.. وفي هذا الشهر تستطيعين أن تجمعي هذه الأعمال الفاضلة من قيام ليل واستغفار وصدقة في كل يوم. وقد حث النبي ﷺ على الصدقة بقوله: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[١]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**».. وذكر منهم: «**رجلاً تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**»[٢]. وقد أنفق بعض الصحابة أموالهم كاملة في سبيل الله وبعضهم نصف ماله، فلا يُبخِّلنك الشيطان ويصدك عن الصدقة بل سارعي إليها.. وهذا نداء خاص لك أختي المسلمة قال رسول الله ﷺ: «**يامعشر النساء تصدقن، وأكثرن الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار**»[٣].

الوقفة الرابعة:

في شهر رمضان فرصة مناسبة لمراجعة النفس ومحاسبتها وملاحظة تقصيرها فإن في ذلك خيراً كثيراً.. قال رسول الله ﷺ: «**إنما الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**»[٤].

وكان الحسن يقول: رحم الله رجلاً لم يغره كثرة ما يرى من الناس ابن آدم: إنك تموت وحدك، وتدخل القبر وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك.

---

(١) رواه البخاري (١٤١٣) ومسلم (١٠١٦).

(٢) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١)..

(٣) رواه البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري، ومسلم (٨٠)، ورواه مسلم أيضاً من حديث ابن عمر (٧٩).

(٤) رواه الترمذي (٢٤٥٩) وقال: «حديث حسن» ورواه ابن ماجه (٤٢٦٠) والحاكم (١/ ١٢٥).

وقال **ابن عون**: لا تثق بكثرة العمل فإنك لا تدري أيقبل منك أم لا؟ ولا تأمن ذنوبك فإنك لا تدري أكفر عنك أم لا؟ إن عملك مغيب عنك كله.

الوقفة الخامسة:

تضيع أوقات فاضلة في هذا الشهر العظيم من أجل طبخ ونفخ، يكفي أمة وليس أسرة، وبعض الأخوات المسلمات تظن أن السباق والمثابرة في هذا الشهر العظيم هو في التفنن في الطبخ، وتقديم أصناف الأطعمة. ولاشك أن ذلك إضاعة لوقتها، وإرهاق لجسمها، وإخلال في أوقات عبادتها. وعليها أن تطبخ القليل فإن فيه بركة، وتتعبد الله عز وجل بهذا الجهد فهو لخدمة الزوج والأبناء، أو لإطعام الصائمين، ولتبتعد عن المباهاة وتضييع الأوقات في ذلك. وكثير من النساء تقف نصف النهار في المطبخ ولا تقرأ القرآن، ثم إذا أقبل الليل فإذا بها مرهقة متعبة فيقصر بها الجهد عن صلاة القيام! وأذكِّر أختي المسلمة بسماع إذاعة القرآن الكريم حال وجودها في المطبخ وفي غيره، واستفيدي من هذا الخير العظيم ودُلِّي عليه غيرك.

الوقفة السادسة:

التوبة: كلمة نرددها ونسمعها، ولكن القليل من يطبقها.. حتى أنه ـ والعياذ بالله ـ قد استمرأت بعض النفوس المنكر، فترى بعض النساء تُقدمُ على فعل المحرمات المنهي عنها بلا مبالاة، مثل سماع الموسيقى والمعازف والنمص.. وكذلك رؤية الرجال على الشاشات، وإضاعة الأوقات فيما هو محرم.. فحري بالمسلمة أن تكون ذات توبة صادقة، قارنة القول بالفعل. قال الله تعالى حاثاً على التوبة ولزوم الأوبة.. ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.. وقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾.. وقال رسول الله ﷺ: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»[(١)]. فسارعي أختي المسلمة إلى التوبة من جميع الذنوب والمعاصي، وافتحي صفحة جديدة في حياتك، وزينيها بالطاعة، وجمليها بصدق الالتجاء إلى الله عز وجل، وحاسبي نفسك قبل أن تحاسبي.. ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ وتذكري حالك إذا غُسِّلتِ بسدر وحنوط، وكفنتِ بخمسة أثواب هي كل ما تخرجين به من زينة الدنيا!!

يا ليتَ شعري كيف أنتِ إذا
غُسِّلتِ بالكافور والسدر
أو ليتَ شعري كيف أنتِ على
نبش الضريحِ وظلمةِ القبر!!

أختي المسلمة:

قد أذن الشارع الحكيم لكِ بالصلاة في المسجد في قوله ﷺ: «**إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها**»[(٢)]. وتشبهي بنساء الصحابة فقد كانت المرأة تلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.. وكل ذلك تقرباً إلى الله، وابتعاداً عن الفتنة، وامتثالاً لقول الرسول ﷺ: «**استأخرن فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق**»[(٣)].

وإن للمساجد آداباً فتذكريها:

١ ـ الدخول بتقديم الرجل اليمنى وقول: «**بسم الله، اللهم صلِّ على**

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩) والحاكم (٤/ ٢٧٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٥).
(٢) رواه البخاري (٨٦٥) ومسلم (٤٤٢).
(٣) أبو داود (٥٢٧٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٢٩).

محمد، **اللهم افتح لي أبواب رحمتك**». وعند الخروج تقدم الرجل اليسرى ويقال: «**بسم الله، اللهم صلِّ على محمد، اللهم إني أسألك من فضلك**»[(١)].

٢ ـ **من السنة صلاة ركعتين قبل الجلوس تحية المسجد** كما قال ﷺ «**إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس**»[(٢)].

٣ ـ **احترام المساجد وعدم العبث بها**، أو رمي الأقذار والأوساخ فيها، والواجب تنظيفها وتطييبها والعناية بها أكثر من عنايتنا ببيوتنا وأماكننا، فعن عائشة رضي الله عنها «**أن النبي ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور، وأمر بها أن تنظف وتطيب**»[(٣)]. وأماكن النساء لا تطيب حتى لا يعلق بهن رائحة عطر ثم يخرجن أمام الرجال.

٤ ـ **تسوية الصفوف وسد الفُرَج**: ومن النساء من لا تهتم بهذا الأمر ولا تعطيه أهمية، فتجد صفوف النساء متعرجة ومتفككة، وكأن الأمر في ذلك مقتصر على الرجال دون النساء. قال ﷺ: «**ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟** فقلنا: يارسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: **يتمون الصوف الأُوَل، ويتراصون في الصف**»[(٤)].

٥ ـ **عدم التشويش ورفع الأصوات**: بعض النساء يأتين للمسجد للصلاة وتضيع الأوقات بين الركعات في أحاديث جانبية، وربما ارتفعت أصواتهن لتصل إلى الرجال، وبعض النساء يأتين للمسجد للتعرف والممازحة والطرفة والنكتة.

---

(١) رواه مسلم (٧١٣) وغيره.

(٢) رواه البخاري (٤٤٤) ومسلم (٧١٤).

(٣) رواه أحمد (٦/٢٧٩) والترمذي (٥٩٤) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»(٢٧٥).

(٤) رواه مسلم (٤٣٠).

أتيت أيها الأخت المسلمة طاعة الله عز وجل فاحذري أن تعصيه وتخالفي أمره، فإن على المسلمة أن تكون متسترة، متحجبة، غير متبرجة، ولا متطيبة، ولا رافعة صوتاً، ولا مبدية زينة. لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ أي لكن ما ظهر منها فلا يمكن إخفاؤه وهي الجلباب والعباءة ونحوهما، ولأن النبي ﷺ «**لما أمر النساء بالخروج إلى الصلاة يوم العيد** قالت أم عطية: يارسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب قال: **لتلبسها أختها من جلبابها**»[(١)].

اللهم احفظ نساء المسلمين وقِهِنّ التبرج والسفور، اللهم بارك في أعمالنا وأعمالهن، واجعلنا جميعاً من عبادك الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، اللهم وفقهن لتربية الأبناء على الوجه الذي يرضيك، وضاعف لهن الأجر على ذلك.

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأزواجنا وذرياتنا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤) ومسلم (٨٩٠).

وقفات للمرأة المسلمة وبعض مخالفاتهن[٢]

الحمد لله الذي خلق الإنسان من طين، وجعله بقدرته في قرار مكين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه وقفات سريعة لبعض المخالفات التي تقع فيها بعض النساء، ولخوف العقاب من الله عز وجل ذكرناها تنبيهاً لابنة الإسلام علَّ الله، أن ينفع بها وتجد من الأخوات المسلمات آذناً صاغية، وقلوباً واعية، ومن تلك المخالفات:

أولاً: تأخير الصلوات عن وقتها كصلاة العشاء بسبب وضع المكياج والمساحيق عند الخروج من البيت والتأخر في العودة إلى المنزل مما يسبب التأخر في النوم؛ ومن ثم قد لا تُصلِّي صلاة الفجر إلا بعد طلوع الشمس وهذه من صفات المنافقين. قال ﷺ: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنّا أتينا على رجل مضطجع ورجل قائم على رأسه بيده صخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ[١] رأسه فيتدهده[٢] الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصبح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل به المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟... قالا لي: أما إنّا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة**»[٣]. هذا يا أختاه لمن يؤخر الصلاة وينام عنها فما هو حال من لا

---

(١) يشدخ به رأسه ويحطمه أجزاء صغيرة متناثرة.

(٢) يتدحرج.

(٣) رواه البخاري: (٧٠٤٧).

يصلِّيها؟! وفي المقابل جعل الله سبحانه وتعالى الجنة ثواباً لمن حافظت على الصلاة. قال ﷺ: «**إذا صلّت المرأةُ خمسها، وصامتْ شهرها، وحصَّنت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أيِّ أبواب الجنة شئتِ**»(١).

ثانياً: عدم قضاء المرأة للصلاة التي دخل وقتها ولم تقم بأدائها بسبب نزول دم الحيض أو النفاس منها؛ فالواجب أن تقضيها فور طهرها. وكذلك يجب على المرأة إذا طهرت في وقت صلاة العصر أن تُصلِّي الظهر والعصر جميعاً لأن وقتهما واحد في حق المعذور كالمريض والمسافر، وهي معذورة بسبب تأخر طُهرها. وهكذا في وقت العشاء إذا طهرت وجب عليها أن تصلِّي المغرب والعشاء جميعاً، كما أفتى بذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ.

ثالثاً: عدم الاهتمام بإخراج زكاة المال والحلي التي تملكها المرأة إذا حال عليها الحول وبلغ النصاب، والواجب أن تزكي المرأة عن حليها سواءً ما تلبسه أو ما تكنزه كما أفتى بذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ وفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ـ يحفظه الله ـ ونفع بعلمهما مع أن المسألة فيها خلاف بين العلماء.

ثم إن الزكاة ركن من أركان الإسلام ودعائمه التي يقوم عليها، وقد توعد الله سبحانه وتعالى من لم يخرجها بالعذاب الأليم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

واحذري أن تبيعي ذهباً بذهب مع إضافة أجرة التصنيع فإنه ربا،

---

(١) رواه ابن حبان (٩/ ٤٧١)(٤١٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٦٠).

والطريق السليم في هذا أن يُباع الذهب الكسر بثمن من غير مواطأة ولا اتفاق، وبعد أن يقبض صاحبه الثمن فإنه يشتري الشيء الجديد، والأفضل أن يبحث عن الشيء الجديد في مكان آخر، والمهم أن لا تقع المبادلة بين ذهب وذهب مع دفع الفرق ولو كان ذلك من أجل الصناعة.

رابعاً: السكوت عن الزوج والأولاد الذين لا يُصلون وعدم النصح لهم والإنكار عليهم، واعلمي ـ أختي المسلمة ـ أن من ترك الصلاة عامداً فقد كفر، ويُعدّ مرتداً عن الإسلام والمرتد له أحكام: منها أنه ينفسخ عقد زواجه من امرأته ويكون استمتاعه بها استمتاعاً بامرأة أجنبية عنه وأولاده منها أولاداً غير شرعيين، فكيف ترضين بالعيش مع مَن ترك الصلاة وتهاون بها؟!

خامساً: عدم اهتمام الأم بمتابعة بناتها؛ حيث إن البنت قد تبلغ ويخرج منها دم الحيض ولا تأمرها أمها بالصلاة والصيام وبقية الواجبات المفروضة عليها، كما وأن بعض الأمهات يتهاون في لباس البنت لباساً ساتراً حتى تتربى وتتعود على قلة الحشمة والحياء.

سادساً: الخروج من البيت متبرجة، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

ومن صور التبرج: كشف الوجه، وضع غطاء شفاف على الوجه، لبس الملابس الضيقة أو المفتوحة أو القصيرة (ومنها ما يسمى بالشانيل وما شابهه)، أو لبس الملابس الشفافة، أو ذات الفتحات الواسعة من جهة الصدر سواءً عند الخروج من البيت أو أمام المحارم غير الزوج؛ مما قد يؤدي إلى افتتان الرجال بمحارمهم، وعدم لبس القفازات والجوارب الساترة لليدين والقدمين، لبس الكعب العالي، لبس العباءة المطرّزة أو المزركشة أو القصيرة، وضع العباءة على الكتف، ولبس البنطلون أمام النساء أو المحارم وهذا كله لا يجوز. وتنتشر هذه الصور من التبرج في حفلات الزواج والأسواق

والمستشفيات والمدارس وأثناء الخروج لزيارة الأقارب وغيرهم.

سابعاً: متابعة الموضة في اللباس والتسريحات والعطور والمساحيق والاهتمامات النسائية وهذا ضعف في الشخصية وفقدان للهوية، بل إنها قد تصرف على ذلك أموالاً كثيرة، وكذلك اقتناء المجلات التي تسمى بالبوردات وغيرها التي تحمل في طياتها الصور المحرّمة، وأيضاً الموديلات والأزياء الكافرة التي تحث على التعرّي والتخلّي عن الحجاب الشرعي وما يستر المرأة ستراً كاملاً، والسير خلف هذه المجلات وما تحمله من الشرور يجعل الكثير من النساء المسلمات يقعن في محاذير شرعية كثيرة، منها تقليد الكافرات فيما يلبسن من الملابس الفاضحة والضيقة والشفافة، وهذا هو أحد تفاسير قول الرسول ﷺ: «**يا رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»(١). وكذلك قد تقع المرأة المسلمة في تقليد الكافرات في كيفية تسريح الشعر وقصّه(٢) حيث تذهب إحداهن إلى الكوافيرات حتى يفعلن لها تلك القصات الدخيلة علينا من الغرب والشرق، قال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربُون بها الناس، ونساءٌ كاسياتٌ عاريات، مميلاتٌ مائلات(٣) رؤوسهنَّ كأسنمة البُخت المائلة(٤) لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»(٥). ثم تذكَّري أختي المسلمة يا من تحرصين على أن تظهري بأجمل المظاهر وأحسنها أمام زميلاتك حتى يقال عنك: إنكِ ذات مظهر حسن، وذوق رفيع في اختيار الملابس والموديلات،

---

(١) رواه البخاري: (١١٢٦).

(٢) لا بأس بقص الشعر بإذن الزوج للتزين له مالم يكن فيه تشبه بالرجال أو الكافرات فإنه يحرم.

(٣) مائلات عن طاعة الله ويعلِّمن غيرهن فعلهن المذموم.

(٤) الإبل الطويلة العنق.

(٥) رواه مسلم (٢١٢٨).

والقَصَّات، أنكِ لن تخرجي من هذه الدنيا إلا بكفن، وستتركين خلفكِ كل ما أسرفتِ في تفصيله وحرصتِ على شرائه وامتلاكه من الملابس وغيرها.

ثامناً: تعليق الصور المجسمة وغير المجسمة على الجدران أو وضعها على الرفوف، وكذلك اقتناء الألعاب المجسمة للأطفال، وهذا منكر عظيم تهاون به كثير من الناس. قال ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**»(١).

تاسعاً: التقليل من الإنجاب والسعي لتحديد النسل لغير ضرورة كمرض أو عجز عن التربية؛ مما يؤدي إلى نقص الأمة الإسلامية. وقد قال ﷺ: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم**»(٢). ولماذا الخوف والتقليل من الإنجاب؟ أتخشين الفقر أو تخشين ألا تجدي لهم ما يأكلونه ويشربونه؟ إن الذي رزقك سيرزقهم، والذي أطعمكِ وسقاكِ سيُطعمهم ويسقيهم، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡ﴾ أو قد يكون السبب في ذلك هو الخوف على فساد البدن والجمال والرشاقة كما يُشيع ذلك أعداء الأمة الإسلامية، ثم تذكري ـ يا أختاه ـ أن ابن آدم إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث، منها ولد صالح يدعو له، فإن كان لكِ عدد من الأولاد وسعيتِ في تربيتهم وتعليمهم الدين الإسلامي فإنك ستجنين ثمرة هذا العمل في المستقبل، قال ﷺ: «**خيرُ نسائكم الولود الودود، المواسية**(٣)**، المواتية**(٤) **إذا اتقَين الله، وشرُ نسائكم المتبرجات والمتخيّلات، وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهم إلا مثل الغراب الأعصم**(٥)»(٦).

---

(١) رواه البخاري (٥٩٤٩) ومسلم (٢١٠٦).
(٢) رواه أبو داود(٢٠٥٠) والنسائي (٦/ ٦٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٤٠).
(٣) التي تعين زوجها على أمر دينه ودنياه.
(٤) التي تطيع زوجها فيما يأمرها به في غير معصية الله.
(٥) أحمر المناقير والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من هذا النوع من النساء.
(٦) رواه البيهقي (٧/ ٨٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٣٠).

عاشراً: بيتك هو دوحتك الصغيرة التي تستظلين فيها من هجير هذه الدنيا، فاحرصي على أن يكون بيتك بيتاً إسلامياً، واحرصي على طاعة زوجك والتودد إليه وعدم تحميله ما لا يطيق ولا تجحدي معروفه، وعليك بالبشاشة في وجهه وقضاء حاجته، وتفقد أكله وشربه وراحته، فإن حق الزوج عظيم وإنما هو جنتك ونارك، عن عمة حصين بن مُحصن، قالت: «أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، فقال: **أي هذه! أذات بعل؟** قلت: نعم، قال: **كيف أنت له؟** قالت: ماآلوه (أي لا أقصر في طاعته وخدمته) إلا ماعجزت عنه، قال: **أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك**»(١).

وعليك ـ أختي المسلمة ـ بالاقتصاد في أمر البيت، وعدم الإسراف والتبذير، فإنك مسؤولة عن ذلك، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها**»(٢). واحترمي مشاعر زوجك وأحسني معاشرته تفوزي بخيري الدنيا والآخرة.

اللهم اهد نساء المسلمين، وجنِّبهن التبرج والسفور، وأفض عليهن من رحمتك ومغفرتك، ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه أحمد (٣٤١/٤) والنسائي في عشرة النساء (٧٦) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٥٠٩).

(٢) رواه البخاري (٨٩٣) ومسلم (١٨٢٩).

وقفات للمرأة المسلمة وبعض مخالفاتهن [٣]

الحمد لله الذي بيده مقاليد الأمور، والصلاة على البشير النذير محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإن المرأة المسلمة هي ركيزة البيت المسلم والأسرة السعيدة، وكثيراً ما تقع في بعض المحرمات جهلاً أو غفلة أو محاكاة للغير، وحيث إن الإنسان مجازى بعمله ولا ينفعه أحد من أهل الأرض، نسوق للمسلمة المصلية العابدة بعضاً من المخالفات التي ندعو الله عز وجل أن تلقيها جانباً وتحذر منها وتتوب إلى الله من العودة إليها وتُحذر منها ومن تلك المخالفات:

أولاً: عدم الاهتمام بتربية الأولاد تربية إسلامية سليمة من الشوائب والمبادىء الدخيلة علينا من أعداء الأمة، ومن أمثلة ذلك: أن الأم قد تتساهل في شراء ملابس أطفالها فتشتري لهم الملابس القصيرة، أو التي تحمل كلمات أجنبية قد تكون ضد الإسلام وتعاليمه، أو تلك الملابس التي بها الصور المحرّمة أو شعار النصاري وهو الصليب، وكذلك أن تقيم الأم احتفالاً عند إكمال ولدها العام من تاريخ ولادته وهذا ما يسمى بعيد ميلاد الطفل، أو أن تطلب الأم من زوجها أن يُلحق ولدهما في مدارس تُعلّم طلابها الموسيقى.
ومن صور عدم مبالاة الأم في تربية أولادها حلاقة شعر ولدها بأشكال غريبة مؤسفة فيها تشبه بالكفار. فالواجب على المرأة المسلمة أن تحرص كل الحرص على تنشئة أولادها كما نشأ أولاد الصحابة رضوان الله عليهم؛ حيث تعلّقت قلوبهم بالله، وعليها أن تحثّهم على المحافظة على الصلوات في المساجد وقراءة القرآن الكريم وربط همّهم بنصرة الإسلام وصرفهم عن توافه الأمور، لتسهم الأم المسلمة في إنشاء جيل يعيد للأمة مجدها المفقود، وعزتها المسلوبة.

ثانياً: ركوب المرأة مع السائق الأجنبي (غير المحرم) والخلوة معه، وقد

قال الرسول ﷺ: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**»[١]. أما إذا كان معه امرأتان فأكثر فلا بأس لأنه لا خلوة حينئذ بشرط أن يكون مأموناً وألا يكون في سفر، كما أفتى بذلك فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ حفظه الله ـ.

ثالثاً: الاختلاط بالرجال الأجانب كأخي الزوج (الحمو) وزوج الأخت وابن العم ونحوهم، والتساهل بالمزاح معهم ورفع الصوت وعدم التستر عندهم، حيث تلبس بعض النساء برقعاً وتجالسهم وتتجمل أمامهم دون وازع من دينٍ، أو رادع من حياءٍ، وقد قال ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو يا رسول الله؟ قال: «**الحمو الموت**»[٢]. بل إن بعضهن لا تكتفي بذلك فتجدها تصافحهم وهذا حرام سواءً كان بحائل (كالعباءة ونحوها) أو من دون حائل، وقد قال ﷺ: «**إني لا أصافح النساء**»[٣]. وقال ﷺ: «**لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**»[٤].

رابعاً: بعض النساء تَعُـدُّ السائق كأنه ليس رجلاً، فتقوم بتغطية وجهها عن غير محارمها من الرجال، ولكنها تكشفه للسائق وتخرج معه متعطرة ولا تبالي بذلك، وتأخذ وتعطي معه في الحديث، وقد تركب بجانبه.

خامساً: الدخول إلى الأسواق باستمرار لغير حاجة مُلِحَّة؛ فتُكثر الكلام مع الرجال كالبائعين والخياطين، وتكثر الضحك والمزاح مع رفيقاتها في

---

(١) رواه البخاري (١٨٦٢) ومسلم (١٣٤١).
(٢) رواه البخاري (٥٢٣٢) ومسلم (٢١٧٢).
(٣) رواه أحمد (٦/٣٥٧) والترمذي (١٦٤٥ ـ تحفة) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥١٣).
(٤) رواه الطبراني في الكبير (٢٠/٤٨٦) عن معقل بن يسار وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٤٥).

الأسواق بشكل لافت للنظر، وتقضي أوقاتاً طويلة فيها من دون حاجة، وقد قال الرسول ﷺ: «**المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها**(١) **الشيطان**»(٢).

وقد اتخذ بعض النساء الأسواق للتمشية والتسلية ـ والعياذ بالله ـ.

سادساً: اتجاه بعض النساء للعلاج عند الأطباء الرجال بحجة الضرورة، وهذا حرام ما لم تكن ضرورة قصوى، مع أنه بالإمكان أن تُعالج عند طبيبات وفي المستشفى نفسه، وإن كان لا يوجد في المستشفى نفسه طبيبات، فإنها قد تكون من اللاتي ينفقن المئات بل الآلاف علي توافه الأمور ولا تحمي جسدها وعرضها بمالها من أن يتمتع به الأطباء أو ينظرون إليه، فتذهب إلى أي مستشفى أو مستوصف طبي فيه طبيبات فتُعالج عندهن، وإن احتاجت للدخول على طبيب فليكن معها محرم.

سابعاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله في الأوساط النسائية، وقد يكون السبب إما حياءً ممن حولهن أو خوفاً منهن؛ وخاصة إذا كانت هؤلاء النسوة أكبر منهن سناً أو مركزاً اجتماعياً، أو ترك ذلك بحجة أن: (**دع الخلق للخالق**) وهذا كله من تلبيس الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٧١﴾. ومن وسائل الدعوة إلى الله نشر الشريط والكتاب الإسلاميين، وإلقاء الكلمات الهادفة والمواعظ المؤثرة في المجالس النسائية.

---

(١) أي زيّنها للرجال.

(٢) رواه الترمذي (١١٧٣) وقال: «حديث حسن غريب»، ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٣/٩٣) وزاد: «**وأقرب ما تكون من وجه ربها وهي في قعر بيتها**». والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٩٠).

ثامناً: فعل بعض المحرمات التي تستحق من فعلتها اللعن من الله، قال ﷺ: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات**[١]**، والنامصات والمتنمصات**[٢]**، والمتفلِّجات للحسن**[٣]**، المغيرات خلق الله**[٤]»[٥]، وقال ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**[٦]»[٧].

تاسعاً: أن يتسرّب إلى قلب المرأة الغرور والكِبر بسبب ظهورها بمظهر حسن أو للبسها ملابس غالية الثمن، أو لجمال وهبه الله لها أو لغير ذلك. وهذا منكر خطير يؤدي بصاحبه إلى الهلاك، قال الرسول ﷺ: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر**»[٨]. ومن صور الغرور والكِبْـرِ: عدم إفشاء السلام بين النساء.

عاشراً: مخالفة سنة من سنن الفطرة وهي تقليم الأظافر؛ فتجد إحداهن تُطيل أظافرها، ثم تضع عليها صبغ يعرف باسم (المانكير) وهذا الصبغ يمنع وصول الماء إلى الأظافر، ثم تأتي مَنْ وضعته لتتوضأ ثم تُصلي فتبطل صلاتها؛ لأن وضوءها غير صحيح؛ حيث إن الماء لم يصل إلى الأظافر، فإن كان لابد من وضعه فيجب أن تزيله قبل الوضوء.

---

(١) الوشم: غرز الوجه أو الكف بإبرة حتى يخرج الدم ثم وضع كحل عليه حتى يخضرّ.

(٢) النمص: إزالة شعر الحاجبين أو تخفيفه.

(٣) التفلج: عمل فرجة بين الأسنان لغرض التجمل.

(٤) ذكر الشيخ: عبدالله بن جبرين ـ حفظه الله ـ في شريط (فتاوى عن المرأة) أن لبس العدسات الملونة يدخل في تغيير خلق الله، كما أن لها أضراراً صحية على العين، وفي شرائها إهدار للمال، لذلك فهي محرمة.

(٥) رواه البخاري (٥٩٣١) ومسلم (٢١٢٥).

(٦) الوصل: وصل الشعر بشعر آخر مستعار مثل الباروكة، وهي محرمة سواء بإذن الزوج أو من غير إذنه كما أفتى بذلك الشيخ محمد بن عثيمين حفظه الله.

(٧) رواه البخاري (٥٩٣٤) ومسلم (٢١٢٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٨) رواه مسلم: (٩١).

حادي عشر: لبس القصير والرقيق والضيق من الثياب للنساء: كان مما غزانا به أعداؤنا في هذا الزمان هذه الأزياء والموضات التي وضعوا أشكالها وتفصيلها، وراجت بين المسلمين، وهي لا تستر العورة لقصرها أو شفافيتها أو ضيقها، وكثير منها لا يجوز لبسه حتى بين النساء وأمام المحارم، وقد أخبرنا النبي، ﷺ، عن ظهور هذه الأنواع من الألبسة على نساء آخر الزمان كما جاء في حديث أبي هريرة، رضي الله عنه مرفوعاً: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»(١).

ومن أمثلة هذا ما يعرف في عصرنا بالباروكة. ومن الواصلات في عصرنا: «الكوافيرات» وما تزخر به صالاتهن من المنكرات.

ومن أمثلة هذا المحرم أيضاً: لبس الشعر المستعار، كما يفعله بعض من لا خلاق لهم من الممثلين والممثلات في التمثيليات والمسرحيات.

اللهم جنِّبنا الشيطان ونزغاته، وأعذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم من أراد نساء المسلمين بسوء فأشغله بنفسه واجعل تدبيره تدميراً عليه، اللهم أقِرَّ أعيننا بصلاح نسائنا وبناتنا، واجعلهن من العابدات التقيات النقيات واجمعنا وإياهم في جنات عدن. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) رواه مسلم (٢١٢٨).

الفهرس

الموضوع الصفحة